كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الحادي والعشرون

دار صادر

بيروت



كتاب الأغاني

21



الطبعَة الأولى

1423هـ - 2002 م

الطبعـة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[440] ـ أخبار المنخَّل[1] ونسبه

[نسبه]

هو المُنخَّل بنُ عمرو ، ويقال : المُنخَّل بنُ مسعودٍ ، بن أَفلَتَ بنِ عمرٍو بن كعبِ بن سُواءةَ بن غَنْم بن حبيب بن يشكُرَ بن بكرِ بن وائل . وذكر أبو محلِّم النسابة : أنّه المنخَّلُ بنُ مسعودِ بنِ أفلَتَ بنِ قَطَنِ بن سُواءةَ بنِ مالك بن ثعلبة بنِ حبيبِ بن غَنْم بنِ حبيب بنِ كعب بن يشكُرَ . وقال ابنُ الأعرابيّ : هو المنخَّل بنُ الحارثِ بنِ قيس بن عمرٍو بن ثعلبة بنِ عَديٍّ بن جُشَمَ بنِ حبيبِ بنِ كعبِ بنِ يَشْكُرَ .

[اتهامه بالمتجرّدة]

شاعر مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية ، وكان النُّعمانُ بنُ المنذر قد اتّهمه بامرأته المتجرّدة ، وقيل : بل وجده معها ، وقيل : بل سُعيَ به إليه في أمرها فقتله ، وقيل : بل حبسه ، ثم غَمَض خبره ، فلم تُعلم له حقيقة إلى اليوم . فيقال : إنّه دفنه حيّاً ، ويقال : إنّه غرّقه . والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العَنَزيّ وأشباهه مِمّن هلكَ ولم يُعلم له خبر . وقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

تُقـارِبُ حتى تُطمِعَ التابعَ الصِّبا ... وليستْ بأدنى من إيابِ المنخَّلِ[2]

وقال النَّمِر بنُ تَوْلَب : [من الطويل]

وقَوْلي إذا مـا أُطلقوا عن بعيرِهم ... تلاقونَـــه حتـى يـؤوبَ المنخَّلُ

[قصة قتله]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان ، قال : أخبرني أَحمد بن زهير قال : أَخبرني عبدُ الله بن كُريم قال : أَخبرني أبو عمرٍو الشيبانيُّ قال : كان سبب قتل المنخَّل أنَّ المتجرّدةَ ، واسمُها ماويّة وقيل : هند بنتُ المنـذِر بنِ الأسود الكلبيّة ، كانت عند ابن عمّ لها يقال له : حُلْم ، وهو الأَسودُ بنُ المنذرِ بن حارثة الكلبيُّ ، وكانت أجملَ أهل زمانِها ، فرآها المنذر بن المنذر الملكُ اللّخميّ فعشِقها ، فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حُلـم وامرأتـه المتجرّدة ، فقال المنذر لِحُلم : إنّه لقبيح بالرجل أن يقيمَ على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسِه ولا لِحيته شعرة

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/404–405 والمؤتلف 178 وشرح الحماسة 2/102–108 وشعراء الجاهلية 421–424 .

2 مثل : انظر المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1/341 ، 361 وفي كتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 58 وفي كتاب مجمع الأمثال للميداني 1/211 ، 2/212 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 346 .

بيضاء إلاّ عرفتْها ، فهل لك أن تُطلِّقَ امرأتَك المتجرّدةَ وأُطلِّقَ امرأتي سلمى ؟ قال : نعم ، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه عهداً . قال : فطلّق المنذرُ امرأته سلمى ، وطلّق حُلم امرأتَه المتجرّدةَ ، فتزوَّجها المنذر ولم يُطلق لسلمى أأن تتزوَّج حُلماً ، وحجبها ، وهي أمّ ابنه النُّعمانِ بن المنذر ، فقال النابغة الذبيانيّ يذكر ذلك : [من البسيط]

قــد خادعوا حُلماً عن حرّة خَرِدٍ حتى تبطَّنها الخــدّاعُ ذو الحُلُمِ

قال : ثم مات المنذر بن المنذر ، فتزوّجها بعده النُّعمان بنُ المنذر ابنُه ، وكان قصيراً دميماً أبرش ، وكان ممّن يجالسه ويشرب معه النابغةُ الذُّبيانيّ ، وكان جميلاً عفيفاً ، والمُنخَّل اليشكريّ ، وكان جميلاً ، وكان يُتَّهم بالمتجرّدة . فأمّا النابغة فإنّ النُّعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أوّلها : [من الكامل]

أَمِــن آلِ ميّــةَ رائحٌ أَو مغتدي عجــلانَ ذا زاد وغيرَ مــزوَّدِ

ووصفها فأفحش فقال :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدِفٍ رابــي المَجسّة بــالعَبيرِ مُقَرمَدِ[1]

وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ نــزعَ الحَــزَوّر بالرشاءِ المحصَدِ[2]

[تحريضه قومه على قاتله]

فغار المُنخَّل من ذلك ، وقال : هذه صفة مُعايِن ، فهـمَّ النُّعمـان بقتل النابغة حتى هرب منـه ، وخلا المُنخَّل بمجالسته ، وكان يهوى المتجرّدة وتهواه ، وقد ولدت للنُّعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَّل ، وكانت العرب تقول : إنّهما منه . فخرج النُّعمان لبعض غزواته ، قال ابن الأعرابيّ : بل خرج متصيّداً ، فبعثت المتجرّدة إلى المنخل فأَدخلته قبتها ، وجعلا يشربان ، فأخذَت خَلخالها وجعلته في رجله ، وأسدلت شعرها فشدّت خَلخالها إلى خَلخاله الذي في رجله من شدّة إعجابها به . ودخل النُّعمان بعقِب ذلك فرآها على تلك الحال ، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلِب يقال له : عِكَبّ ، وأمَرَه بقتله ، فعذّبه حتى قتله . فقال المُنخَّل يحرّض قومه عليه : [من الوافر]

أَلا مَن مبلِغ الحيّـين عنّي بأَنّ القومَ قــد قتلـوا أُبيّا

فإن لم تثأَروا لي من عِكَبٍّ فلا رَوِّيتُــمُ أَبــداً صَدِيّا

وقال أَيضاً : [من الخفيف]

1 مقرمد : مطلي .

2 مستحصف : قليل البلولة ضيق . الحزوّر : الرجل القوي . المحصد : الحبل الشديد الفتل .

ظَلَّ وسْطَ النديّ قَتلى بِلا جُرْ ... مٍ وقومـي يُنتِّجون السِّخالا[1]

[من شعره في المتجرّدة]

وقال في المتجرّدة : [من الوافر]

دِيارٌ للّتي قتلتـكَ غصباً ... بلا سيفٍ يُعَـدّ ولا نِبالِ

بطَرْفٍ ميِّت في عين حَيٍّ ... له خَبَل يزيدُ على الخَبالِ

وقال أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ولقد دخلـتُ على الفتـا ... ةِ الخِـدرَ في اليومِ المطيرِ

الكاعـبِ الحسنـاءِ تـر ... فُلُ في الدِّمَقْس وفي الحريرِ

دافعتُهـا فتدافَعـتْ ... مَشْيَ القطاةِ إلى الغديرِ[2]

ولثمتُهـا فتنفَّست ... كتنفّس الظبـي البَهيرِ[3]

ورَنَت وقالت يـا مُنَخَّـ ... ـلُ هل بجسمك من فتورِ[4]

مـا مسَّ جسمي غيرُ حُبِّـ ... ـك فاهدئي عنّي وسيري[5]

يـا هندُ هـل مـن نائلٍ ... يـا هندُ للعاني الأسيرِ ؟[6]

وأُحبّهـا وتُحبّنـي ... ويُحِـبّ ناقتَها بعيـري

ولقـد شربتُ مـن المدا ... مـةِ بالكبيرِ وبالصغيرِ

فـإذا سكـرتُ فإنّنـي ... ربُّ الخورنـق والسريرِ[7]

وإذا صحـوتُ فإنّنـي ... ربّ الشُّوَيهـةِ والبعيرِ

يـا رُبَّ يومٍ ـ للمنخَّـ ... ـلِ قـد لها فيـه ـ قصيرِ

1 في الشعر والشعراء : ظلّ وسط العباد قتلي . السخال : أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة يولد .

2 في الحماسة والشعر والشعراء : فدفعتها فتدافعت .

3 البهير : المتتابع الأنفاس .

4 في الحماسة :

فدنت وقالـت يـا منخـ ... ـلُ ما بجسمك من حرورِ

5 في الحماسة والشعر والشعراء : ما شف .

6 في الحماسة : هل لميّتم .

7 فإذا سكرت في الحماسة : فإذا انتشيت ، وفي ل : فإذا شربت . والخورنق : قصر للنعمان الأكبر . في الحماسة : والسدّير ، والسدّير : نهر بناحية الحيرة .

[رواية أُخرى عن المنخَّل مع المتجرّدة]

وأَخبرني بخبر المُنخَّل مع المتجرِّدة أَيضاً عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : أُخبرني أَبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيب عن ابنِ الأعرابيّ قال : كانت المتجرّدةُ امرأةُ النعمان فاجرةً ، وكانت تُتّهم بالمُنخَّل ، وقد ولَدتْ للنعمان غلامين جميلين يشبهان المُنخَّل ، فكان يقال : إنّهما منه ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان النُّعمان أحمر أبرش قصيراً دميماً . وكان للنعمان يوم يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخَّل من ندمائه لا يفارقه ، وكان يأتي المتجرِّدَة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النُّعمان فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النُّعمان آذنَتْها بمجيئه ولِيدة لها موكّلة بذلك فتُخرِجُه .

فركب النُّعمان ذات يوم وأتاها المُنخَّل كما كان يأتيها فلاعبَته ، وأُخذت قيداً ، فجعلت إحدى حلقتيه في رِجْله والأُخرى في رجلها ، وغفَلت الولَيدةُ عن تَرقّب النُّعمان ؛ لأنّ الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قَرُب بعدُ ، وأقبل النُّعمان حينئذٍ ولم يُطِل في مكثه[1] كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجرِّدة ، فوجدها مع المُنخَّل قد قيَّدَت رجلها ورجلَه بالقيد ، فأخذه النُّعمان فدفعه إلى عكَبٍّ صاحبِ سجنه ليعذّبه ، وعِكَبٌّ رجل من لَخم ، فعذّبه حتى قتله . وقال المُنخَّل قبل أن يموتَ هذه الأبيات ، وبعث بها إلى ابنيه : [من الوافر]

ألا مَن مبلغِ الحُرّينِ عنّي ... بأنّ القومَ قد قتلوا أُبيّا

وإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا أُرويتما أبداً صَدِيّا

يُطوّفُ بي عِكَبٌّ في معدٍّ ... ويطعنُ بالصُّملّة في قَفَيّا[2]

[قاتله هو النُّعمان لا عمرو بن هند]

قال ابن حبيب : وزعم ابن الجَصّاص أنّ عمرو بن هند هو قاتل المُنخَّل ، والقول الأوّل أصحّ .

[قصيدته في المتجرّدة]

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة ، وأوّلها قوله : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحوَ العراق ولا تَحوَري

لا تسألي عن جُلّ ما ... لي واذكري كَرَمي وخِيري

وإذا الرياحُ تناوحَتْ ... بجوانب البيت الكسيرِ[3]

---

1 ل : وجهه .

2 الصملة : الحربة .

3 الكسير : الذي له كسور ، وهي ما مسّ الأرض من هدابه .

ألفيتنــي هشّ النــــديِّ   بِمــرّ قدِحي أو شجيري[1]

الشجير : القِدح الذي لم يُصلَح حسناً ، ويقال : بل هو القِدح العاريّة .

ونَهَـى أَبـو أَفعــى فقلّــ   ـدني أبو أفعــى جريري[2]

وجُلالــــة خطّـــارة   هوجاءَ جائلــةَ الضُّفورِ[3]

تعدو بأشعثَ قــد وَهـى   سِربالُـــه باقــي المسيرِ[4]

فُضُلا على ظهـــرِ الطريـ   ـقِ إليك علقمةَ بنَ صيرِ[5]

الواهــبُ الكــومِ الصّفا   يا والأوانس في الخُدورِ[6]

يُصفيك حـــين تجيئــه   بالعَصْب والحَلْي الكثيرِ[7]

وفـــوارسٍ كأُوار حـــرِّ   النّــار أحـلاس الذُّكورِ[8]

شدُّوا دوابـــرَ بيضهـــم   في كلِّ محكمـــةِ القتيرِ[9]

فاستلأمـــوا وتَلَبَّبُـــوا   إنّ التلبّـــبَ للمغيرِ

وعـــلى الجيـــادِ المضمَرا   تِ فوارسٌ مثل الصقورِ[10]

يَخرجن مـــن خَلَل الغبا   رِ يَجِفْــن بالنَّعَمِ الكثيرِ

فشفيتُ نفسي مــن أولـ   ـئكَ والفوائـــحِ بالعبيرِ

يرفُلــن في المسك الذكيّ   وصائــكٍ كـــدَمِ النّحيرِ[11]

---

1 في حماسة أبي تمام :   ألفيتنـــي هشّ اليديـــ   ـنِ بمري قدحي أو شجيري

والشجير : القريب .

2 الجرير : حَبْلُ الزِّمام .

3 جلالة : ناقة مسنّة . خطارة : تضرب بذنبها يميناً وشمالاً . الضفور : جمع ضَفْر ، وهو ما يشدّ البعير به من مضفور .

4 باقي المسير : لم يستنفد القدرة على المسير .

5 فضلاً : متفضّلاً في ثوب واحد .

6 الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام . الصفايا : النوق الغزيرة اللبن .

7 العصب : ضرب من البرود .

8 الحلس : الملازم .

9 القتير : رؤوس مسامير الدروع .

10 المضمرات في ل : المشنقات .

11 صائك : وصف من صاك به الطيب يصيك : لزق .

يعكُفن مثــلِ أَساود التَّـ ـنُّومِ لم تُعكَــف لِزورِ[1]
ولقــد دخلــتُ على الفتا ةِ الخدرَ في اليــومِ المطيرِ
الكاعـــبِ الخنساءِ تــر فُلُ في الدِّمَقْس وفي الحريرِ
فدفَعتُهـــا فتدافعــــتْ مشيَ القطـاة إلى الغـديرِ
ولَثَمتُهــــا فتنفَّسَتْ كتنفّسِ الظبـــي البَهيرِ
فدنَـــتْ وقالت يــا منخَّـ ـلُ ما بجسمك من حَرورِ ؟
ما شفَّ جسمي غيرُ حبّـ ـك فاهدئي عنّي وسيري
ولقــد شرِبـــتُ من المُدا مـــةِ بـالصغيرِ وبالكبيرِ
ولقــد شربتُ الخمرَ بالـ ـخيلِ الإنـاث وبالذُّكورِ
ولقــد شربتُ الخمرَ بالـ ـعبد الصحيح وبالأَسيرِ
فـإذا سكِــرتُ فإنّنــي ربُّ الخَوَرْنَــق والسديرِ
وإذا صحــوتُ فإنَّنــي ربّ الشّوَيهــة والبعيرِ
يــا رُبَّ يــوم للمنخَّـ ـل قـد لهـا فيه قصيرِ
يــا هنـدُ هــل من نائلٍ يــا هنـدُ للعاني الأَسيرِ

ومن الناس مَن يزيد في هذه القصيدة :

وأُحبّهـــا وتُحبّنــــي ويحــبّ ناقتَهـا بعيري

ولم أَجده في رواية صحيحة .

صوت

[من الوافر]

لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا كتابَ الله لو قَبِــل الكتابا
أُناشده فيُعـــرِض في إبـــاءٍ فــلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا

الشعر لأُميّة بنِ الأسكر الليثيّ ، والغناء لعبد الله بنِ طاهر ، رمَل بالوسطى . صنعه ونسبه إلى لَمِيسَ جاريته ، وذكر الهِشاميّ أنّ اللحن لها ، وذكره عُبيد الله بنُ عبد الله بن طاهِر في جامع أغانيهم ووقع إليّ ، فقال : الغناء فيه للدّار الكبيرة ، وكذلك كان يكنّي عن أبيه ، وعن إسحاق بن إبراهيمَ بن مُصعبٍ وجواريهم ، ويكنّي عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دُور إخوته بالدّار الصغيرة .

---

1 يعكفن : يمشطن أو يضفر . التنوّم : شجر يسود كله .

[441] ـ أخبار أُميّة بن الأَسكر ونسبه

[نسبه]

هو أُميّةُ بن حُرْثانَ بن الأَسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زُهرةَ بن زَبينةَ بن جُنْدُع بن ليثِ بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانةَ بن خُزَيمةَ بن مُدرِكةَ بن إلياس بن مُضرَ بن نزار .

شاعر فارس مخضرَم أدركَ الجاهليّة والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيّام مأثورة مذكورة .

[استعمال ابنه كلاب على الأبلة]

وكان له أَخ يقال له : أَبو لاعق الدم ، وكان من فُرسان قومه وشعرائهم ، وابنُه كِلابُ بنُ أُميّة أيضاً أدرك النبيّ ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبيّ ﷺ فقال أبوه فيه شعراً ، ذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّه هذا الشعر ، وهو خطأ ، إنّما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفُرس ، وخبره في ذلك يذكر بعد هذا .

قال أَبو عمرو في خبره : فأَمره ﷺ بصلة أَبيه وملازمتِه طاعته .

وكان عمر بن الخطّاب استعمل كلاباً على الأُبلّة[1] ، فكان أَبواه يتتابانه ، يأتيه أحدهما في كلّ سنة ، ثم أبطأَ عليه وكبِرا فضعفا عن لقائه ، فقال أبياتاً وأنشدها عمرَ ، فرقّ له وردّه إليهما ، فلم يلبث معهما إلاّ مدّة حتى نهشَتْه أَفعى ؛ فمات وهذا أيضاً وَهْم من أَبي عمرو ، وقد عاشَ كِلاب حتى ولي زياد الأُبُلّه ، ثم استعفَى ، فأعفاه . وسأذكر خبره في ذلك وغيرَه هاهنا إن شاء الله تعالى .

[شعره في ابنه كلاب لما طالت غيبته في الغزو]

فأمّا خبره مع عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليٍّ أَخبرني به ، قال : حدَّثني الحارثُ بنُ محمد قال : حدَّثني المدائنيُّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزُّبَيريِّ عن عُروةَ بن الزُّبَير قال : هاجر كِلابُ بن أُميَّة بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطّاب ، فأقام بها مدّة ، ثم لَقي ذات يوم طلحةَ بن عُبيدالله والزُّبيرَ بنَ العوّام ، فسألهما : أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمرَ فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبِر وضعُف ، فلمّا طالت غيبة كلاب عنه قال : [من الوافر]

1 الأبلة : بلدة غربي البصرة .

لِمَن شيخان قد نشَدا كلابا ... كتابَ الله إن قَبِل الكتابا[1]
أُناديه فيُعرِض في إباء ... فلا وأَبي كلابٍ ما أَصابا[2]
إذا سجعَتْ حمامةُ بطنِ وادٍ ... إلى بَيْضاتها دَعوا كلابا[3]
أَتاه مهاجران تكنّفاه ... ففارق شيخه خَطِئا وخابا[4]
تركتَ أَباك مُرعَشةً يداه ... وأُمَّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمَسّح مُهره شفَقاً عليه ... وتجنُبه أَباعرَها الصعابا[5]

قال : تجنُبه وتجنّبه واحد ، من قول الله عزّ وجلّ : ﴿واجنُبْني وبَنيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾[6]

قال :

فإنّك قد تركت أَباك شيخاً ... يطارق أَينُقاً شُزُباً طِرابا[7]
فإنّك والتماسَ الأَجرِ بَعدي ... كباغي الماء يتّبع السرابا

[ينشد عمر شعراً فيرد كلاباً عليه]

فبلغَتْ أَبياتُه عمرَ ، فلم يردُد كلاباً وطال مقامه فأُهتِر أُميّة وخُلِط جزَعاً عليه ؛ ثم أَتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه ثم أَنشأ يقول : [من الوافر]

أَعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ ... ولا تدرين عاذلَ ما أُلاقي
فإمّا كنتِ عاذلتي فرُدّي ... كِلاباً إذ توجّه للعراقِ
ولم أَقضِ اللُّبانة من كِلابٍ ... غداةَ غدٍ وآذَن بالفِراقِ
فتى الفِتيان في عُسْرٍ ويُسرٍ ... شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليتَ وَجدي ... ولا شفَقي عليكَ ولا اشتياقي

---

1 ذكرت في الأمالي بترتيب مخالف وبرواية مخالفة في أكثر الأبيات .
2 في الأمالي : أناديه وولاني قفاه .
3 سجعت في الأمالي : هتفت . إلى في الأمالي : على .
4 أتاه مهاجران في الأمالي : فإنّ مهاجرين . ففارق في الأمالي : ليترك .
5 رواية البيت في الأمالي :
تنفّض مهره شفقاً عليه ... ونجنبه أباعرنا الصعابا
6 سورة إبراهيم ، الآية : 35 .
7 يطارق : يطابق . شزباً : ضامرة . وفي الأمالي :
وإن أباك حيث علمتماه ... يُطارد أيْنُقاً شسباً طرابا

وإبقائـي عليـكَ إذا شتَونا — وضمَّك تحت نحري واعتناقي
فلو فَلـق الفؤادَ شَدِيدُ وجْدٍ — لَهـمَّ سوادُ قلبـي بانفلاقِ[1]
سأَستعدي على الفاروقِ ربّـاً — لـه دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ[2]
وأَدعـو الله مجتهـداً عليـه — ببطـن الأَخشَبَين إلى دُفاقِ
إنِ الفاروقُ لم يـردد كلابـاً — إلى شيخـين هامُهما زَواقِ

[مبلغ برّه بأبيه]

قال : فبكى عمر بكاءً شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة ، فلمّا قدِم دخل إليه ، فقال : ما بلغ من بِرّك بأبيك ؟ قال : كنتُ أُوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلُب له لبناً أغزر ناقةٍ في إبله وأسمَنها فأُريحها وأتركها حتى تستقرّ ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيَه . فبعث عمرُ إلى أُميّة مَن جاء به إليه ، فأدخله يتهادى وقد ضعُف بصرُه وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أميرَ المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهي أن أرى كِلاباً فأشَمَّه شَمّة ، وأضُمَّه ضَمَّة قبل أن أموت . فبكى عمر ، ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى .

[عمر يأمره أن يلزم أبويه]

ثم أَمر كلاباً أَن يحتلبَ لأَبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعثَ إليه بلبنها ، ففعل فناوله عمرُ الإناء ، وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلمّا أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمر : والله يا أمير المؤمنين ، إنّي لأشمّ رائحة يدي كلاب من هذا الإناء ، فبكى عمر ، وقال : هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به ، فوثب إلى ابنه وضمّه إليه وقبّله ، وجعل عمرُ يبكي ومَن حضَره ، وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنَك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرَفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه .

[يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام]

ونسختُ من كتاب أَبي سعيد السكريّ أَنّ أُميّة كانت له إبل هائمة ، أي أصابها الهُيام وهو داء يصيب الإبل من العطش ، فأخرجَته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلَهم ، فقال لهم : يا بَني بكر ، إنّما هي ثلاث ليال : ليلة بالبقعاء[3] وليلة بالفُرْع[4] ، وليلة بِلَقْف في سامرٍ من

1 شديد في ل : حطام .
2 بُساق : موضع .
3 البقعاء : ماء لعبس ، وقيل : مياه لبني السليط على مبعدة 24 ميلاً من المدينة .
4 الفرع : قرية ناحية المدينة .

بني بكر ، فلم ينفعه ذلك وأخرجوه ، فأتى مُزَينة فأجاروه ، وأقام عندهم إلى أن صحّت إبله ، وسكنت ، فقال يمدح مُزينة : [من الوافر]

تكنّفها الهُيام وأخرجوها فما تأوي إلى إبل صِحاحِ
فكان إلى مُزَينةَ منتهاها على ما كان فيها من جُناحِ
وما يكن الجُناحُ فإنّ فيها خلائقَ ينتمين إلى صلاحِ
ويوماً في بني ليث بن بكر تُراعي تحت قعقعة الرماحِ
فإمّا أصبحَنْ شيخاً كبيراً وراء الدار يُثقلني سلاحي
فقد آتي الصريخَ إذا دعاني على ذي مَنْعة عَتِدٍ وَقاحِ[1]
وشرُّ أخي مؤامرةٍ خَذولٌ على ما كان مؤتِكلٌ ولاحِ[2]

[عمّر حتى خرف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن عبدِ الله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرٍو الشيبانيٍّ عن أبيه ، وأخبرني به محمد بن خلفِ بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أبو توبةَ عن أبي عمرو قال : عُمِّر أُميّةُ بن الأسكر عُمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجّب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعي منه ، وأقبل ابناه إليه ، فلمّا رآهما أنشأ يقول : [من البسيط]

يا بَني أُميّة إنّي عنكما غانِ وما الغِنى غير أنّي مُرعَشٌ فانِ
يا بَني أُميّة إلاّ تحفظا كِبَري فإنّما أنتما والثُكلُ سِيّانِ
هل لكما في تُراثٍ تذهبان به إنّ التراثَ لِهَيّانِ بنِ بَيّانِ

يقال : هيانُ بن بَيان ، وهي ترى للقريب والبعيد .

أصبحتُ هُزْءاً لراعي الضأن يَسخَر بي ماذا يَريبك مِنّي راعيَ الضّانِ[3]
اعجَبْ لغيريَ إنّي تابع سلفي أعمامَ مجد وأجدادي وإخواني
وانعَقْ بضأنك في أرضٍ تُطِيف بها بين الأساف وأنتجها بجِلْذان[4]

---

1 عَتِد : أي شديد تام الخلق . والوقاح : الصلب .

2 مؤتكل : غاضب هائج .

3 هزءاً في ل : قرداً .

4 الأساف : البقاع التي لا تنبت ، جمع أسافة . في الأمالي : بجُمدان ورواية البيت مختلفة :

انعق بضأنك في نجم تحقّره من الأباطح واحبسها بجُمدان

وجُمدان ، اسم لواد ، واسم جبل .

جِلذان : موضع بالطائف .

بلـــدة لا ينـــام الكالئـــان بهـــا ولا يَقَرُّ بهـــا أَصحـــابُ أَلـــــوانِ

[الإمام علي يتمثّل بشعرٍ له]

وهذه الأَبيات تمثّل بها أَمير المؤمنين عليّ بن أَبي طالب صلوات الله عليه ، في خطبةٍ له على المِنبر بالكوفة .

حدَّثنا بها أَحمدُ بن عُبيدِ الله بن عمّار وأَحمدُ بن عبدِ العزيز الجوهريُّ ، قالا : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قـال : حدَّثنـا محمدُ بن أبي رجاء ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بن سعد ، قال : قال عبدُ الله بن عديٍّ بن الخِيار : شهِدت الحكَمَين ، ثم أُتيت الكوفة وكانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة ، فدخلتُ عليه ، فلمّا رآني قال : مرحباً بك يا ابنَ أُمّ قتّال ، أَزائراً جئتنا أَم لحاجة ؟ فقلت : كُلٌّ جاء بي ؛ جئت لحاجة ، وأحببت أن أُجدِّد بك عهداً ، وسأَلته عن حديث فحدَّثني على ألاّ أُحدِّث به واحـداً . فبينا أنـا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليٌّ صلوات الله عليه متنكِّب قَرَناً[1] له ، فجعل يقول : الصلاة جامعة . وجلس على المِنبر ، فاجتمع الناس ، وجاء الأَشعث بن قيس فجلس إلى جانب المِنبر . فلمّا اجتمع الناس ، ورضي منهم قام فحمِد الله وأَثنى عليه ، ثم قال : أيـّها الناس ، إنّكم تزعمون أنّ عندي من رسول الله ﷺ ، ما ليس عند الناس ، ألا وإنّه ليس عندي إلاّ ما في قَرَني هذا ، ثم نَكَتَ كنانته ، فأخرج منها صحيفة فيها : «المسلمون تتكافأُ دماؤهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم . مَن أحدث حدَثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاس أجمعين» . فقال له الأشعث بن قيس : هذه والله عليك لا لك ، دَعْها تترحّل ، فخفَض عليّ ، صلوات الله عليهِ ، إليه بصره ، وقال : ما يدريك ما عَليَّ مِمّا لي ! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين ، حائكٌ ابنُ حائك ، منافقٌ ابنُ منافق ، كافرٌ ابنُ كافر . والله لقد أسرَك الإسلام مرّة والكفرُ مرّة ، فمـا فَداك من واحدٍ منهما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رفع إليَّ بصرَه فقال : يا عبيد الله : [من البسيط]

أَصبحتُ قِنّاً لراعي الضأن يلعبُ بي ماذا يَريبك منِّـي راعِـيَ الضّانِ

فقلت : بأَبي أَنتَ وأُمِّي ، قد كنتُ والله أُحبّ أَن أَسمع هذا منك . قال : هو والله ذلك ، قال : [من الطويل]

---

1 قرن : جعبة .

فما قِيلَ لي من بعدها من مقالة ولا عَلِقتْ منّي جديداً ولا دَرْسا

[عودة كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدَّثنا الحارثُ، عن المدائنيّ قال: لمّا مات أُميّةُ بن الأُسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، وشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيّام زياد، فولاّه الأُبلّة، فسمع كلابٌ يوماً عثمانَ بن أبي العاص يحدّث أنّ داود نبيَّ اللهِ، عليه السلام، كان يجمع أهلَه في السّحَر فيقول: ادعوا ربّكم فإنّ في السَّحَر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلاّ غُفِر له، إلاّ أن يكون عَشّاراً[1] أو عَريفاً[2]. فلمّا سَمِع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه.

قال المدائنيّ: ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات، والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبةٌ إليه.

[شعر أُميّة وقد ظفر بنو ليث بقومه]

وقال أبو عمرو الشيبانيُّ: كان بين بني غِفارٍ قومِه وبني ليث حربٌ فظفِرَتْ بنو ليث بغِفار، فحالف رَحْضةُ بنُ خُزيمة بنِ خلافِ بنِ حارثة بن غِفار وقومُه، جميعاً بني أسلمَ بن أفصى بنِ خُزاعة، فقال أُميّة بن الأسكر في ذلك، وكان سيدَ بني جندُعِ بنِ ليث وفارسَهم: [من الطويل]

لقد طِبتَ نفساً عن مواليك يا رَحْضا وآثرتَ أذناب الشوائل والحمضا[3]

تُعلِّلنا بالنّصر في كلِّ شَتوة وكلّ ربيع أَنت رافضنا رفضا

فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا لقد جرّ قومٌ لحمنا تَرِباً قَضّا

القضّ والقضيض: الحصا الصغار.

[عبد الله بن الزُّبير يتمثّل بشعره]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدَّثني أحمد بن زهير قال: حدَّثنا مُصعَبُ بن عبدِ الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزُّبير كتاباً عن معاويةَ إلى مروانَ بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلمّا عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عَمراً حتى يؤدِّيَ المالَ، فحبسه مروانُ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بنَ الزُّبير، فجاء إلى مروانَ وسأله عن الخبر، فحدَّثه به، فقال: مالُكم في ذمّتي، فأطلق عَمراً، وأدّى عبدُ الله المالَ عنه، وقال: والله إنّي لأُؤدِّيه

1 العشار: جابي عشر الأموال.

2 العريف: الرئيس أو النقيب.

3 الشوائل: جمع شائلة، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر. والحمض: نبت ترعاه الإبل.

عنه وإنّي لأعلم أنّه غير شاكر ، ثم تمثّل قولَ أُميّة بن الأَسكر الليثيّ : [من الطويل]

فلـولا تأسّينا وحـدّ رماحنا لقد جـرّ قوم لحمنا تَربا قَضّا

[سيّدان يخطبان بنتاً له]

وقال ابنُ الكلبيّ : حدَّثنا بعضُ بني الحارثِ بنِ كعبٍ قال : اجتمع يزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ وعامِرُ بنُ الطُّفَيـل بمَوسمِ عُكاظَ ، فقدِمَ أُميّةُ بن الأسكر ، ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها ، فخطبها يزيدُ وعامرٌ ، فقالت أُمُّ كلابٍ امرأةُ أُميّةَ : مَن هذا الرجلان ؟ قال : قال : هـذا ابنُ الديّـان ، وهذا عامر بنُ الطُّفَيل . قالت : أعرف ابنَ الديّـان ، ولا أَعرف عامـراً . قـال : هل سَمِعْتِ بمُلاعب الأَسنّة ؟ قالت : نعم والله . قال : فهذا ابنُ أخيه .

وأَقبل يزيدُ فقال : يا أُميّةُ أَنا ابنُ الديان ، صاحبُ الكثيبِ ، ورئيسُ مَذْحِج ، ومكلّمُ العُقاب ، ومَن كان يَصُوب أصابعه فتنطِف دماً ، ويدلُك راحتَيْه فتخرجان ذهباً . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ .

فقال عامر : جدّي الأَحزمُ ، وعمِّي أَبو الأَصبع ، وعمِّي ملاعبُ الأَسنّة ، وجدِّي الرّحّال ، وأَبي فارس قُرْزُل . قال أُميّة : بَخٍ بَخٍ ، مَرْعى ولا كالسَّعْدانِ[1] ، فأرسلها . مثلاً .

فقال يزيد : يا عامرُ ، هل تعلم شاعراً من قومي رحَل بمدحِه إلى رجل من قومك ؟ قال : لا ، قال : فهل تعلم أَنّ شعراء قومك يرحلون بمدحِهم إلى قومي ؟ قال : نعم . قال : فهل لك نجم يمانٍ أو برد يَمانٍ أو سيف يَمانٍ أو ركنٌ يمانٍ ؟ فقال : لا ، قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم ، فنهض يزيد وقام ، ثم قال : [من الرجز]

أُمَيّ يا ابنَ الأَسكر بنِ مُدلج لا تجعلَنْ هوازنــا كمَذحِجِ
إنّك إن تلهـج بأَمـر تلجَجِ ما النّبع في مغرِسه كالعَوْسَجِ
ولا الصَّريحُ المحـضُ كالمُمزَجِ

وقال مُرّةُ بنُ دُودان العُقَيليّ ، وكان عدوّاً لعامر بن الطُّفيل : [من الرجز]

---

1 انظر المثل في جمهرة الأمثال للعسكري 275/2 ، 325 ، 242/4 وفصل المقال لأبي عبيد البكري 199 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 135 ، والفاخر للمفضل بن سلمة الضبي 64 وكتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي 127 وكتاب الأمثال لمجهول 112 . السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل . مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه . وفي مجمع الأمثال للميداني : أنّه للخنساء . وهو في فصل المقال : 199 مثل يضرب للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى . وحكى المفضل أنّ المثل لامرأة من طيىء وكان تزوّجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفركاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأوّل : فقالت : «مرعى ولا كالسّعدان» .

يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامر تريدُ ؟
لكلّ قوم فخرُهم عتيدُ أمُطلَقون نحن أم عبيدُ ؟
لا بل عَبيدٌ زادُنا الهَبيدُ[1]

فزوّج أُميّة يزيد فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا لَلرجال لطارق الأحزانِ ولعامر بن طفيلٍ الوسنانِ
كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق زمناً وصارت بعدُ للنُّعمانِ[2]
عَدَّ الفوارسَ من هوازن كلّها كَثْفاً عليّ وجئتُ بالديانِ[3]
فإذا ليَ الفضلُ المبين بوالدٍ ضخمِ الدَّسيعة زانني ونماني[4]
يا عامِ إنّك فارسٌ متهوّرٌ غضُّ الشباب أخو ندًى وقيان
واعلم بأنّك يا ابن فارس قُرْزُل دون الذي تسمو له وتُداني
ليستْ فوارسُ عامر بمُقِرَّةٍ لك الفضيلة في بني عَيْلانِ
فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكاً وبني الضِّباب وحيَّ آل قنانِ
فاسأل مَنِ المرءُ المُنَوَّه باسمه والدافعُ الأعداء عن نَجران ؟
يُعطى المَقادةَ في فوارس قومِه كرماً لعمرك والكريم يمانِ

فقال عامر بن الطُّفيل مجيباً له : [من الكامل]

يا للرجال لطارق الأحزان ولِما يجيء به بنو الدّيانِ
فخروا عليَّ بِحَبْوة لمحرِّق وإتاوة سلفت من النُّعمانِ
ما أنت وابنَ محرقٍ وقبيله وإتاوةَ اللخميِّ في عَيْلانِ ؟
فاقصِد بذَرْعِك قَصْد أُمرك قصده ودعِ القبائل من بني قحطانِ
إذ كان سالفُنا الإتاوة فيهم أولى ففخرك فخر كلّ يمانِ
وافخر برَهط بني الحَماس ومالك وابن الضِّباب وزعبل وقيانِ
وأنا المُنخَّل وابنُ فارس قُرْزُلٍ وأبو نزار زانني ونماني

---

1 الهبيد : الحنظل .
2 ممن يلقبون بالمحرق : عمرو بن هند ، والحارث بن عمر .
3 الكثف : الكثرة والالتفاف .
4 الدسيعة : الجفنة والمائدة الكريمة .

وإذا تعاظمت الأُمور موازنا كنتُ المنوَّهَ باسمه والثاني

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرَّةَ بنِ دُودانَ ، فقالوا : أَنت شاعر بني عامر ولم تَهْجُ بَني الديان ، فقال : [من الوافر]

تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ يقولون الأَنامُ لنا عبيدُ
أَبوهم مَذْحِج وأَبو أَبيهم إذا ما عُدّت الآباءُ هودُ
وهل لي إن فخَرتُ بغير فخر مقالٌ والأَنام له شهودُ ؟
فإنّا لم نزلْ لهمُ قطينا تجيء إليهمُ منّا الوفودُ[1]
فإنّا نضرب الأَحلامَ صفحا عن العلياء أَو من ذا يكيدُ ؟
فقولوا يا بني عَيلان كنّا لكم قِنّاً وما عنكم محيدُ

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ ، والتوليد فيه بيِّن ، وشعره شعر ركيك غثّ ، لا يشبه أشعار القوم . وإنّما ذكرتُه لئلاّ يخلوَ الكتاب من شيء قد رُوي .

[شعره في يوم المريسيع]

وقال محمد بنُ حبيبَ فيما روى عنه أَبو سعيدٍ السكَّريّ ، ونسخته من كتابه ، قال أَبو عمرو الشيبانيُّ : أُصيب قوم من بني جُندعُ بن ليث بن بكرٍ بن هوازنَ رهطِ أُميّةَ بن الأسكرِ يقال لهم : بنو زَبينةَ ، أَصابهم أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يوم المُرَيْسِيع[2] في غزوتِه بني المُصْطَلِق ، وكانوا جيرانَه يومئذٍ ، ومعهم ناسٌ من بني لِحْيانَ من هُذَيل ، ومع بني جُندُع رجلٌ من خُزاعةَ يقال له : طارق ، فاتّهمه بنو ليث بهم ، وأنّه دَلَّ عليهم . وكانت خزاعةُ مُسلمها ومشركُها يميلون إلى النبيّ ﷺ ، على قريش . فقال أُميّة بنُ الأسكر لطارقٍ الخُزاعيّ : [من الطويل]

لعمرك إنِّي والخزاعيَّ طارقاً كنَعجة عادٍ حتفَها تتحفّرُ
أَثارت عليها شَفرةً بِكُراعها فظلّت بها من آخر الليل تُجزَرُ
شَمِتَّ بِقومٍ هم صديقك أُهلِكوا أَصابهمُ يومٌ من الدَّهرِ أَعسرُ
كأنّك لم تُنبأ بيوم ذُؤالة ويومِ الرّجيع إذ تنحّر حبترُ
فهلاّ أَباكم في هذيل وعمَّكم ثأرتُمْ وهمْ أَعدى قلوباً وأَوترُ

1 قطينا : أتباعاً .

2 المريسيع : بئر أو ماء لخزاعة .

ويوم الأَراك يـوم أُردِف سبيكم صميمُ سَراة الدِّيـل عبدٌ ويعمرُ
وسَعْد بـن ليث إذا تُسلُّ نساؤكم وكلب بن عوف نحرّوكم وعقّروا
عجبت لشيخ مـن ربيعةَ مُهْتَرٍ أُمِرّ لـه يـومٌ من الدَّهر منكَرُ[1]

[شعر طارق الخزاعيّ يجيبه فيه]

فأجابه طارق الخزاعيّ فقال : [من الطويل]

لعمرك مـا أُدري وإنِّي لقائل إلى أيٍّ مَـن يَظنّني أَتعذَّرُ ؟[2]
أُعنَّف أنْ كانت زبينة أُهلكت ونال بنـي لحيانَ شرّ ونُفّروا

[ابن عبّاس ومعاوية يتمثّلان بشعره وشعر صاحبه]

وهذه الأبيات : الابتداء ، والجواب تَمثّل بابتدائها ابن عبّاس في رسالة إلى معاويةَ ، وتمثَّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها .

حدَّثني بذلك أحمد بنُ عيسى بن أبي موسى العِجليُّ العطّارُ بالكوفة ، قال : حدَّثنا الحسينُ بن نصرِ بن مزاحم المِنقريّ قال : حدَّثنا زيد بن المعذّل النَّمريُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ شعيبِ الخرّاز ، قال : حدَّثنا أبو مِخْنف ، قال : لمّا بلغ معاويةَ مصابُ أمير المؤمنين عليّ ، عليه السلام ، دسّ رجلاً من بني القَيْن إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه ، فدُلّ على القينيّ بالبصرة في بني سُلَيم ، فأُخِذ وقتل .

وكتب ابن عبّاس من البصرة إلى معاوية :

أمّا بعد ، فإنّك ودسَّك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غَفَلات قريش مثل الذي ظفرتَ به من يمانيتِك لَكَما قال الشاعر : [من الطويل]

لعمـرك إنّـي والخزاعيَّ طارقاً كنعجـة عـاد حتفَهـا تتحفّرُ
أثارت عليهـا شَفـرةً بكُراعِها فظلّت بهـا مـن آخر الليل تُجزَرُ
شمِتَّ بقوم هم صديقك أُهلكوا أصابهمُ يـوم مـن الدهرِ أَمعرُ[3]

فأجابه معاوية : أما بعد ، فإنّ الحسنَ قد كتب إليّ بنحوٍ ممّا كتبت به وأنَّبني بما لم أَجْن ظنّاً وسوءَ رأي ، وإنّك لم تَصب مَثَلنا ، ولكنْ مثلُنا ومثلُكم كما قال طارقٌ الخزاعيُّ : [من الطويل]

1 المهتر : الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

2 يظنّني : يتهمني .

3 الأمعر : القليل الخير ، وفي ل : أصعر .

فواللهِ مـا أَدري وإنّي لصادق إلى أَيٍّ مـن يَظَنّني أَتعذرُ ؟
أُعَنّف أَن كانتَ زبينةُ أُهلِكت ونال بني لِحيان شرّ ونُفِّروا

صوت

[من الكامل]

أبُنيّ إنّـي قـد كبرتُ ورابَني بَصري وفيّ لِمُصْلـحٍ مستمتَعُ
فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من البلى وحَلَّت لكم منّـي خَلائقُ أَربعُ[1]

عروضه من الكامل ، والشعر لِعَبْدة بنِ الطبيب ، والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ، عن إسحاق ، وفيه لمعبَد خفيفٌ ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عنه أيضاً .

1 في رواية المفضليات (146) :
فلئن هلكتُ لقد بنيت مساعياً تبقـى لكـم منهـا مآثر أربعُ

[442] ـ نسب عبدة بن الطبيب[1] وأخباره

[نسبه]

هو فيما ذكر ابنُ حبيبَ عن ابن الأعرابيِّ ، وأَبو نصر أَحمدُ بنُ حاتمٍ عن الأصمعيِّ وأبي عمرٍو الشيبانيِّ وأبي فرْوة العُكلِيِّ : عَبْدَة بن الطبيب ، والطبيب اسمه يزيدُ بنُ عمرِو بن وَعْلَةَ بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جُشَمَ بن عبد شمسٍ . ويقال : عَبْشَمْسُ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

وقال ابن حبيب خاصةً : وقد أخبرني أَبو عبيدة قال : تميم كلّها كانت في الجاهليّة يقال لها : عبدُ تَيمٍ ، وتَيمٌ ، صنم كان لهم يعبدونه .

[شاعر مجيد]

وعَبْدةُ شاعر مُجيد ليس بالمكثِر ، وهو مُخضْرَم ، أُدرك الإسلام فأَسلم ، وكان في جيش النُّعمان بنِ المُقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن . وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

هل حَبلُ خَوْلَةَ بعد الهَجرِ موصولُ ... أَم أَنت عنها بَعيدُ الدّارِ مشغولُ ؟

حلّـت خُوَيْلَـة في دارٍ مجاوِرةً ... أَهلَ المدينة فيها الديك والفيلُ[2]

يقارعـون رؤوس العُجْم ضاحيةً ... منهم فوارس لا عُـزْلٌ ولا مِيلُ[3]

[أرثى بيت قالته العرب في شعره]

أَخبرني محمدُ بنُ العبّاسِ اليزيديُّ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ عن عمِّه قال : أَرثى بيتٍ قالته العرب قول عَبْدَةَ بنِ الطبيب : [من الطويل]

فمـا كان قيس هُلْكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّـه بُنيـانُ قـوم تهدَّمـا

1 انظر أخباره في : المفضليات (مفضلية 26 ص 134) ، والشعر والشعراء 727/2 ، واللآلي 69–70 والإصابة 101/5–102 .

2 في المفضليات : المدائن ووردت كذلك في شعر عبدة بن الطبيب : 58 .

3 ميل : جمع أَميل ، وهو الجبان والسيء الركوب . أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح .

وتمام هذه الأبيات : أَنشدَناه عليٌّ بنُ سليمان الأَخفشُ عن السكريّ والمبرِّد والأَحول لعَبْدَة يرثي قيساً : [من الطويل]

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُه مـا شاء أَن يترحّما
تحيـةَ مـن أوليتَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما[1]
وما كان قيسٌ هُلكهُ هلكَ واحد ولكنّـه بُنيـانُ قـوم تهدَّما

[يترفع عن الهجاء]

أَخبرني محمد بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا أَبو عثمانَ الأُشنانداني عن التوّزيِّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : قال رجل لخالد بن صَفوانَ : كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يُحسن أن يهجو ، فقال : لا تقل ذاك ، فوالله ما أُتيَ من عِيٍّ ، ولكنّه كان يترفّع عن الهجاء ويراه ضَعة ، كما يرى تركَه مروءة وشرفاً ، قال : [من الوافر]

وأجـرأ مَـن رأيتُ بَظَهْر غيبٍ على عيب الرجالِ أولو العيوبِ

[عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعرٍ له]

أَخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ ، عن ابن الأعرابيّ : أنّ عبد الملك بنَ مروانَ قال يوماً لجلسائه : أيّ المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر ، كأنّها غِرْقىء[2] البيض . وقال آخرون : مناديل اليمن ، كأنّها نَوْر الربيع . فقال عبد الملك : مناديل أخي بني سعد عَبدةَ بن الطبيب ، قال : [من البسيط]

لمّـا نزلنـا نصبنا ظلّ أَخبيةٍ وفارَ لِلقومِ باللحمِ المراجيلُ[3]
وَرْدٌ وأَشقرُ ما يؤنيه طابخُه ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكولُ[4]
ثُمّتَ قمنا إلى جُرْد مُسوَّمةٍ أَعرافُهـنَّ لأَيدينـا مناديلُ

يعني بالمراجيل : المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

1 في شعر عبدة بن الطبيب 88 : ألبسته .
2 الغرقىء : القشرة الملتزقة ببياض البيض .
3 في المفضليات : 141 .
لما وردنا رفعنا ظِـلّ أرديـة وفارَ باللحم للقوم المراجيـل
وكذلك ورد في شعر عبدة بن الطبيب 73 .
4 في المفضليات :
ورداً وأشقر لم ينهئه طابخـه ما غيَّر الغلي منه فهو مأكول
وكذلك ورد في شعر عبدة 73 يؤنيه : يمهله . ولم ينهئه : أي ينضجه .

صوت

[من الرجز]

إنّ الليالي أُسرعَت في نقضي   أخذن بَعضي وتركــن بعضِي
حَنَيْنَ طُولي وطَوَين عَرْضي   أَقعدْنني مِن بعــد طولِ نهضِ

عروضه من الرّجز ، الشعر للأَغلب العجليّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، هزَج بالبنصر .

[443] ـ أخبار الأَغلب[1] ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما ذَكر ابن قُتَيبة ، الأغلبُ بن جُشمَ بن سعدِ بن عِجلٍ بن لُجَيم بن صعبِ بن عليٍّ بن بكرِ بن وائلٍ .

[إسلامه واستشهاده]

وهو أَحمد المعمَّرين ، عُمِّر في الجاهليّة عمراً طويلاً ، وأَدرك الإسلام فأَسلم ، وحَسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بنِ أبي وقّاص ، فنزلها ، واستُشهد في وَقعةِ بِنَهاوَنْدَ[2] ، فقبره هناك في قبور الشهداء .

[هو أوّل مَن رجز الأراجيز الطوال]

ويقال : إنّه أَوّل مَن رجّز الأَراجيز الطِّوال من العرب ، وإيّاه عَنى العجّاج بقوله مفتخراً : [من الرجز]

إنِّي أَنا الأَغلبُ أَمسى قد نشد

قال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحُداءِ والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بأبيات يسيرة ، فكان الأغلب أَوّلَ مَن قصّد الرجز ، ثم سلك الناسُ بعده طريقته .

[كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز]

أَخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمحيّ أَبو خليفة في كتابه إلينا ، قال : أخبرنا محمد بن سلاَّم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ . وأَخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ أبو الحسن الأَسديُّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال حدَّثنا مَعْمَر بنُ عبد الوارث عن أَبي عمرو بن العلاء ، قال : كانت للأَغلب سَرْحة يصعد عليها ، ثم يرتجز : [من الرجز]

---

1 انظر أخباره في : الجمحي : 148–149 والشعر والشعراء 613/2 . والاشتقاق 208 والمؤتلف 22 وأسد الغابة 105/1 والإصابة 56/1 واللآلي 801–802 والخزانة 332/1–333 .

2 نهاوند : من بلاد الجبل ، جنوبي همذان .

قــد عرَفَتْني سَرْحتي فأطَّتِ وقد شَمِطتُ بعدها واشمطَّتِ[1]

فاعترضه رجل من بني سعد ، ثم أحدِ بني الحارث بن عمرٍو بنِ كعب بنِ سعد ، فقال لـه : [من الرجز]

قَبُحتَ مـن سالِفةٍ ومن قفا عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا[2]

كما شِرار الرِّعْي أَطرافُ السَّفى[3]

[ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعره في الجاهلية]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثني محمدُ بن عباد بنِ حبيبٍ المُهلَّبيُّ ، قال : حدَّثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ ، قال : كتب عمرُ بنُ الخطّاب إلى المغيرة بن شُعبةَ وهو على الكوفة : أن استنشد مَن قِبَلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقـال : [من الرجز]

لقــد سألتَ هيِّنــا موجوداً أرجَــزاً تريـــدُ أم قصيـدا ؟

ثم أرسَلَ إلى لَبيد فقال له : إن شئتَ مِمّا عفا الله عنه ، يعني الجاهليّة ، فعلتُ . قال : لا ، أنشدني ما قلت في الإسلام . فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال : أبدلَني الله عزّ وجلّ بهذه في الإسلام مكانَ الشعر .

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر ، فنقَص عمرُ من عطاء الأَغلب خمسمائة ، وجعلها في عطاء لبيد ؛ فكتب إلى عمرَ : يا أمير المؤمنين ، أتنقص عطائي أن أطعتك ! فردّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة .

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز : قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة ، قال : حدَّثنا محمد بن حاتم ، قال : حدّثنا عليُّ بنُ القاسم ، عن الشعبيّ قال : دخل الأغلبُ على عمرَ ، فلمّا رآه قال : هِيهٍ ، أنت القائل : [من الرجز]

أرجــزاً تريــدُ أم قصيدا ؟ لقــد سألــتَ هيِّناً موجودا

فقال : يا أمير المؤمنين إنّما أطعتك ، فكتب عمر إلى المغيرة : أن اردد عليه الخمسَ المائةِ ، وأقِرّ الخمسَ المائة للبيد .

---

1 السرحة : الشجرة لا شوك فيها . أطّت : صوّتت .

2 أصل السّالفة : مقدم عنق الفرس .

3 الرِّعي : ما يُرعى .

[شعر في سجاح حين تزوّجت مسيلمة]

أَخبرنا أبو خليفةَ عن محمد بن سلاّم قال : قال الأغلب العجليّ في سجاح لمّا تزوّجت مُسيلمةَ الكذّاب : [من الرجز]

لقد لَقيتْ سجاح من بعد العمى ... مُلَوَّحـاً في العين مجلود القَرا[1]

مثـل الفنيق في شبابٍ قـد أَتـى ... مـن اللُّجَيْميّين أُصحابِ القِرى[2]

ليس بـذي واهنـة ولا نَسا ... نشا بلحـم وبخُبز مـا اشترى[3]

حتـى شتا يَنتح ذِفـراه الندى ... خاظي البَضيع لحمُـه خَظا بَظا[4]

كأنّما جمِّع مـن لحـم الخُصى ... إذا تمطَّـى بـين بُرديـه صأى[5]

كأَنَّ عِـرق أَيـره إذا ودى ... حَبلُ عجوز ضَفَّرت سبعَ قُوى[6]

يمشي عـلى قوائـمٍ خمس زَكا ... يرفع وُسطاهنّ من بَـرد النَّدى[7]

قالت : متى كنت أَبا الخير متى ؟ ... قـال حديثـاً لم يغيِّرني البِلى

ولم أُفـارق خُلَّـة لي على قِـلَى ... فانتُسفَتْ فَيشتُـه ذاتُ الشَّوى[8]

كأَن في أَجلادهـا سبـعَ كُلى ... مـا زال عنهـا بالحديث والمُنى[9]

والخُلقِ السَّفسافِ يُردي في الردى ... قـال : أَلا تَرَينَه قالـت : أُرى

قـال : أَلا أَدخِلـه ؟ قالت : بلى ... فشام فيهـا مثلَ محراث الغضى[10]

---

1 القرا : الظّهر .

2 الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى للكرامته على أهله ولا يركب .

3 الواهنة : ريح تأخذ في المنكبين ، أو في العضد ، أو في الأخدعين عند الكبر . النّسا : عرق من الورك إلى الكعبين .

4 ينتح : يخرج . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . خاظي : مكتنز . البضيع : ما انماز من لحم الفخذ ، جمع بضيعة . خظا : اكتنز وبظا ، توكيد لخظا .

5 صأى : صوّت .

6 ودى : المراد نعظ .

7 خمس زكا : خمس عدداً .

8 انتُسف اللون : التمع . وانتسف الطائر الشيء : نقره . الشوى : قحف الرأس .

9 أجلادها : أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو جملة شخصه ، وورد عند البكري : أجيادها . كُلى : من معاني الكلية : معقد حمالة القوس .

10 ورد في فصل المقال : قال ألا ألحمه . محراث : ما تحرك به النار .

يقول لما غابَ فيها واستوى لِمِثلها كنتُ أُحسِّيك الحَسا[1]

[من أخبار سجاح]

وكان من خبر سجاح وادّعائها النبوّة وتزويج مسيلمة الكذّاب إيّاها ما أُخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى ، عن أَبيه عن شعيب عن سيف : أَنَّ سجاح التميميّة ادّعت النبوّة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واجتمعَتْ عليها بنو تميم ، فكان فيما ادّعت أنّه أُنزل عليها : يا أيّها المؤمنون المتّقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنَّ قريشاً قوم يبغون .

واجتمعت بنو تميم كلّها إليها لتنصرها . وكان فيهم الأَحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلّها .

وكان مؤذِّنَها شبث بن ربعيّ الرياحيّ ، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذّاب وهو باليمامة ، وقالت : يا معشرَ تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كلّ هامة ، وأَضرموا فيها ناراً مِلْهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وقالتْ لبني تميم ، إنّ الله لم يجعل هذا الأَمر في ربيعة ، وإنّما جعله في مضر ، فاقصدوا هذا الجمع ، فإذا فضضتموه كررتم على قريش . فسارت في قومها وهم الدّهم[2] الداهم . وبلغ مسيلمةَ خبرُها ، فضاق بها ذرعاً ، وتحصَّن في حجر حصن اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في هذا الأَمر . ثم بعث إليها : إنّ الله ، تبارك وتعالى ، أنزل عليكِ وحياً ، وأنزل عليّ . فهَلُمِّي نجتمع ، فنتدارس ما أنزل الله علينا ، فمَن عرف الحقّ تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك .

فبعثَت إليه : أفعل ، فأَمَر بقُبّة أَدَم فضربَت ، وأمر بالعُود المَندَليّ[3] فسُجر فيها ، وقال :

---

1 مثل : ورد في باب «استعانة الرجل بإخوانه» «لمثل هذا كنت أُحسّيك الحسا» . وفي فصل المقال اختلف ترتيب الأشطار فجاءت كما يأتي :

تقذف عينه بمثل المصطكى يقول لما غاب فيها واستوى
«لمثلها كنت أُحسّيكَ الحُسا»

ورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري 178/2 ، 185 ، وكتاب الأمثال لمجهول 96 ، وفصل المقال 269 والمستقصى 295/2 .

2 الدهم : العدد الكثير .

3 العود المندلي : منسوب إلى مندل ، قرية بالهند .

أَكثِروا من الطيب والمِجْمر[1] ، فإنّ المرأة إذا شمّت رائحةَ الطيب ذكرت الباه ، ففعلوا ذلك .

وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبّة المضروبة للاجتماع ، فأَتته فقالت : هات ما أُنزِل عليك . فقال : أَلم تَر كيف فعل ربّك بالحبلى ، أخرج منها نُطْفة تسعى ، بين صِفاق[2] وحَشا ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربّهم يكون المنتهى . قالت : وماذا ؟ قال : أَلم ترَ أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنولج فيهنَّ الغراميل إيلاجاً ، ونخرجها منهنّ إذا شئن إخراجا . قالت : فبأيّ شيء أَمرك ؟ قال : [من الهزج]

أَلا قومي إلى النَّيكِ فقد هُيِّي لك المضجعْ
فإن شئتي ففي البيت وإن شئتي ففي المُخدعْ
وإن شئتي سلقناك وإن شئتي على أَربعْ[3]
وإن شئتي بثلثيه وإن شئتي به أَجمعْ

قال : فقالت : لا ، إلاّ به أَجمع . قال : فقال : كذا أُوحى الله إليّ ، فواقعها . فلمّا قام عنها قالت : إنّ مثلي لا يجري أمرُها هكذا ، فيكون وصمة على قومي وعليّ ، ولكنّي مُسلِّمةٌ النبوّة إليك ، فاخطبني إلى أوليائي يزوِّجوك ، ثم أقودُ تميماً معك .

فخرج وخرجَت معه ، فاجتمع الحيّان مِن حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنّه قرأ عليّ ما أُنزِل عليه ، فوجدته حقّاً ، فاتبعتُه ، ثم خطبها ، فزوّجوه إيّاها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر ، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لا يصلّونها ، ويقولون : هذا حقّ لنا ، ومهر كريمة منّا لا نردّه . قال : وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سَجاح في كلمةٍ له : [من البسيط]

أَضحَتْ نَبيّتنا أُنثى نُطيف بها وأَصبحت أنبياءُ اللهِ ذُكْرانا

قال : وسَمع الزبرقانَ بنَ بدرٍ الأَحنفُ يومئذٍ ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم ، فقال الأَحنف : والله ما رأيت أَحمق من هذا النبيّ[4] قَطّ . فقال الزبرقان : والله لأخبرن بذلك مسيلمةَ . قال : إذاً والله أحلف أنّك كذبت فيصدّقني ويكذّبك . قال : فأمسك الزبرقان ،

1 المجمر : ما يوضع فيه الجمر .
2 الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشاعر .
3 سلقها : بسطها فجامعها .
4 ل : هذه الأنبياء .

وعلم أنّه قد صدق .

قال : وحُدِّث الحسنُ البصريّ بهذا الحديث ، فقال : أَمِن واللهِ أَبو بحر من نزول الوحي . قال : فأسلمَت سجاحِ بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة ، وحسُن إسلامها .

صوت

[من السريع]

كم ليلةٍ فيكِ بتُّ أَسهرهـا ... ولوعـةٍ مـن هواك أُضمِرُها

وحُرقـةٍ والدمـوعُ تُطفئها ... ثـم يعـودُ الجوى فيُسعِرها

بيضاء رُود الشباب قد غُمِسَت ... في خَجل دائـب يعصفرها[1]

الله جـار لهـا فما امتلأت ... عيناي إلاّ من حيثُ أُبصرُها

الشعر للبحتريّ ، والغناء لعَريب ، رمَل مطلق من مجموع أَغانيها ، وهو لحن مشهور في أَيدي الناس ، والله أعلم .

1 الرود : الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء .

[444] ـ أخبار البحتريّ[1] ونسبه

[نسبه]

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بنِ عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمةَ بن مُسْهِر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جَدْي بن تدول بن بُحتر بن عَتود بن عَثَمة بن سَلامان بن ثُعَلَ بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمَةَ وهو طيِّىءِ بنُ أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

[شاعريته وندرة هجائه]

ويكنى أبا عُبادة ، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب ، نَقيّ الكلام ، مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروب الشعر ، سِوى الهجاء ، فإنّ بضاعته فيه نزْرة ، وجيّدُه منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنّ السبب في قلّة بضاعته في هذا الفنّ أنّه لّما حضره الموتُ دعا به ، وقال له : اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء . ففعل ، فأمره بإحراقه ، ثم قال له : يا بني ، هذا شيء قلتُه في وقت ، فشفيتُ به غيظي ، وكافأت به قبيحاً فُعل بي ، وقد انقضى أرَبي في ذلك ، وإن بقي رُوِي ، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودّة ، وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه ، قال : فعلمت أنّه قد نصحَني وأشْفق عليّ ، فأحرقته .

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأَخفش عن أَبي الغَوْث .

وهذا ، كما قال أبو الغوث ، لا فائدة لك ولا لي فيه ، لأنّ الذي وجدْناه وبقي في أَيْدي الناس من هجائه أكثرُهُ ساقط ، مثل قوله في ابن شيرزاد : [من المتقارب]

نفقْتَ نُفُــوق الحمار الذَّكَرْ ... وبــان ضُراطُـك عنّــا فمرْ

ومثل قوله في عليٍّ بن الجهم : [من الوافر]

ولو أَعطاك ربُّـك مـا تمَنَّى ... لزادك منــه في غِلَـظ الأَيورِ

---

1 انظر أخباره في الفهرست : 190 وتاريخ بغداد 13 : 476 والمنتظم 6 : 11 ومعجم البلدان (منبج) وابن خلكان 6 : 21 ومعجم الأدباء 6 : رقم (1216) : 2796 وعبر للذهبي 2 : 73 وسير الذّهبي 13 : 486 والبداية والنهاية 11 : 76 والنجوم الزاهرة 3 : 99 والشذرات 2 : 186 وأخبار البحتري للصولي (دمشق 1957) والموازنة للآمدي ، ويونس السامرائي : البحتري في سامراء (1-2) بغداد 1971 وخليفة الوقيان : شعر البحتري ، بيروت 1985 .

عَلامَ طَفِقْــت تهجـوني مليّاً بمـا لفَّقت مـن كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات ، ومثلها لا يُشاكل طبعَه ، ولا تليق بمذهبه ، وتنبىءُ بركاكتها وغَثاثة ألفاظها عن قِلَّة حَظّه في الهجاء . وما يُعرف له هجاءٌ جيّدٌ إلاّ قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش : [من المنسرح]

مرّت على عَزْمِها ولم تقفِ مُبدِيــةً للشّنــان والشَّنَفِ

يقول فيها لابن أبي قماش :

قد كان في الواجبِ المُحقّق أن تعرفَ ما في ضميرها النّطفِ
بما تَعاطيتَ في العيوبِ وما أُوتِيت من حكمة ومن لَطَفِ
أَمَا رأيت المرِّيخَ قد مازج الزّ هرة في الجدِّ منــه والشَّرَفِ
وأخبرتــك النّحـوسُ أنّكما في حالتـي ثابـت ومُنْصَرَفِ
من أين أعملت ذا وأنت على التَّقْويم والزِّيج جِدّ مُنعكفِ
أما زجرتَ الطَّير العلا أو تَعَيَّـ ـفت المها أو نظرت في الكَتِفِ
رذُلت في هــذه الصناعةِ أو أَكديتَ أو رمتَها على الخَرَفِ
لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرِفاً إلاّ وخَلخالُهـا مـع الشَّنَفِ[1]

وهي طويلةٌ ، ولم يكن مذهبي ذكرها إلاّ للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس ، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصرانيّ ، فإنّها ، وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها ، تجري مجرى التَّهكّمّ باللفظ الطيِّب الخبيث المعاني ، وهي : [من المتقارب]

تظـنّ شُجُـونيَ لم تَعْتَلِـجْ وقـد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ

وكان البحتريّ يتشبَّه بأبي تمّام في شعره ، ويَحْذو مَذْهَبه ، ويَنْحو نحوَه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويُقدّمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصِف : إنّ جَيّدَ أبي تمّام خيرٌ من جَيِّدِه ، ووسَطَه ورَدِيئَه خيرٌ من وسط أبي تمّام ورديئه ، وكذا حكم هو على نفسه .

[مع أبي تمام]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ : قال : حدَّثني الحسين بن علي الياقُطانيّ : قال : قلت للبحتريّ : أيُّما أشعر أنتَ أو أبو تمام ؟ فقال : جيّده خير من جيّدي ، ورَديئي خَيْر من رديئه .

1 الشّنف : ما عُلّق بالأذن .

حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثني أَبو الغوث يحيى بن البحتريّ : قال : كان أَبي يُكنّى أبا الحسن ، وأبا عبادة ، فأشير عليّ في أيّام المتوكّل بأن أقتصر على أبي عبادة ، فإنّها أشهر ، فاقتصرت عليها .

حدَّثني محمد قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرّد في سنة ستّ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله ـ : أنت واللهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر ، قال : كلاّ والله ، إنّ أبا تمام للرّئيسُ والأستاذُ ، واللهِ ما أكلتُ الخبزَ إلاّ به ، فقال له المُبرّد : لله دَرُّك يا أبا الحسن ، فإنّك تأبى إلاّ شرَفاً من جميع جوانِبك .

حدَّثني محمد : قال : حدَّثني الحسين بن إسحاق : قال : قلت للبحتريِّ : إنّ الناس يزعمون أنّك أشعر من أبي تمام ، فقال : والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضرّ أبا تمام ، والله ما أكلت الخبزَ إلاّ به ، ولَوَدِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا : ولكنّي والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به ، نَسِيمي يركدُ عند هوائه ، وأرضي تَنْخَفِض عند سمائه .

حدَّثني محمدُ بن يحيى : قال : حدَّثني سَوَّار بن أَبي شراعة ، عن البحتريّ : قال : وحدَّثني أبو عبد الله الألوسيّ ، عن عليّ بن يوسف[1] ، عن البحتريّ : قال : كان أوّلَ أمري في الشعر ونباهتي أنّي صِرتُ إلى أبي تمّام ، وهو بِحمْص ، فعرضتُ عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ ، وترك سائرَ مَنْ حضر ، فلمّا تفرّقوا قال لي : أنتَ أشعرُ مَنْ أنشَدني ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلَّةً[2] فكتب إلى أهل مَعَرَّة النُّعمان ، وشهد لي بالحِذق بالشعر ، وشفع لي إليهم وقال : امتدحْهم ، فصرتُ إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أوّلَ مالٍ أَصبتُه . وقال عليّ بن يوسف في خبره : فكانت نسخة كتابه : «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عُبادَة الطائيّ ، وهو ، على بذاذته[3] ، شاعر ، فأَكرموه» .

[يعشق غلاماً فيلتحي]

حدَّثني جَحظةُ : قال : سمعتُ البُحتريّ يقول : كنت أَتعشّقُ غلاماً من أَهلِ مَنْبج يقال له شُقران ، واتفق لي سفرٌ ، فخرجت فيه ، فأطلت الغَيْبة ، ثم عُدتُ ، وقد التحى ، فقلت فيه ، وكان أوّلَ شعر قلتُه : [من مجزوء الرمل]

1 ل : علي بن سيف .

2 الخلة : الحاجة .

3 بذاذته : سوء حاله ، ورثاثة هيئته .

نَبتَــتْ لِحْيَــةُ شُقْـرا ... نَ شقِيــقِ النَّفْسِ بَعْدي
خُلِقــت ، كيــف أتتــه ... قبــل أن يُنجِزَ وعدي !

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شنْدان .

[بدء التعارف بينه وبين أبي تمام]

حدَّثني عليّ بن سليمان : قال : حدَّثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه ، وحدَّثني عمِّي : قال : حدَّثني علي بن العبّاس النُّوبَخْتيّ عن البحتريّ ، وقد جمعت الحكايتين ، وهما قريبتان : قال : أوّل ما رأيتُ أبا تمَّام أنِّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقال مدحته بقصيدتي : [من الكامل]

أأفاق صبٌّ من هَـوًى فأُفِيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا ؟

فسُرّ بها أبو سَعيد ، وقال : أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ ، قال : وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه ، فوق كلّ من حضر عنده ، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبتَه ، فأقبل عليَّ ثم قال : يا فتى ، أما تستحي منِّي ! هذا شِعْر لي تنتحله ، وتنشده بحضرتي ! فقال له أبو سعيد : أحقّاً تقول ! قال : نعم ، وإنّما عَلِقه منِّي ، فسبقني به إليك ، وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة ، حتى شَكَّكني ، علمَ الله ، في نفسي ، وبقيت متحيِّراً ، فأقبل عليّ أبو سعيد ، فقال : يا فتى ، قد كان في قرابتك منّا ووُدّك لنا ما يُغنيك عن هذا ، فجعلتُ أحلِف له بكلّ مُحْرِجَة من الأَيْمانِ أنَّ الشعر لي ما سبَقني إليه أحَدٌ ، ولا سَمعته منه ، ولا انتحلتُه ، فلم ينفعْ ذلك شيئاً ، وأَطرَق أبو سعيد ، وقُطِع بي ، حتى تمنَّيت أنِّي سُخْتُ في الأرض ، فقمت منكسرَ البال أجرُّ رِجليَّ ، فخرجت ، فما هـو إلاّ أن بلغتُ بابَ الدّارِ حتى خرج الغِلمان فردّوني ، فأقبل عليّ الرجل ، فقال : الشعرُ لك يا بنيّ ، والله ما قلتُه قطّ ، ولا سمعتُه إلاّ منك ، ولكنَّني ظنَنتُ أنّك تهاونتَ بمَوْضعي ، فأقدمتَ على الإنشادِ بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تُريد بذلك مُضاهاتي ومُكاثَرتي ، حتى عرَّفَـني الأميرُ نسبَك وموضعَك ، ولَوَدِدْت ألاّ تلد أبداً طائِيَّـةٌ إلا مثلَك ، وجعل أبو سعيد يضْحَك ، ودعاني أبو تمام ، وضَمَّني إليه ، وعانَقني ، وأقبل يُقرّظني ، ولَزِمْته بعد ذلك ، وأَخذتُ عنه ، واقتديتُ به ، هذه رواية مَن ذكرت .

[إشادته بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري]

وقد حدَّثني عليُّ بن سليمان الأَخفش أَيضاً : قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحُسين بن سَندٍ القُطْرُبُّلِيّ : أنّ البحتريّ حدَّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثَّغْريّ ، وقد مدحه بقصيدة ، وقَصَده بها ، فألفى عنده أبا تمّام وقد أنشده قصيدة له فيه ، فاستأذنه البحتريّ في الإنشاد وهو يومئذٍ حَديثُ السّنّ ، فقال له : يا غلام أتنشدني بحضرة أبي تمّام ؟ فقال : تـأذن

ويستمع ، فقام ، فأنشده إيّاها ، وأبو تمّام يسمع ويهتزّ من قَرْنه إلى قدمه استحساناً لها ، فلمّا فرغ منها قال : أحسنتَ والله يا غلام ، فممَّن أنت ؟ قال : من طيّىء ، فطَرِب أبو تمّام وقال : من طيّىء ، الحمد لله على ذلك ، لَوَدِدْت أنَّ كلّ طائيةٍ تَلِدُ مِثلَك ، وقبَّل بَين عينيه ، وضمّه إليه وقال لمحمد بن يوسف : قد جعلتُ له جائزتي ، فأمر محمد بها ، فضُمَّت إلى مثلها ، ودفِعت إلى البحتريّ ، وأعطى أبا تَمّام مثلها ، وخُصَّ به ، وكان مدّاحاً له طول أيّامه ولابنه بعده ، ورثاهما بعد مقتليهما ، فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروي أنّه قيل له في ذلك فقال : من تمام الوفاء أن تفْضُل المَراثي المدائحَ لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال : كنّا نَعْمَلُ للرَّجاء ، نحن نَعْمَل اليوم للوفاء . وبينَهما بُعْد .

[كان بخيلاً زري الهيئة]

حدَّثني حكم بن يحيى الكنتحي قال : كان البحتريّ من أَوسخ خلق الله ثَوْباً وآلة وأبخلهم على كلّ شيء ، وكان له أخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوعُ أتياه يبكيان ، فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مُضيِّقاً مُقتّراً ، ويقول : كُلا ، أجاعَ اللهُ أكبادكما ، وأعْرى أجلادَكما وأطال إجهادكما .

قال حكم بن يحيى : وأَنشدته يوماً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يُحرّك رأسه ، فقلت له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ، ليس له طعم ولا معنى .

وحدَّثني أبو مسلم محمدُ بنُ بحر الأَصبهانيّ الكاتب ، قال : دخلت على البحتريّ يوماً فاحتبسَني عنده ، ودعا بطعامٍ له ، ودعاني إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخٌ شاميٌّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطّعام ، فتقدّم ، وأكل معه أكلاً عنيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفتَ إليّ ، فقال لي : أتعرف هذا الشيخَ ؟ فقلت : لا ، قال : هذا شيخ من بني الهُجَيْم الذين يقول فيهم الشاعر : [من الكامل]

وبَنو الهُجَيْم قبيلةٌ مَلْعونةٌ حُصُّ اللِّحى مُتشابهو الأَلْوانِ[1]

لو يسمعون بأَكلة أَو شَرْبة بعُمانَ أَصبح جَمعُهم بعُمانِ

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

[ماء من يد حسناء]

وحدَّثني جحظة : قال : حدَّثني عليّ بنُ يحيى المُنَجّمُ : قال : اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء ، وهي أحسنُ من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولَمن هذا الماء ؟ قالت : لستّي قُبَيْحة ، قال : صُبِّيه في حَلْقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحتريّ : قُل

1 حصى اللحى : قليلو شعر اللحية .

في هذا شيئاً ، فقال البحتريّ : [من البسيط]

ما شَرْبَةٌ من رَحِيقٍ كأسُها ذَهَبٌ جاءَت بها الحُورُ من جَنَّاتِ رِضْوانِ
يوماً بأَطيبَ من ماءٍ بلا عَطَشٍ شربتُه عبثاً من كفِّ بُرْهانِ

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفش ، وأحمدُ بن جعفر جحظة : قالا : حدَّثنا أبو الغوث بن البحتريّ : قال : كتبتُ إلى أبي يوماً أطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ بنصف قِنِّينةٍ دُرْديّ[1] ، وكتب إليّ : دونكها يا بنيّ ، فإنّها تكشف القَحْط ، وتضبطُ الرَّهط . قال الأخفش ، وتُقِيتُ الرَّهط .

[قصته مع أحمد بن عليّ الإسكافيّ]

حدَّثني أبو الفضل عبّاسُ بن أحمد بن ثوابةَ قال : قدِم البحتريُّ النِّيلَ[2] على أحمد بنِ عَليّ الإسكافيّ مادحاً له ، فلم يُثِبْه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

ما كسبنا من أحمدَ بنِ عَليٍّ ومن النِّيلِ غيرَ حُمَّى النِّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أوّلها : [من الخفيف]

قِصَّةُ النِّيلِ فاسمعوها عُجابَه

فجمع إلى هجائه إيّاه هجاءَ أبي ثَوابة ، وبلغ ذلك أبي ، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فردَّه إليه ، وقال : قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رِفْدِكم ، فكتب إليه أبي : أمّا الإساءة فمَغفُورة وأمّا المعذرة فمشكورة ، والحَسناتُ يُذهِبْن السيئات ، وما يأسو جراحَك ، مثلُ يدك وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ ، وأضعفته ، فإن تلافَيْتَ ما فرط منك أثبنا وشكرنا ، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا . فقبل ما بعث به ، وكتبَ إليه : كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري ، وقد أسلفْتَني ما أخجَلَني ، وحمَّلْتَني ما أثقلني ، وسيأتيك ثنائي . ثم غدا إليه بقصيدة أوّلها :

ضَلالٌ لها ماذا أَرادت إلى الصَّدّ

وقال فيه بعد ذلك :

برقٌ أَضاء العقيقَ من ضَرَمِهْ

وقال فيه أيضاً :

دانٍ دعا داعي الصِّبا فأَجابَهْ

قال : ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ، ويتابع برّه لديه حتى افترقا .

1 الدُّرديّ : ما رسب أسفل من كلّ شيء مائع .
2 النِّيل : بليدة في سواد الكوفة ، ونهر من أنهار الرقة (ياقوت) .

[شعره في نسيم غلامه]

أخبرني جحظة قال : كان نسيمٌ غُلامُ البحتريّ الذي يقول فيه : [من الطويل]

دَعا عَبْرتي تجرِي على الجَور والقصد   أظنُّ نسيماً قارفَ الهمَّ من بعدي[1]

خَلا ناظِري من طيفِه بعد شخصِه   فيـا عجبـا للدَّهـر فقـدٌ على فَقْدِ

غلاماً روميّاً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيَل على النّاس ، فكان يبيعُه ويعتمد أن يُصيّره إلى مِلْك بعض أهل المروءات ومَن ينفق عنده الأدب ، فإذا حصل في مِلْكِه شَبَّب به ، وتشوّقه ، ومدح مولاه ، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات نسيم ، فكُفِي النَّاسُ أمرَه .

[خبره مع محمد بن علي القميّ وغلامه]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : كتب البحتريّ إلى أَبي محمد بن عَليٍّ القُمِّيّ يستَهديه نبيذاً ، فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أمرد ، فجَمَّشه[2] البحتريّ ، فغضب الغلامُ غضباً شديداً ، دلَّ البحتريَّ على أنّه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه : [من المتقارب]

أَبـا جعفـرٍ كان تَجْمِيشُنا   غلامَك إحدى الهَنـات الدَّنِيَّـهْ

بعثـتَ إلينـا بشمس المُـدامِ   تضيء لنـا مـع شمس البريَّـهْ

فليـت الهديّـة كان الرّسول   وليـتَ الرسولَ إلينـا الهَـدِيَّهْ

فبعث إليه محمدُ بنُ عَليّ الغُلامَ هَدِيّة ، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدّة ، خجلاً ممّا جرى ، فكتب إليه محمدُ بن عليّ : [من الطويل]

هجرتَ كأنّ البِرّ أَعقب حِشمَةً   ولم أَرَ وَصْلاً قبل ذا أَعقب الهَجْرا

فقال فيه قصيدته التي أَوّلها : [من الطويل]

فتى مَذْحج غَفْراً فتى مذحجٍ غُفْرا[3]

وهي طويلة . وقال فيه أيضاً : [من الكامل]

أَمواهـبٌ هاتيـك أَم أَنـواءُ   هُطُـلٌ وأَخـذٌ ذاكَ أَم إعطـاءُ

إن دامَ ذا أَو بَعضُ ذا مَن فعل ذا   ذهب السخاءُ فلا يُعَـدُّ سَخاءُ[4]

---

1 قارف في ل : قارن .

2 التجميش : المغازلة والملاعبة .

3 مذحج : أكمة ، ولدت مالكاً وطيئاً أمهما عندها ، فسمّوا مذحجاً .

4 فلا يعدُّ سخاءُ في الديوان : «فلا يُحسّ سخاء» .

ليس الذي حلّت تمِيمٌ وسْطَه الدَّهـ ـناء ، لكـن صدرُكَ الدّهناءُ[1]

ملـك أغـرّ لآل طَلحـة مَجدُه كفّـاه بحـرُ سماحـةٍ وسماءُ[2]

وشريف أشراف إذا احتكَّت بهم جُـرْبُ القبائل أحسنوا وأساءوا[3]

أمحمدُ بـنَ عـليٍّ اسمَعْ عُـذْرَةً فيهـا شفـاءٌ للمُسيء ودَاءُ

مالي إذا ذُكِر الكـرامُ رَأيتُنـي ما لي مـع النّفر الكـرام وَفاءُ ؟

يضفو علـيَّ العَذْلُ وهو مُقاربٌ ويَضيق عنّي العُذْرُ وهْـوَ فَضاءُ

إنّي هجرتُك إذا هجرتُك حِشْمةً لا العَوْدُ يُذهِبُهـا ولا الإبداءُ[4]

أخجلتَني بنَـدى يديْك فسوَّدَتْ مـا بيننا تلـك اليـدُ البَيضاءُ

وقطعتَنـي بـالبرّ حتـى إنّنـي متوهّـم أن لا يكـون لقاءُ[5]

صِلَةٌ غدَت في النّاسِ وَهْي قطِيعَةٌ عجبـاً وبِـرٌّ راح وَهْـو جَفاءُ

ليواصِلنَّك رَكْبُ شِعريَ سائـراً تُهدى بـه في مدحك الأعداءُ[6]

حتى يتـمّ لك الثّنـاءُ مُخَلَّداً أبـداً كما دامـت لك النّعماءُ[7]

فتظلَّ تَحسُدك الملوكُ الصيدُ بـي وأظَـلّ يحْسُدني بِـك الشُّعراءُ

[موته بالسكتة]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفش : قال : سألني القاسِم بن عبيد الله عن خبر البُحتريّ ، وقد كان أُسكت ، ومات من تلك العِلّة ، فأخبرتُه بوفاته ، وأنّه مات في تلك السّكتة ، فقال : ويحه رُمي في أحسَنِه .

[أبو تمّام يعلّم البحتريّ الاستطراد]

أخبرني محمد بن يحيى : قال : حدَّثني محمدُ بن عليّ الأنباريّ : قال : سمعتُ البَحتريَّ يقول : أنشدني أبو تمّامٍ يوماً لنفسه : [من البسيط]

وسابحٍ هطـلٍ التَعـداء هتّـان على الجـراء أمِـينٍ غير خـوّانِ

1 وسطه الدّهناء ، لكن صدرُكَ في الديوان : وسطها الدهناء لكن صدرها .

2 مجدُه في الديوان : نَجْرُه .

3 وأساءوا في الديوان : دواء .

4 الشطر الأول في الديوان : إني هجرتُك إذ هجرتُك حشمة .

5 متوهّم في الديوان : متوهم .

6 الشطر الثاني في الديوان : تُهدى به في مدحك الأعداء .

7 كما دامت في الديوان : كما دافعت .

أظْمى الفصُوصِ ولم تظمأ قوائِمهُ فخَـلٌّ عينيك في ظمـآنَ رَيَانِ[1]
فلو تــراه مُشِيحاً والحصى زِيَمٌ بين السّنابك من مثْنًى ووُحدانِ[2]
أيقنــتَ إنْ لم تثَبَّتْ أنّ حافـرَه من صَخْرِ تَدْمُرَ أو من وَجْه عثمانِ[3]

ثم قال لي : ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري ، قال : هذا هو المستطرد ، أو قال الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُريك أنّه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاءَ عثمان ، وقد فعل البحتريّ ذلك ، فقال في صِفة الفرس : [من الكامل]

ما إن يَعافُ قَذًى ولو أَوردتَه يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأَحْول

وكان حمدويه الأحولُ عدوّاً لمحمد بن علي القُمّيّ الممتدَح بهذه القصيدة فهجاه في عُرض مدحه محمداً . والله أعلم .

[أبو تمّام يشيد به]

حدَّثني عليُّ بن سليمان الأخفش : قال : حدَّثني أبو الغَوْث بن البُحتريّ : قال : حدَّثني أبي : قال : قال لي أبو تمّام : بلغني أنَّ بني حميد أعطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به ، فأنشدني شيئاً منه ، فأنشدته بعضَ ما قلتُه فيهم ، فقال لي : كم أعطَوْك ؟ فقلت : كذا وكذا ، فقال : ظلموك ، والله ما وَفَوْك حقّك ، فلِمَ اسْتكثرتَ ما دفعوه إليك ؟

والله لَبيتٌ منها خَيرٌ ممّا أخذْت ، ثم أطرق قليلاً ، ثم قال : لعَمْري لقد استكثرت ذلك ، واستُكثِر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرامُ ، وغاضت المكارمُ ، فكسدت سُوقُ الأدب ، أنت والله يا بُنَيَّ أميرُ الشعراء غداً بعدي ، فقمتُ فقبّلت رأسَه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي ممّا وصل إليَّ من القوم .

[أبو تمّام ينعى نفسه]

حدَّثني محمد بن يحيى عن الحسن بن عليّ الكاتب : قال : قال لي البحتريّ : أنشدتُ أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فتمثَّل ببيت أوس بن حجر : [من الطويل]

إذا مُقــرَمٌ منّــا ذرا حدُّ نابه تخمَّطَ فينا نــابُ آخرَ مُقرَمِ[4]

ثم قال لي : نعيتَ والله إليّ نفسي ، فقلتُ : أُعيذك بالله من هذا القول ، فقال : إنّ عمري لن يَطول ، وقد نشأ في طيىء مِثلُك ، أمَا علمتَ أنّ خالدَ بن صفوان رأى شبيبَ بنَ شَيْبة ،

---

1 الفصوص : المفاصل . تظمأ : تَضْمر .
2 زيم : جمع زيمة ، وهي القطعة من الشيء .
3 عثمان بن إدريس .
4 المُقرم : السيّد المقدم ، تشبيهاً بالمقرم من الإبل . وذرا حدّ نابه : انكسر . والتخمّط : الأخذ والقهر بغلبة .

وهو من رَهْطه يتكلَّم ، فقال : يا بُنَيّ ، لقد نَعى إليّ نفسي إحسانُك في كلامِك ، لأنَّا أهلُ بيت ما نشأ فينا خَطِيبٌ قطّ إلاّ مات مَن قبله ، فقلت له : بل يُبقِيك الله ، ويجعلني فداءَك .
قال : ومات أبو تمّام بعد سنة .

[يضجر المتوكل من عُجبه بنفسه فيغري به الصيمري]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : حدَّثني أبو العَنْبَس الصَّيْمريّ قال : كنتُ عند المتوكّل والبُحتريّ يُنشِده : [من مجزوء الكامل]

عَـن أيّ ثغـــر تبتَسِمْ وبـأيّ طـرفٍ تحتكمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله :

قُـل للخلِيفَة جعفـر الــ ـمتوكّـلِ بـنِ المعتصِـمْ
المُبْتــدي للمُجْتَـدي والمُنعِـم بـــنِ المُنتقِـمْ
اسلَـــمْ لدِيـنِ محمـدٍ فـإذا سلمتَ فقـد سَلِـمْ

قال : وكان البحتريّ من أبغض النّاس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور[1] في مشيه مرّة جانباً ، ومرّة القَهْقَرى ، ويهزّ رأسَه مَرَّة ، ومنكبيه أُخرى ، ويشير بكُمِّه ، ويقف عند كلّ بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يُقبِل على المستمعين ، فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يُحسِن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجِر المتوكِّل من ذلك وأقبل عليَّ ، وقال : أما تسمع يا صَيْمَريّ ما يقول ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، فمُرْني فيه بما أحببتَ ، فقال : بحياتي اهجُه على هذا الرّويّ الذي أنشدَنيه ، فقلت : تأمُر ابنَ حمدون أن يكتب ما أقول ، فدَعا بدواةٍ وقرطاسٍ ، وحضَرَني على البديهة أن قلت : [من مجزوء الكامل]

أدخلتَ رأسك في الرّحمِ وعلمـتَ أنَّـكَ تنهزمْ
يـا بحتريُّ حَـذارِ وَيْحَـ ـكَ من قُضاقِضةٍ ضُغُمْ[2]
فلقــد أسَلْــتَ بواديَيْـ ـكَ من الهِجا سَيْلَ العَرِمْ
فبـأيّ عِـرْضٍ تَعتَصِـمْ وبِهَتْكِـه جَـفَّ القَلَمْ ؟
والله حِلْفَـــةَ صـادقٍ وبقبــرِ أحمـد والحــرَمْ
وبحــق جعفـــرٍ الإمـا مِ ابـنِ الإمـام المعتَصِمْ

1 يتزاور : ينحرف .
2 القضاقض : الأسد ، وجمعه قضاقضة . وضغمه : عضه بملء فيه . فهو ضاغم والجمع ضُغُم .

لأُصَيِّرَنَّـــك شُهـــرةً بـــين المَسِيـل إلى العَلَمْ
حَـــيِّ الطَّلول بذي سلَمْ حيـث الأَراكـةُ والخِيَمْ
يـــا ابنَ الثَّقِيلَـــة والثقيـ ـل على قُلوبِ ذَوِي النَّعَمْ
وعـــلى الصغير مع الكبـ ـير مـن المَوالي والحَشَمْ
في أيِّ سَلْـح ترتطـمْ وبـــأيِّ كـفٍّ تلتقِمْ ؟
يا ابـنَ المُباحـةِ للوَرى أَمِـن العفـاف أم التُّهَمْ
إذ رَحْـلُ أختك للعَجَم وفـراشُ أُمِّك في الظُّلَمْ
وببـــاب دارِك حانَـــةٌ في بَيْتِـه يُؤْتـى الحَكَمْ[1]

قال : فغَضِب ، وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمْ وعلمـــتَ أنَّك تَنْهَـزِمْ

والمتوكّل يضحك ، ويصفّق حتى غاب عن عينه .

هكذا حدَّثني جحظة عن أبي العَنْبَس .

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخطّ الشاهيني حكاية عن أَبي العَنْبَس ، فرأَيتُها قريبة اللفظ ، موافقةَ المعنى لما ذكره جحظةُ ، والذي يتعارفه الناس أنّ أَبا العَنْبَس قال هذه الأبيات ارتِجالاً ، وكان واقفاً خلف البحتريّ ، فلمّا ابتدأ وأنشد قصيدته : [من مجزوء الكامل]

عن أيِّ ثغـــرٍ تبتسِمْ وبـــأيِّ طـــرْف تحتكِمْ

صاح به أَبو العَنْبَس من خلفه :

في أَيِّ سَلْـــح ترتَطِـم وبـأَيِّ كَـفٍّ تَلْتَقِـمْ
أدخلتَ رأسَك في الرَّحِم وعلمـــتَ أَنّـك تنهـزِمْ

فغضب البحتريّ ، وخرج ، فضحك المتوكّل حتى أكثر ، وأمَر لأبي العَنْبَس بعشرة آلاف درهم والله أَعلم .

وأَخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ ، وحدَّثني عبد الله بن أَحمد بن حمدون عن أبيه : قال : وحدَّثني يحيى بن عليّ عن أبيه : أنّ البحتريّ أنشد المتوكّل ، وأبو العَنْبَس الصَّيْمريّ حاضر ، قصيدَتَه : [من مجزوء الكامل]

---

1 مثل ورد في فصل المقال 76 وكتاب الأمثال لأبي فيد 47 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 368/1 ، و89/2 ، 101 والدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني 456/2 ، ومجمع الأمثال 72/2 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 183 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 54 وكتاب الأمثال لمجهول 80 .

عــن أيّ ثَغْــر تَبْتَسم وبــأيّ طَـرْف تحتكمْ ؟

إلى آخرها ، وكان إذا أُنشد يختال ، ويعجب بما يأتي به ، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأوّل ، فلمّا ردّه بعد فراغه منها . وقال :

عــن أيّ ثغــر تبتسم وبــأيّ طـرف تحتكم

قال أبو العَنْبَس وقد غمزه المتوكّل أن يولع به :

في أيّ سَلْــحٍ تَرْتَطِـم وبــأيّ كَــفٍّ تلتقــمْ
أدخلتَ رأسكَ في الرّحم وعلمــتَ أنّــك تَنْهَزِمْ

فقال نصف البيت الثاني ، فلمّا سمع البحتريُّ قوله ولّى مُغْضَباً ، فجعل أبو العَنْبَس يصيح به :

وعلمــتَ أنّــك تَنهـزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غُلِب ، وأمر لأبي العَنْبَس بالصّلة التي أُعِدّت للبحتريّ .

قال أحمد بن زياد : فحدَّثني أبي : قال : جاءني البحتريّ ، فقال لي : يا أبا خالد أنت عشيرتي وابنُ عمّي وصديقي ، وقد رأيتَ ما جرى عليَّ ، أفتأذنُ لي أن أخرج إلى مَنْبج بغير إذن ، فقد ضاع العِلْم ، وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعل من هذا شيئاً ، فإنّ الملوك تمزَح بأعظم ممّا جرى ، ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه ذلك ، فقال له نحواً من قولي ، ووصله ، وخلع عليه ، فسكن إلى ذلك .

[الصيمريّ وسخريته بعد موت المتوكّل]

حدَّثني جحظةُ عن عليّ بن يَحْيى المُنجِّم : قال : لمّا قُتِل المتوكِّل قال أبو العَنْبَس الصَّيمريُّ : [من السريع]

يا وحشةَ الدُّنيـا عـلى جَعْفَرٍ عـلى الهمـامِ الملــك الأَزْهَرِ
على قتيـلٍ مــن بنـي هاشمٍ بـين سريـر المُلْــك والمِنْبَرِ
واللهِ ربّ البَيْــتِ والمَشْعَـر واللهِ أن لـو قُتِــلَ البُحْتُري
لثـــارَ بـــالشّامِ لـــه ثائـرٌ في ألف نَغْلٍ من بني عَضْ خَري[1]
يقدُمهـــم كُـــلُّ أخـي ذِلّـة عـلى حمـارٍ دابِــرٍ أعْــورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتريّ ، فضحك ثم قال : هذا الأحمق يرى أنّي أُجيبُه على مثل هذا ، فلو عاش امرؤ القيس ، فقال ، مَن كان يجيبه ؟

1 النّغل : ابن الزنا .

[445] ـ ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

[منزلتها في الغناء والأدب]

كانت عَرِيب مغنّيةً محسنةً ، وشاعرةً صالحة الشعر ، وكانت مليحةً الخطّ والمذهب في الكلام ، ونهايةً في الحسن والجمال والظّرف ، وحسن الصورة وجودة الضّرب ، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار ، والرواية والشعر والأدب ، لم يتعلّق بها أحدٌ من نظرائها ، ولا رُؤي في النساء بعد القيانِ الحجازيّات القديمات ، مثل جميلة وعَزّة الميلاء وسَلاّمة الزرقاء ومَن جَرى مَجْراهن ، على قِلّة عَدَدهنّ ، نظيرٌ لها ، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ ممّا يكون لمثلها من جواري الخلفاء ، ومَنْ نشأ في قصور الخلافة وغُذّي برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيش الحجاز ، والنشء بين العامّة والعرب الجفاة ، ومن غلُظ طبعه ، وقد شهد لها بذلك مَنْ لا يحتاج مع شهادته إلى غيره .

أخبرني محمد بن خلف وَكِيع ، عن حمّاد بن إسحاق : قال : قال لي أبي : ما رأيتُ امرأة أضربَ من عَرِيب ، ولا أحسنَ صنعة ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أخفَّ رُوحاً ، ولا أحسنَ خِطاباً ، ولا أسرعَ جَواباً ، ولا ألعبَ بالشّطرنج والنّرد ، ولا أجمعَ لخَصْلة حَسَنة لم أرَ مثلَها في امرأة غيرها . قال حمّاد : فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قلت : أفسمعتها ؟ قال : نعم هناك ، يعني في دار المأمون ، قلت : أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحِذق ؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبيك ، فهو أعلم منّي بها ، فأخبرتُ بذلك أبي ، فضحك ، ثم قال : ما استحييْتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا .

[هي وإسحاق والخليفة المعتصم]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدّثني أبي ، قال : قال لي إسحاق : كانت عندي صَنّاجة[1] كنت بها مُعجباً ، واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ، فبينا أنا ذات يوم في منزلي ، إذ أتاني إنسان يَدُقّ الباب دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؟ فقالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبت صنّاجتي ، تجدُه ذكرها له ذاكرٌ ، فبعث إليّ فيها . فلما مضى بي الرسول انتهيتُ إلى الباب ، وأنا مثخَن ، فدخلت ، فسلّمت ، فردَّ عليَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي ، فقال لي : اسكن ، فسكنت ، فقال لي : غنِّ صوتاً[2] وقال لي : أتدري لِمَن هو ؟

1 الصناجة : آلة موسيقية ذات أوتار .

2 ل : فسألني عن صوت .

فقلت : أَسمعه ، ثم أُخبرُ أَميرَ المؤمنين إن شاء الله بذلك ، فأمر جارية من وراء الستارة ، فَغَنَّته وضربت ، فإذا هي قد شبَّهته بالغناء القديم ، فقلت : زِدني معها عوداً آخر ، فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ، فقلت : هذا الصوت مُحَدث لامرأة ضاربة ، قال : من أين قلت ذاك ؟ قلت : لّما سمعت لِينَه عرفت أنّه مُحدَث من غناء النساء ، ولّما رأيت جَودَة مقاطِعِه علمت أنّ صاحبته ضاربة ، وقد حَفِظت مقاطِعَه وأجزاءَه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ، فلم أشكّ ، فقال : صدقت ، الغناء لعَرِيب .

قال ابن المعتزّ : وقال يحيى بن عليّ : أَمرني المعتمد على الله أَن أَجمع غناءَها الذي صنعَتْه ، فأخذت منها دفاترها وَصُحُفَها التي كانت قد جمعت فيها غِناءَها فكتبتُه فكان أَلفَ صوت .

[أصواتها]

وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرْداذْبه : أَنّه سأَل عَرِيب عن صَنْعتها ، فقالت : قد بلغتْ إلى هذا الوقت أَلفَ صوت .

وحدَّثني محمد بن إبراهيم[1] قريض أَنّه جمع غناءَها من ديوانَي ابن المعتزّ ، وأَبي العَنْبَس بن حمدون ، وما أَخذه عن بِدعة جاريتها التي أعطاها إيّاها بنو هاشم ، فقابل بعضَه ببعض ، فكان أَلفاً ومائة وخمسة وعشرين صوتاً .

وذكر العتّابيّ أنّ أحمد بن يحيى حدّثه : قال : سمعت أبا عبد الله الهِشاميّ يقول ، وقد ذُكِرت صنعةُ عَرِيب : صَنْعتُها مثلُ قول أبي دُلَف في خالد بنِ يزيدَ حيث يقول : [من مجزوء الكامل]

يــا عــينُ بَكّي خالِداً أَلْفا ويُدعَــى واحدا

يريد أَنّ غِناءَها أَلف صوت في مَعْنى واحد ، فهي بمنزلة صَوْت واحد .

وحكى عنه أيضاً هذه الحكاية ابنُ المعتزّ .

وهذا تحامُلٌ لا يَحِلّ ، ولعمري إنّ في صنعتها لأَشياءَ مرذولة لَيِّنة ، وليس ذلك ممّا يَضَعُها ولا عَرِي كبيرُ أحدٍ من المغنِّين القدماء والمتأخّرين من أن يكون في صَنْعَتِه النادرُ والمتوسّطُ سِوى قَوْم معدودين مثلِ ابن محرز ومَعْبد في القدماء ، ومثلِ إسحاق وحده في المتأخّرين ، وقد عِيبَ بمثل هذا ابنُ سُرَيج في محلّه ، فبلغه أنّ المغنِّين يقولون : إنّما يغنّي ابنُ سريج الأرْمال والخفاف ، وغناؤه يَصلُح للأعراس والولائم ، فبلغه ذلك فتغنّى بقوله : [من الطويل]

---

1 ل : القاسم .

لقـد حبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائِرِ فالنَّقْعِ[1]

ثم توفِّي بعدها ، وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه ، وهذا إسحاق يقول في أبيه : على عظيم محلّه في هـذه الصناعة وما كان إسحاق يُشيد به من ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ، ولأبي ستّمائة صوت ، منهـا مائتـان تشبّه فيها بالقديم ، وأتى بها في نهاية من الجودة ، ومائتان غناءٌ وسط مثل أغاني سائر الناس ، ومائتان فلسية ودِدْتُ أنّه لم يُظهِرها ويَنْسُبها لنفسه ، فأسترها عليه ، فإذا كان هذا قولَ إسحاق في أبيه فمَن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء ، وما عَرِي أحد في صناعة من الصناعة من حال يَنقُصه عن الغاية ، لأنّ الكمالَ شيء تفرّد الله العظيم به ، والنقصانَ جبلّةٌ طَبَعَ بني آدم عليها ، وليس ذلك إذا وُجِد في بعض أغاني عَرِيب ممّا يدعو إلى إسقاط سائرها ، ويلزمه اسم الضّعف واللّين ، وحسب المحتجّ لها شهادةُ إسحاق بتفضيلها ، وقلّما شهِد لأحد ، أو سَلِم خَلْق ، وإن تَقدَّم وأُجْمِع على فضله ، من شَيْنه[2] إيّاه وطعنِه عليه ، لنفاسته في هذه الصناعة ، واستصغاره أهلَها ، فقد تقدّم في أخباره مع علّويَه ، ومُخارق ، وعمرو بن بانة ، وسليم بن سلام ، وحسين بن محرز ، ومن قبلهم ، ومن فوقهم مثلُ ابن جامع وإبراهيم بن المهديّ وتهجينه إيّاهم ، وموافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه وصنعوه ممّا يُسْتغنى به عن الإعادة في هذا الموضع ، فإذا انضاف فِعلُه هذا بهم ، وتفضيلُه إيّاها ، كان ذلك أدلَّ دليل على التحامل مِمّن طعن عليهـا ، وإبْطالِه فيما ذكرها به ، ولقائل ذلك ، وهو أبو عبد الله الهشاميّ ، سببٌ كان يصطنعه عليها ، فدعاه إلى ما قال ، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وممّا يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاقَ في المعرفة بـالغناء القديم والحديث ، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها ، فكاد يجوز عليه ، لولا أنه أطال الفكر والتلوّم واستَثبت ، مع علمه بالمذاهب في الصنعة ، وتقدُّمِه في معرفة النّغم وعِلَلِها ، والإيقاعات ومجاريها .

وأخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى : قال : حدَّثني أبي عن إسحاق : فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشاميّ : فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ذُكِر لأبي أحمدَ عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر عَميّ أنَّ الهشاميّ زعم أنّ أحسنَ صوت صنعته عَرِيب : [من مجزوء الخفيف]

1 الوتائر : موضع بين مكّة والطائف .

2 ل : ثلبه .

صاحِ قــد لمــتَ ظالما

وأَنّ غناءها بمنزلة قول أبي دُلفٍ في خالد :

يــا عــينُ بكّــي خالدا أَلفــاً ويُدعــى واحِـدا

فقال : ليس الأمر كما ذكر ، ولعَرِيب صنعةٌ فاضلةٌ متقدّمة ، وإنّما قال هذا فيها ظلماً وحَسَداً ، وغَمطها ما تستحقّه من التّفضيل ، بخبر لها معه طريف ، فسألناه عنه ، فقال : أخرجتُ الهشاميَّ معي إلى سُرَّ مَنْ رأى ، بعد وفاة أخي ، يعني أبا محمدَ بن عبد الله بن طاهر ، فأدخلتُه على المعتزّ ، وهو يشرب ، وعَرِيب تغنّي ، فقال له : يا ابن هشام ، غَنِّ ، فقال : تُبتُ من الغناءِ مذ قُتِل سَيِّدي المتوكّل ، فقالت له عَرِيب : قد واللهِ أحسنتَ حيث تُبتَ ، فإنّ غناءَك كان قليلَ المعنى ، لا مُتْقَنٌ ولا صحيح ولا مُطْرِب ، فأضحكَت أهلَ المجلس جميعاً منه ، فخجِل ؛ فكان بعد ذلك يَبسُط لسانَه فيها ، ويَعِيبُ صنعتَها ، ويقول : هي ألفُ صوتٍ في العددِ ، وصوتٌ واحد في المعنى .

وليس الأمرُ كما قاله ، إنّ لها لصنعةً تَشبَّهت فيها بصنعة الأوائل ، وجوّدت ، وبرزت فيها ، منها : [من الطويل]

أئن سكنت نَفْسي وقَلَّ عَويلُها

ومنها : [من السريع]

تقــول هَمِّــي يـــومَ وَدَّعتها

ومنها : [من البسيط]

إذا أَردت انتصافاً كان ناصركم

ومنها : [من مجزوء الرمل]

بأَبــي مــن هــو دائـــي

ومنها : [من المديد]

أَسلموهــــا في دمشـــقَ كما

ومنها : [من الوافر]

فـــلا تتعنّتــي ظلمــاً وزورا

ومنها : [من الطويل]

لقد لام ذا الشوق الخَلِيُّ من الهوى

ونسختُ ما أُذكره من أخبارها ، فأَنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليَّ محمدُ بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريض ، وأخبرني أنّ عبد الله بن المعتزّ دفعه إليه ، من جمعه وتأليفه ،

فذكرت منها ما استحسنته من أَحاديثها ، إذ كان فيها حشو كثير ، وأَضفت إليه ما سمعته ووقع إليَّ غير مسموع مجموعاً ومتفرّقاً ، ونسبت كلّ رواية إلى راويها .

[برمكيّة النسب]

قال ابنُ المعتزّ : حدَّثني الهشاميّ أَبو عبد الله وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز ، عن ابن خُرداذْبه قالا : كانت عَرِيبُ لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكب الرّشيد ، وهو الذي ربّاها ، وأَدَّبها ، وعلّمها الغناء .

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني غيرُ الهشاميّ ، عن إسماعيل بن الحسين خالِ المعتصم : أَنّها بنتُ جعفرِ بن يحيى ، وأنَّ البرامكة لمّا انتهِبوا سُرِقت وهي صغيرة .

قال : فحدَّثني عبدُ الواحدِ بنُ إبراهيم بن محمد بن الخَصِيب : قال : حدَّثني مَنْ أَثِق به ، عن أَحمدَ بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : أنّ أُمَّ عَرِيب كانت تسمَّى فاطِمة ، وكانت قيِّمةً لأُمِّ عبد الله بن يحيى بن خالد ، وكانت صبيّة نظيفة ، فرآها جعفرُ بن يحيى ، فهويَها ، وسأل أُمَّ عبد الله أن تُزوِّجه إيّاها ، ففعلت ، وبلغ الخبرُ يَحْيى بنَ خالد ، فأنكره ؛ وقال له : أتتزوّج مَن لا تُعرف لها أُمٌّ ولا أَب ؟ اشْترِ مكانها مائة جارية وأخرِجها ، فأَخرجها ، وأسكنَها داراً في ناحية باب الأنبار سرّاً من أَبيه . ووكَّل بها مَنْ يحفَظها ، وكان يتردّد إليها ، فولدَت عَرِيب في سنة إحدى وثمانين ومائة ، فكانت سِنُوها إلى أن ماتت ستّاً وتسعين سنة ، قال : وماتت أُمُّ عَرِيب في حياة جَعْفر ، فدَفعها إلى امرأة نصرانيّة ، وجعلها دايةً لها ، فلمّا حَدَثت الحادِثة بالبرامكة باعَتْها من سِنْبِسٍ النخّاس ، فباعها من المراكبيّ .

قال ابن المعتزّ : وأَخبرني يوسفُ بنُ يعقوب : أَنّه سمع الفضل بنَ مَرْوان يقول : كنتُ إذا نظرتُ إلى قدمي عَرِيب شبَّهتُهما بقدَمَي جعفر بن يحيى ، قال : وسمعت مَنْ يحكي أَنّ بلاغتها في كتبها ذُكِرت لبعض الكُتّاب فقال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى ؟

وأَخبرني جحظة قال : دخلتُ إلى عَرِيب مع شروين المغنِّي وأَبي العَنْبَس بنِ حمدون ، وأَنا يومئذٍ غلام عليَّ قِباء ، ومِنْطقة ، فأنكرتني وسألت عنّي ، فأخبرها شَروين ، وقال : هذا فتى من أَهلِك ، هذا ابنُ جعفر بن مُوسى بن يحيى بن خالد ، وهو يغنِّي بالطُّنْبور ، فأَدْنَتْني ، وقرّبت مجلسي ، ودعَت بطُنْبور ، وأَمَرَتْني بأن أُغنِّي ، فغنَّيت أصواتاً ، فقالت : قد أحسنتَ يا بُنَيَّ ولتكونَنَّ مغنِّياً ، ولكن إذا حَضرت بين هَذين الأسدين ضِعْتَ أنتَ وطنبورُك بين عُودَيْهما ، وأَمَرَتْ لي بخمسين ديناراً .

قال ابن المعتزّ ، وحدَّثني مَيمونُ بنُ هارون : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : بعثَ الرشيد إلى أهلها ، تَعْني البرامكة ، رسولاً يسألهم عن حالهم ، وأمره ألاّ يعلمهم أنّه من قبله ، قالت : فصار إلى عمِّي الفضل ، فسأله ، فأنشأ عمِّي يقول : [من الخفيف]

صوت

سأَلونا عن حالنا كيف أَنتمُ مَنْ هَوى نَجمهُ فكيفَ يكونُ ؟
نحن قومٌ أُصابنا عَنَتُ الدّهـ ـرِ فَظَلْنا لريبه نَسْتكِينُ

ذكرت عَرِيب أَنّ هذا الشعر للفَضْل بنِ يَحيى ، ولها فيه لحنان : ثاني ثقيل وخفيف ثقيل ، كلاهما بالوُسْطى ، وهذا غَلَط من عَرِيب ، ولعلّه بلغها أنّ الفضل تمثّل بشعرٍ غير هذا ، فأُنسِيَتْه وجعلت هذا مكانه .

فأَمّا هذا الشعر فللحُسَيْن بنِ الضحّاك ، لا يُشكّ فيه ، يَرثي به محمداً الأَمينَ بعد قوله : [من الخفيف]

نحن قوم أُصابنا حادثُ الدَّهـ ـر فظلْنا لرَيْبه نَستِكينُ
نَتمنَّى من الأَمين إيابـاً كلَّ يوم وأَينَ منّا الأَمينُ ؟

وهي قصيدة .

[تهرب إلى معشوقها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني الهِشاميّ : أَنّ مولاها خرج إلى البصرة ، وأدَّبها وخرّجها وعلّمها الخطَّ والنّحوَ والشّعر والغناءَ ، فبرعت في ذلك كلّه ، وتزايدت حتى قالت الشعر ، وكان لمولاها صَديقٌ يُقال له حاتم بن عديٍّ من قُوّاد خُراسان ، وقيل : إنّه كان يكتب لُعَجيْف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يَدعوه كثيراً ، ويخالطه ، ثم ركبه دَيْنٌ فاستتَر عنده ، فمدّ عينَه إلى عَرِيب ، فكاتبها ، فأَجابَتْه ، وكانت المُواصَلة بينهما ، وعَشِقَته عَرِيب ، فلم تزَل تَحْتال حتى اتخذتْ سُلَّما من عَقَب[1] ، وقيل : من خيوط غلاظ ، وسَترته ، حتى إذا همَّت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدّه ، وقد أعدّ لها موضعاً ، لفَّت ثيابَها وجعلَتْها في فراشها بالليل ، ودثَّرَتْها بدِثارِها ، ثم تسوَّرَت من الحائط ، حتى هربَت ، فمَضَت إليه ، فمكثت عنده زماناً ، قال : وبلغني أنّها لمَّا صارت عنده بعث إلى مولاها يستَعير منه عُوداً تُغنِّيه به ، فأعاره عودَها ، وهو لا يعلم أنّها عنده ، ثقةً به ، ولا يتّهمه بشيء من أمرها ، فقال

1 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

عيسى بنُ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ ، وهو عيسى ابنُ زَيْنب يهجُو أباه ويُعَيّره بها ، وكان كثيراً ما يهجوه : [من مجزوء الرمل]

قاتـــلَ الله عَرِيبــا فعَلَـت فِعْـلاً عَجيبا
رَكِبت والليـلُ داجٍ مركبـاً صَعْبـا مهـوبا
فارتقَت مُتّصِـلا بالنَّجـ ـمِ أو منـه قريبا
صبرت حتـى إذا مـا أَقصـد النّـومُ الرَّقيبا[1]
مَثَّلـت بـين حَشايا ها لِكَيْـلا تَسْتَريبـا
خلَفـاً منهـا إذا نـو دِيَ لم يُلـفَ مُجيبا
ومضت يحملهـا الخو فُ قَضيبـاً وكَثِيبـا
مُحَّةً لـو حُرِّكت خِفْـ ـتَ عليهـا أن تَذوبا[2]
فتدلّـت لُمحِـبّ فتلقّاهـا حَبيبـا
جَذِلاً قـد نال في الدُّنْـ ـيا مـن الدُّنيا نصيبا
أيّها الظَّبْي الذي تَسْحَـ ـرُ عينـاه القُلُوبا
والذي يـأكل بعضا بَعضُـه حُسناً وطِيبا
كُنـتَ نَهْبـاً لذئاب فَلَقَـد أُطعمْـتَ ذِيَبا
وكـذا الشاةُ إذا لم يَـكُ راعيهـا لَبيبا
لا يُبـالي وَبـأَ المَرْ عـى إذا كان خصِيبا
فلقـد أُصبح عبـدُ الله كشخـانَ حَريبـا[3]
قـد لعمري لَطَم الوَجهَ وقـد شَـقَّ الجُيوبـا
وجـرت منـه دُموعٌ بلّـت الشَّعْـر الخَضِيبا

وقال ابن المعتزّ : حدَّثنا محمد بن موسى بن يُونُس : أنّها مَلَّته بعد ذلك ، فهربت منه ، فكانت تُغنَّى عند أقوام عَرَفَتهم ببَغْداد ، وهي متستّرة متخفّية ، فلمّا كان يوم من الأيّام اجتاز ابنُ أخ للمراكبيّ ببُستان كانت فيه مع قوم تُغنّي ، فسمع غناءها ، فعرفه ،

1 أقصده : أي أصابه سهمه .
2 المحّة : صفرة البيض .
3 الكشخان : الديوث ، والحريب : المسلوب المال .

فبعث إلى عمِّه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، فلم يبرح حتى جاءَ عمـه ، فلبَّبها[1] وأَخذها ، فضربها مائة مِقْرعة ، وهـي تصيـح : يا هذا لِمَ تقتلني ! أنا لستُ أُصبر عليك ، أنا امرأة حُرَّة إن كنتُ مملوكةً فبِعني ، لست أَصبر على الضِّيقة ، فلمّا كان من غد ندم على فعله ، وصار إليها فقبَّلَ رأسَها ورِجْلَها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم ، ثم بلغ محمَّداً الأمينَ خبرُها ، فأخذها منه ، قال : وكان خبرُها سَقَط إلى محمد في حياة أبيه ، فطلبها منه ، فلم يجبه إلى ما سأل ، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادماً عنـده ، فاضطغَـن لذلك عليه ، فلمّا وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبيّ ، ومحمد راكب ، لِيُقَبِّل يدَه ، فأمر بِمَنْعِه ودفعه ، ففعل ذلك الشّاكريُّ ، فضربه المراكبيّ وقال له : أَتمنعني من يدِ سيِّدي أنْ أقبِّلَها ؟ فَجاء الشّاكريُّ لَمّا نزل محمد فشكاه ، فدَعا محمدٌ بالمراكبيّ ، وأمر بضرب عنقه ، فسُئل في أمره ، فأعفاه ، وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ممّا اقتطعه من نفقات الكُـراع ، وبعـث ، فأخَذَ عَرِيب من منزله مع خَدَم كانوا له ، فلمّا قُتِل مُحمد هرَبت إلى المراكبيّ ، فكانت عنده ، قال : وأَنشَدني بعض أصحابنا لحاتم بن عديّ الذي كانت عنده لمَّا هرَبَت إليه ، ثم ملّتْه فهربت منه ، وهي أبيات عدّة ، هذان منها : [من الطويل]

ورُشُّوا على وَجْهي من الماءِ واندُبُوا قتيلَ عَرِيــب لا قتيـلَ حُروبِ
فليتــكِ إنْ عجَّلتنـــي فقتَلتنـــي تَكونين مــن بعد الممات نصِيبي

قال ابن المعتزّ : وأمّا رواية إسماعيل بن الحُسين ، خالِ المعتصم فإنّها تخالف هذا ، وذكر أنّـها إنّما هربت من دارِ مَوْلاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن ، أحدِ قوّاد خُراسان قال : وكان أشقر أصهب الشعر أزرق ، وفيه تقول عَرِيب ، ولها فيه هزج ورَمل من روايتَي الهشامي وأبي العبّاس : [من مجزوء الخفيف]

بأَبـــــي كلّ أَزرقٍ أَصهبِ اللّـون أَشقـرِ
جُـنّ قلبــي بــه وليـ ـس جُنونـــي بمُنْكَرِ

[تذكر ناسيا]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني ابن المدبَّر قال : خرجتُ مع المأمون إلى أرض الروم ، أطلُب ما يطلبه الأحداث من الرزق ، فكنّا نسير مع العَسْكر ، فلمّا خرجنا من الرّقّة رأينا جماعة من الحَرَم في العمارِيّات على الجمّازات[2] وكنّا رُفْقَةً ، وكُنّا أترابا ، فقال لي أحدهم : على بعض

---

1 لبّبها : أخذ بتلابيبها ، وهي مجتمع ثيابها عند العنق . وفي ل : فكبسها .

2 العماريات : الهوادج . والجمازات جمع جماز وتوصف بها النّياق السّريعة .

هذه الجمّازات عَرِيب ، فقلت : مَن يراهنني أَمُرُّ في جنبات هذه العمارِيّات ، وأُنشد أبيات عيسى بن زينب : [من مجزوء الرمل]

قاتـــل الله عَرِيبــا فعلــت فعــلاً عجيبا

فراهنني بَعضُهم وعُدِّل الرّهانِ[1] وسِرت إلى جانبها فأَنشدْتُ الأَبيات رافعاً صَوْتي بها ، حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسَها فقالت : يا فتى أنسِيتَ أجودَ الشعر وأطيبه ؟ أنسيت قوله : [من مجزوء الرمل]

وعَرِيبٌ رَطْبــةُ الشَّفْـ ـرَيْنِ قد نِيكت ضُروبا

اذهبْ فخُذ ما بايَعْت فيه ، ثم ألقت السّجْف ، فعَلِمت أَنّها عَرِيب ، وبادرتُ إلى أُصحابي خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .

[رقيب يحتاج إلى رقيب]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال : قال لنا عمر بن شبّة : كانت للمراكبيّ جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه ، بارعةُ الحسن ، فكان يبعث بها مع عَرِيب إلى الحَمّام ، أو إلى مَن تزوره من أهله ومعارفه ، فكانت ربّما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه ، فقال فيها بعضُ الشعراء وقد رآها عنده : [من الوافر]

لقــد ظلموكِ يــا مظلومَ لّما أقامــوكِ الرَّقيبَ على عَرِيبِ
ولــو أَوْلَوكِ إنصافــاً وعَدْلا لما أَخْلَوْكِ أَنتِ مــن الرّقيبِ
أَتَنْهَين المُرِيبَ عــن المعاصي فكيف وأنتِ من شأنِ المُريبِ
وكيف يُجانِبُ الجـاني ذنوباً لديـك وأنت داعِيَةُ الذُّنوبِ
فإن يَسْتَرقِبُوكِ عــلى عَرِيــب فما رَقَبُوكِ مــن غيب القلوبِ

وفي هذا المعنى ، وإن لم يكن من جنسِ ما ذكرته ما أَنشدنيه عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَش في رَقِيبَة مُغنيةٍ استُحسِنَت وأظنّه للنّاشيء : [من المتقارب]

فديتُــكِ لــو أَنّهــم أَنصَفُوا لقــد منعوا العينَ عن ناظرَيْكِ
أَلَم يقـرءوا ويحهم مـا يرو نَ من وحي طَرْفك في مُقْلَتَيْكِ
وقــد بعثــوك رَقِيبـاً لنــا فمــن ذا يكون رَقيباً عليكِ
تصُدِّيــن أعْيُننا عــن سواكِ وهل تنظــر العـينُ إلاّ إليكِ

---

1 عُدِّل الرهان : سوّي بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان .

[من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عبد الواحد بن إبراهيم ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، وعن محمد بن إسحاق البغويّ ، عن إسحاق بن إبراهيم : أنّ خبر عَرِيب لمّا نُميَ إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مَوْلاها ، فأحضِرا ، وغنَّت بحضرة إبراهيمَ بنِ المهديّ تقول : [من الطويل]

لكلّ أُناسٍ جَوْهَر متنافسٌ وأنتِ طرازُ الآنساتِ المَلائحِ

فطَرِب محمد ، واستَعادَ الصوتَ مِراراً ، وقال لإبراهيم ، يا عمّ كيف سمعت ؟ قال : يا سيِّدي ، سمعتُ حسناً ، وإن تطاولت بها الأيّام ، وسكن رَوْعها ازدادَ غِناؤُها حُسْناً ، فقال للفضل بن الرَّبيع : خُذْها إليك ، وساوِمْ بها ، ففعل ، فاشتَطَّ مولاها في السَّوْم ، ثم أوجَبَها له بمائة ألف دينار ، وانتَقَض أمرُ مُحمّد ، وشُغِل عنها ، وشُغِلت عنه ، فلم يأمُر لمَوْلاها بثمَنها حتى قُتِل بعد أن افتَضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ ، وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدّم .

وقال في خبره : إنّها هَرَبت من مولاها إلى ابن حامد ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد ، فتظلّم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد ، فأمر بإحضارِه فأُحضِر ، فسأله عنها فأنكر ، فقال له المأمون : كذبت قد سقط إليَّ خبرُها . وأمر صاحبَ الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة ، ويضع عليه السّياط حتى يردّها ، فأخذه ، وبلغها الخبرُ فركبت حمارَ مُكارٍ ، وجاءت وقد جُرِّد ليُضْرب ، وهي مكشوفة الوجه ، وهي تصيح : أنا عَرِيب ، إن كنتُ مملوكةً فَليبعْني ، وإن كنتُ حرَّة فلا سبيل له عليَّ ، فرُفِع خبرها إلى المأمون ، فأمَر بتعْدِيلها[1] عند قتيبة بن زياد القاضي ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدَّم إليه المراكبيّ مطالباً بها ، فسأله البيِّنة على ملكِه إيّاها ، فعاد متظلّماً إلى المأمون ، وقال : قد طولبت بما لم يُطالِبْ به أحد في رَقيق ، ولا يوجد مِثْلُه في يد مَن ابتاع عبداً أو أَمَة .

وتظلّمَت إليه زُبيدةُ ، وقالت : من أَغلَظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هُجومُ المراكبيّ على داري ، وأخذُه عَرِيباً منها . فقال المراكبيّ : إنّما أخذتُ ملْكي ، لأنّه لم يَنقُدْني الثّمَن ، فأمَر المأمونُ بدَفْعِها إلى محمد بن عمر الواقديّ ، وكان قد ولاّه القضاء بالجانب الشرقيّ ، فأخذها من قتيبة بن زياد ، فأمر ببيعها ساذجة ، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ، فذهبت به كُلَّ مذهب ميلاً إليها ومحبّة لها .

1 عدل الشيء أو الحكم : أقامه وسوّاه .

قال ابن المعتزّ : ولقد حدَّثني علي بن يحيى المنجم أنّ المأمون قبّل في بعض الأيّام رِجلَها ، قال : فلمّا مات المأمونِ بِيعت في ميراثه ، ولم يُبَع له عبدٌ ولا أَمَة غيرها ، فاشتراها المعتصم بمائة أَلفِ درهم ، وأعتقها ، فهي مولاته .

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنـّها لّما هربت من دار محمد حِين قتل تدلّت من قصْر الخُلْد بحَبْل إلى الطريق ، وهربت إلى حاتم بن عديّ .

وأَخبرني جحظةُ ، عن ميمون بن هارون : أنّ المأمونَ اشتَراها بخمسة آلاف دينار ، ودعا بعبد الله بن إسماعيل ، فدفعها إليه ، وقال : لولا أنـّي حلفتُ ألاّ أشترِي مملوكاً بأكثرَ من هذا لزِدْتك ، ولكنّي سأولّيك عَمَلاً تكسب فيه أضعافاً لهذا الثمن مضاعفة ، ورمى إليه بخاتَمَين من ياقوت أحمر ، قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيّة ، فقال : يا سيِّدي ، إنّما يَنْتَفع الأحياء بمثل هذا ، وأمّا أنا فإنِّي ميِّت لا محالة ، لأنّ هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته ، فاختلط وتغيَّر عقلُه ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال ابن المعتزّ : فحدَّثني عليّ بن يحيى قال : حدَّثني كاتب الفضل بن مروان : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن رباح قال : كنت أتولّى نفقاتِ المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عَرِيب ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أُخرى ، ففعلتُ ذلك ، ولم أدرِ كيف أثبتها ، فحكيت في الدّيوان أنّ المائةَ الألف خرجت في ثمن جَوْهرة ، والمائة الألف الأُخرى خرجت لصائِغها ودلاّلها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره ، وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسال المأمونَ عن ذلك ، وقال : أَوَجبَ وهب لدلاّل وصائغ مائة ألفِ درهم ، وغَلّظ القصّة ، فأنكرها المأمون ، فدَعاني ، ودنوت إليه ، وأخبرته أنّه المال الذي خرج في ثمن عَريب وصلة إسحاق ، وقلت : أيّما أصوبُ يا أمير المؤمنين : ما فعلتُ أو أُثبتُ في الدّيوان أنـّها خرجت في صلة مُغَنّ وثمن مُغَنّية ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فَعلتَ أصوبُ ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نَبطيّ ، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء .

وقال ابن المكّيّ : حدَّثني أَبي عن نَحرير الخادم : قال : دخلتُ يوماً قصر الحرم ، فلمحت عَرِيب جالسةً على كرسي ناشرة شعرها تغتسل ، فسألت عنها ، فقيل : هذه عَرِيب دعا بها سيّدُها اليومَ ، فافتَضّها .

قال ابن المعتزّ : فأَخبرني ابن عبد الملك البصريّ : أَنـّها لّما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ، ثم احتالت في

الخروج إليه ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، حتى حَبلت منه وولدت بنتاً ، وبلغ ذلك المأمون فزوَّجه إيّاها .

وأَخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور ، عن أَبيه ، وحدَّثني به المظفّر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور ، قال : لمّا وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جُبَّة صوف وختْم زِيقها[1] وحَبَسها في كَنِيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يُدْخَل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب في كلّ يوم ، ثم ذكرها ، فرَقَّ لها ، وأَمَر بإخراجها ، فلمّا فُتح البابُ عنها ، وأُخرِجَت لم تتكلّم بكلمة حتى اندفعت تغنّي : [من الكامل]

حجبوه عن بصري فمُثِّل شَخصُه   في القلبِ فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ

فبلغ ذلك المأمونَ ، فعجب منها ، وقال : لن تَصْلُح هذه أبداً ، فزوَّجها إيّاه .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لـو كان يَقـدرُ أَن يَبُثَّك ما به   لرأيـتَ أَحسن عاتـب يتعَتَّبُ
حجبوه عن بَصَري فمُثِّل شَخصُه   في القَلْبِ فهو مُحجَّب لا يُحجبُ

الغناء لعَرِيب ثقيل أَوّل بالوسطى .

[رقعة منها في تركة]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني لؤلؤٌ صديقُ عليّ بن يحيى المنجّم : قال حدَّثني أَحمدُ بنُ جعفر بنِ حامدٍ : قال : لمّا توفّي عَمِّي محمدُ بن حامد صار جدِّي إلى منزله ، فنظر إلى تركَتِهِ ، وجعل يُقلّب ما خَلَّف ، ويُخرَج إليه منها الشيءُ بعد الشيء إلى أن أُخرِج إليه سَفَطٌ مختوم ، ففَضَّ الخاتمَ ، وجعل يَفْتحه ، فإذا فيه رِقاع عَرِيب إليه ، فجعل يتصَفّحها ويَبْتَسم ، فوقعت في يده رقعةٌ ، فقرأها ، ووضعها من يده وقام لحاجة ، فقرأتُها فإذا فيها قوله : [من المجتث]

صوت

ويـلي عليـكَ ومِنْكـا   أُوقعت في الحـقّ شَكّا
زعمتَ أَنّـي خئـونٌ   جَـوْراً عـليّ وإفكا

1 زيق القميص : ما أحاط منه بالعنق .

[ولم يكــن ذاك مني إلاّ مجونــاً وفتــكا]
إن كان مــا قلتَ حقّاً أَو كنــت أزمعتُ تَرْكا
فأبدلَ الله مــا بـــي مـــن ذِلَّة الحبّ نُسْكا

لعَرِيب في هذه الأَبيات رمل وهزج ، عن الهِشاميّ والشعر لها .

[تجيب على قبلة بطعنة]

قال ابنُ المعتزّ : وحدَّثني عبد الوهّاب بن عيسى الخراسانيّ ، عن يعقوب الرّخاميّ : قال : كنّا مع العبّاس بن المأمون بالرقّة وعلى شرطته هاشم ، رجل من أهل خراسان ، فخرج إليّ ، وقال : يا أبا يوسُف ، أُلقِي إليك سِرّاً لثقتي بك ، وهو عندك أمانة ، قلت : هاتِه ، قـال : كنت واقفاً على رأس الأمين وبي حَرٌّ شديد ، فخرجت عَرِيب ، فوقفت معي ، وهي تنظر في كتاب فما ملكتُ نفسي أن أومأتُ إليها بقُبْلة ، فقالت : كحاشيَة البُرد . فوالله ما أُدري ما أَرادت ، فقلت ، قالت لك : طعنة .

قال : وكيف ذاك ؟ قلت : أُرادت قول الشاعر : [من الطويل]

رَمى ضرعَ ناب فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليمــانيّ المُسهّم[1]

وحكى هذه القصّة أحمد بن أبي طاهر ، عن بشر بن زيد ، عن عبد الله بن أيّوب بن أبي شمر ، أنّـهم كانوا عند المأمـون ومعهـم محمد بن حامد ، وعَرِيب تغنِّيهم ، فغنَّت تقول : [من الطويل]

رمى ضَرع نابٍ فاستمرّ بطعنة كحاشية البرد اليمانيّ المسهّم

فقال لها المأمون : مَن أشار إليك بقبلة ، فقُلتِ له طعنة ؟ فقالت له : يا سيِّدي ، مَن يشير إليّ بقبلة في مجلسك ؟ فقال : بحياتي عليك ! قالت : محمد بن حامد ، فسكت .

[تحبّ أميراً وتتزوّج خادماً]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني محمد بنِ موسى : قال : اصطَبح المأمونُ يوماً ومعه ندماؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعةٌ من المغنِّين ، وعَرِيب معه على مُصَلاّه ، فأومأ محمدُ بنُ حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغنِّي ابتداء : [من الطويل]

رَمى ضَرْع نابٍ فاستَمَرَّ بطَعْنةٍ كحاشية البرد اليماني المسهّم

تريد بغنائها جوابَ محمد بن حامد بأن تقول له : طعنة ، فقال لها المأمون ، أمسكي ، فأمسكت ، ثم أقبل على النّدماء ، فقال : مَن فيكم أومأ إلى عَرِيب بقبلة ؟ والله لئن لم يَصدُقني

1 الناب : الناقة المسنّة .

لأضربنّ عُنقَه ، فقام محمد ، فقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأتُ إليها ، والعفو أقرب للتقوى ، فقال : قد عفوتُ .

فقال : كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتاً ، وهي لا تغنّي ابتداء إلاّ لمعنى ، فعلمتُ أنّها لم تبتدىء بهذا الصوت إلاّ لشيء أوميء به إليها ، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلاّ إيماء بقبلة ، فعلمت أنّها أجابت بطعنة .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني عليّ بن الحسين : أنَّ عَرِيبَ كانت تتعشَّق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيرُه أنّها كانت لا تضرب المَثَل إلاّ بحُسْنِ وجه أبي عيسى وحسنِ غنائه ، وكانت تزعم أنّها ما عَشِقت أحداً من بَني هاشم وأصْفَته المحبّة من الخُلفاء وأولادِهم سِواه .

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني بعضُ جوارينا : أنَّ عَرِيبَ كانت تتعشَّق صالِحاً المنذريّ الخادمَ ، وتزوّجته سرّاً ، فوجَّه به المتوكّل إلى مكان بعيد في حاجة له ، فقالت فيه شعراً ، وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أمَّا الحبيبُ فقـد مضى ... بالرغـم منّيَ لا الرّضا

أخطأتُ في تركي لَمَن ... لم ألْـقَ منـه مُعَوّضا

قال : فغنّته يوماً بين يدي المتوكّل ، فاستعاده ، وجعل جواريه يتغامَزْن ويضحكن ، فأصغَتْ إليهنَّ سرّاً من المتوكّل ، فقالت : يا سَحَّاقات ، هذا خير من عملكنّ .

قال : وحُدِّثْت عن بعض جواري المتوكّل ، أنّها دخلت يوماً على عَرِيب ، فقالت لها : تعالَيْ ويحِك إليّ ، فجاءت . قال : فقالت : قبِّلي هذا الموضع منّي فإنّك تجدين ريح الجَنّة فأومأتْ إلى سالفِتها[1] ، ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب في هذا ؟ قالت : قبَّلَني صالح المنذريّ في ذلك الموضع .

[ليس وقت ملام]

قال ابن المعتزّ : وأخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال : حدَّثني حمدون بن إسماعيل ، قال : حدَّثني محمد بن يحيى الواثقيّ ، قال : قال لي محمد بن حامد ليلة : أحبُّ أن تُفرِغ لي مَضربَك ، فإنّي أريد أن أجيئك ، فأُقيمَ عندك ، ففعلتُ ، ووافاني ، فلمّا جلس جاءت عَرِيب ، فدخلت .

وقد حدَّثني به جحظة : قال : حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون : أنَّ عَرِيب زارت

1 السّالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة .

محمد بن حامد ، وجَلَسا جميعاً ، فجعل يُعاتِبها ، ويقول : فعلتِ كذا ، وفعلتِ كذا ، فقالت لي : يا محمد ، هذا عندكَ رأي ؟ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عاجز خُذْ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه .

وقال جحظة في خبره : اجعل سراويلي مِخْنَقَتي ، وأَلْصِق خَلْخالي بقُرْطي ، فإذا كان غدٌ فاكتب إليَّ بعِتابك في طومارٍ حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ، ودع هذا الفضولَ ، فقد قال الشاعر : [من الوافر]

صوت

دَعي عَـدَّ الذّنوب إذا التقينا ... تعـالَيْ لا أعـدُّ ولا تعدِّي

وتمام هذا قوله :

فأقسِم لو هممتِ بمدّ شعري ... إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّي

الشعر للمؤمّل ، والغناء لعَرِيب ، خفيف رمل ، وفيه لعلّويه رَمَل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة .

[مع ثمانية من الخلفاء]

أُخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخَصِيب : قال : حدَّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن الفُرات قال : كنت يوماً عند أخي أبي العبّاس ، وعنده عَرِيب جالسة على دَسْت مفرد لها ، وجواريها يغنِّين بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخي ، وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت لي عَرِيب : ناكَني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحداً إلاّ المعتَزّ ، فإنّه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد . قال ابن الفرات : فأصغيت إلى بعض بني أخي ، فقلت له : فكيف ترى شهوتها الساعة ، فضحك ولَمَحَتْه ، فقالت : أيَّ شيء قلتم ؟ فجحدتُها . فقالت لجواريها : أَمسكن ، ففعلن ، فقالت : هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما ليَنصرفْنَ جميعاً ، وهنّ حرائر إن حرِدْتُ من شيء جرى ، ولو أنّها تسفيل ، فصَدقتُها . فقالت : وأيّ شيء في هذا ؟ أمّا الشهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بَطَلت أو قالت : قد كَلَّت ، عودوا إلى ما كنتم فيه .

[شرطان لها]

وحدَّثني الحسنُ بن عليّ بن مودّة : قال : حدَّثني إبراهيمُ بن أَبي العَنْبَس : قال : حدَّثنا أَبي : قال : دخلنا على عَرِيب يوماً مُسلِّمين ، فقالت : أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صَنَعتْها بِدْعة بيدها من لوز رطب ، وما حضر من الوظيفة ، وأُغنِّيكم أنا وهي ، قال : فقلت لها على شريطة ، قالت : وما هي ؟ قلت : شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين ، وأنا أهابُك ، قالت : ذاك لك ، وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل ، فقد علمت ما

هو ، فعجبت لها ، وقلت : فقولي ، فقالت : تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو ؟ فقلت : إي والله ذاك الذي أردت . قالت : شرطي أيْرٌ صُلْب ، ونَكْهَة طيِّبة ، فإن انضاف إلى ذلك حسنٌ يُوصَف ، وجمال يُحْمد فقد زادَ قَدرُه عندي ، وإلاّ فهذان ما لا بدّ لي منهما .

[حبيبها والهديّة]

وحدَّثني الحسنُ بنُ عليّ ، عن محمد بن ذي السَّيفين إسحاق بن كنداجيق ، عن أبيه : قال : كانت عَرِيب تولع بي وأنا حديث السنّ ، فقالت لي يوماً : يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دَعْوة فابعث إليّ نَصيبي منها ، قال : فاستأنَفْتُ طعاماً كثيراً ، وبعثت إليها منه شيئاً كثيراً ؛ فأقبل رسولي من عندها مُسرِعاً ، فقال لي : لمّا بلغتُ إلى بابها ، وعرفَتْ خبري أمَرتْ بالطعام فأُنْهِب وقد وَجَّهَتْ إليك برسول ، وهو معي ، فتحيَّرت وظننتُ أنّها قد استقصَرَتْ فِعْلي ، فدخَل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة ، فقرأتها ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عجميّ يا غبيّ ، ظننتَ أنّي من الأتراك وَوَخْش[1] الجند ، فبعثتَ إليّ بخبز ولَحم وحلواء ، الله المستعانُ عليك ، يا فَدَتْك نفسي ، قد وجّهت إليك زلّة[2] من حضرتي ، فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ، ولا تستعمل أخلاق العامّة ، في ردّ الظّرف ، فيزداد العيبُ والعَتْبُ عليك إن شاء الله ، فكشفت المنديل ، فإذا طبق ومكبّة من ذهب منسوج على عمل الخلاف ، وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق ، وقد عَصَبَتْ طرفيهما وفيها قطعتان من صدر درّاج مشوي ونقل وطَلْع[3] وملح ، وانصرف رسولها .

[خذ الخلافة واعطني الصاحب]

قال ابن المعتزّ : حدَّثني الهشاميُّ أبو عبد الله ، عن رجل ذكره ، عن علّويَه قال : أَمرني المأمونُ وسائرَ المغنِّين في ليلة من اللّيالي أنْ نَصِير إليه بُكرةً ليصطبحَ ، فغدونا ولَقِيني المراكبيُّ مولى عَرِيب ، وهي يومئذٍ عنده ، فقال لي : يا أيّها الرجل الظالم المعتدي ، أما تَرِقّ ولا ترحم ولا تَستحي ؟ عَرِيب هائمة تَحْلم بك في النوم ثلاث مرّات في كلّ لَيْلة ، قال علّويَه : فقلت : أُمُّ الخلافة زانية . ومضيت معه ، فحين دخلت قلت : استوثِق من الباب ، فإنّي أعرَف خلق الله بفضول البَوّابين والحُجّاب ، وإذا عَرِيب جالسةٌ على كرسيّ تطبخ ، وبين يديها ثلاث قدور من دجاج ، فلمّا رأتني قامت تعانقني وتقبّلني ، ثم

---

1 الوخش : الرديء من كل شيء .

2 الزلة : ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه .

3 الطّلع : ثمر النخل أوّل ظهوره .

قالت : أيما أحبّ إليك أن تأكل من هذه القدور ، أو تشتهي شيئاً يُطْبَخ لك ، فقلت : بل قِدْر من هذه تكفينا ، فغرفت قِدْراً منها ، وجعلتها بيني وبينها ، فأكلنا ودَعَوْنا بالنبيذ ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا ، ثم قالت : يا أبا الحسن ، صَنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقلت : وما هو ؟ فقالت هو : [من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جفوته صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديهِ

وقال لي : قد بقي فيه شيء ، فلم نزل نردّده أنا وهي حتى استوى ، ثم جاء الحُجَّاب فكسروا باب المراكبيّ واستخرجوني ، فدخلتُ على المأمون ، فلمّا رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق ، وأنا أُغنّي الصوت ، فسمع وسمع مَنْ عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه ، وسألني المأمون عن خبره ، فشرحتُه له . فقال لي : ادنُ ورَدِّدْه ، فردَّدْته عليه سبع مرّات . فقال في آخر مرّة : يا علّويَه . خذ الخلافة واعْطني هذا الصاحب .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

عَذِيري من الإنسانِ لا إن جَفَوتُه صفا لي ولا إن كُنتُ طَوعَ يديهِ
وإنّي لمشتاقٌ إلى قُـربِ صاحِبٍ يَـرُوق ويَصْفُو إن كَدرْتُ عليهِ

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية ، والغناء لعَرِيب ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى عَلُّويَه .

[لماذا غضب الواثق والمعتصم عليها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسمُ بن زُرْزور : قال : حدَّثتني عَرِيب قالت : كنت في أيّام محمد ابنةَ أربع عشرة سنة ، وأنا حينئذٍ أُصوغ الغناء .

قال القاسم : وكانت عَرِيب تكايد الواثق فيما يَصُوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحناً فيكون أجودَ من لحنه ، فمن ذلك : [من البسيط]

لم آتِ عامـدةً ذَنْبـاً إليك بَلى أُقِرّ بالذنبِ فاعفُ اليوم عن زلَلي

لَحنُها فيه خَفِيف ثقيل ، ولحن الواثق رَمَل ، ولحنها أجود من لحنه ، ومنها : [من البسيط]

أَشكو إلى اللهِ ما أَلْقى من الكمَدِ حَسْبي بِرَبِّي ولا أَشكو إلى أَحَدِ

لحنُها ولحن الواثق جميعاً من الثقيل الأوّل ، ولحنها أَجوَدُ من لَحنِه .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

لم آتِ عامـدةً ذنباً إليك بلى ... أُقِرّ بالذّنبِ فاعفُ اليوم عن زللي
فالصّفح مـــن سَيِّدٍ أَولى لُمعتَذرٍ ... وقاكَ رَبُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ

الغِناء للواثق رمل ، ولعَرِيب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لِطالب بن يزداد فيه هزجاً مطلقاً .

صوت

[من البسيط]

أَشكو إلى اللهِ ما أَلقى من الكَمَدِ ... حَسْبي بربِّي ولا أَشكُو إلى أَحَدِ
أين الزّمان الذي قــد كنت ناعمةً ... في ظِلّه بدنُوّي منـــك يا سَندي
وأَسأَلُ الله يومــاً منك يُفْرحني ... فقد كحلتُ جفونَ العينِ بالسَّهَدِ
شوقاً إليك وما تدري بما لقيت ... نفسي عليك وما بالقلبِ من كَمَدِ

الغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالوسطى ، وللواثق ثقيل أوّل بالبِنْصر .

قال ابن المعتزّ : وكان سببَ انحرافِ الواثق عنها ، وكيادها إيّاه ، وانحراف المعتصم عنها أنّه وجد لها كِتاباً إلى العَبّاس بن المأمونِ ببلد الرُّوم : اقتُلْ أَنت العِلْج ثَمَّ ، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا . تعني الواثق ، وكان يَسْهَر بالليل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

[تغضب على جارية تشبهها في شبابها]

قال : وحدَّثني أَبو العَنْبَس بنُ حَمدون قال : غَضِبَت عَرِيب على بَعْض جواريها المذكورات ، وسمّاها لي ، فجئتُ إليها يوماً ، وسأَلتُها أَن تعفو عنها ، فقالت في بعض ما تقوله ، ممّا تعتد به عليها من ذنوبها : يا أَبا العَنْبَس إن كنت تشتهي أن تَرى زِناءَ وصَفاقةَ وَجْهي وجراءَتي على كلّ عظيمة أيّام شبابي فانظر إليها ، واعرف أخبارها .

[كانت تجيد ركوب الخيل]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني القاسم بن زُرْزُور قال : حدَّثني المعتمد ، قال : حدَّثتني عَرِيب أَنّها كانت في شبابها يُقدَّم إليها بِرْذَوْن ، فتَطفِر عليه بلا ركاب .

[لا تُبالي بلدغ العقرب وهي في الصوت]

قال : وحدَّثني الأسديّ : قال : حدَّثني صالح بن عليّ بن الرشيد المعروف بزعفرانة : قال :

تمارى خالي أَبو عليّ مع المأمون في صوت ، فقال المأمون : أَين عَرِيب ؟ فجاءَت وهي محمومة ، فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنِّيه ، فولَّت لتجيءَ بعود ، فقال لها : غنِّيه بغير عود ، فاعتمدت على الحائط للحُمّى وغنَّت ، فأَقبلت عقرب ، فرأَيتُها قد لسعت يدها مرّتين أَو ثلاثاً ، فما نَحَّت يدها ، ولا سكتت ، حتى فرغت من الصوت ، ثم سقطت وقد غُشي عليها .

[كيف تغسل رأسها]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أَبو العبّاس بنُ الفرات : قال : قالت لي تحفة جارية عَرِيب : كانت عَرِيب تجد في رأسها برْداً ، فكانت تغلّف شعرها مكان العلّة بستّين مِثْقالاً مِسْكاً وعَنْبَراً ، وتغسله من جُمْعةٍ إلى جمعة ، فإذا غَسلَتْه أَعادته ، وتتقسّم الجواري غُسالةَ رأسها بالقوارير وما تُسرِّحه منه بالمِيزان .

[ترتجل معارضة لصوت]

حدَّثني أَحمد بن جعفر جحظة ، عن عليّ بن يحيى المنجّم : قال : دخلتُ يوماً على عَرِيب مسلِّماً عليها ، فلمّا اطمأننتُ جالساً هطلت السماء بمَطَر عظيم ، فقالت : أقم عندي اليوم حتى أُغَنِّيك أنا وجواريَّ ، وابعثْ إلى مَنْ أحببتَ من إخوانِكَ ، فأمرتُ بدوابي فرُدَّت ، وجلسنا نتحدَّث ، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ، ومَن كان يغنّينا ، وأيَّ شيء استحسنا من الغناء ، فأخبرتها أنَّ صوتَ الخليفة كان لَحْناً صنعه بنانٌ من الماخوريّ ، فقالت : وما هو ؟ فأخبرتها أنّه : [من مجزوء الوافر]

صوت

تُجـــافي ثـــم تَنطَبِقُ   جفونٌ حَشوُهـا الأرقُ
وذي كَلَفٍ بكى جَزَعاً   وسَفْـرُ القـــوم مُنطلِقُ
بـه قَلَـقٌ يُمَلْمِلُـــه   وكان ومـا بـه قَلَقُ
جوانحُـهُ عـلى خَطَرٍ   بِنـــارِ الشّوق تَحترِقُ

فوجَّهتْ رسولاً إلى بنان ، فحضر من وقته . وقد بلّته السماءُ ، فأمرت بِخِلَع فاخرة ، فخُلِعَت عليه ، وقُدِّم له طعام فاخر ، فأَكَل وجلس يشرب معنا ، وسألتْه عن الصوت ، فغنّاها إيّاه فأخذَت دَواةً ورُقعَة وكتبت فيها : [من مجزوء الوافر]

أَجـابَ الوابِـلُ الغَدِقُ   وصاح النّرجسُ الغَرِقُ
وقـد غنّى بنـان لَنا :   جُفُـونٌ حَشوُها الأَرَقُ
فهـاتِ الكأسَ مُترعـةً   كـأَنَّ حُبابَهـا حَدَقُ

قال عليّ بن يحيى : فما شربنا بقِيّة يومنا إلاّ على هذه الأَبيات .

[رموز برموز]

حدَّثني محمد بن خلف بنُ المرزبان ، عن عبد الله بن محمد المروزيّ : قال : قال لي الفضل بن العبّاس بن المأمون : زارتني عَرِيب يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تُقيم عندي ، فأبَت وقالت : دَعاني جماعة من إخواني من أهلِ الأدب والظَّرف ، وهم مجتمعون في جَزيرة المُؤيّد ، فيهم إبراهيمُ بن المُدبّر وسَعِيدُ بن حُمَيد ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمتُ على المسير إليهم ، فحلفت عليها ، فأقامت عندنا ، ودعَت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرفٍ متفرّقة لم تزِد عليها ، وهي :

أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجّهت به إليهم ، فلمّا وصلت الرقعة عَيُّوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعةَ ، فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعلّي : أرجو . ووجّهوا بالرقعة فصفَّقَت ونَعَرت[1] وشربت رَطلاً وقالت لنا : أأترك هؤلاء وأقعد عندكم ؟ إذاً تركني الله من يديه ، ولكنّي أُخلّف عندكم من جواريّ مَنْ يكفيكم ، وأقوم إليهم ، ففعلت ذلك وخلّفت عندنا بعضَ جواريها ، وأخذت معها بعضَهن ، وانصرفت .

[بلاغتها]

أخبرنا محمد بن خلف ، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء ، عن أبيه قال : عتَب المأمون على عَرِيب ، فهجرها أيّاماً ، ثم اعتلّت فعادها ، فقال لها : كيف وجدت طعم الهَجْر ؟ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ما عُرِفَت حَلاوةُ الوَصْل ، ومَن ذَمَّ بدءَ الغضب أحمد عاقبةَ الرضا ، قال : فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدَّثهم بالقصّة ، ثم قال : أتُرى هذا لو كان من كلام النظام ألَم يكن كبيراً ؟

[لا تريد مَن يتدخّل بينها وبين المأمون]

حدَّثني محمد بن خلف ، عن أبي العيناء ، عن أحمد بنِ أبي داوُد ، قال : جرى بين عَرِيب وبين المأمون كَلامٌ ، فكلّمها المأمون بشيءٍ غَضِبَت منه ، فهجرته أيّاماً ، قال أحمد بن أبي داوُد : فدخلتُ على المأمونِ ، فقال لي : يا أحمد ، اقضِ بيننا ، فقالت عَرِيبُ : لا حاجة لي في قضائِه ودخوله فيما بيننا ، وأنشأت تقول : [من المنسرح]

1 نعرت نعيراً ونعاراً : صاحت وصوّتت بخيشومها .

وتخلِط الهجرَ بالوِصالِ ولا يَدْخُل في الصُّلحِ بيننا أحدُ

[خلوتها مع محمد بن حامد]

حدَّثني محمد بن خلف قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن حمدون ، عن أبيه ، قال : كنتُ حاضراً مجلس المأمون ببلاد الرُّوم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذاتِ رُعود وبُروق ، فقال لي المأمون : اركب الساعة فرسَ النَّوْبة وسِرْ إلى عَسْكَر أبي إسحاق ، يعني المعتصم ، فأدِّ إليه رِسالتي في كيت وكيت ، قال : فركبتُ ولم تَثبُت معي شمعة ، وسمعت وقع حافر دابة ، فرهبْت ذَلِك ، وجعلت أتوقّاه ، حتى صَكَّ ركابي رِكابَ تلك الدّابة ، وبَرقت بارقة فأضاءَت وَجْه الراكب ، فإذا عَرِيب ، فقلت : عَرِيب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من أين أقبلتِ في هذا الوقت ؟ قال : من عند محمد بن حامد ، قلتُ : وما صنعتِ عنده ؟ قالت عَرِيب : يا تَكش ، عَرِيب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجةً من مَضْرِب الخليفة وراجعةً إليه ، تقول لها : أيّ شيء عَمِلت عنده ؟ صَلَّيتُ معه التراويح ؟! أو قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه ، يا أحمق تعاتَبنا ، وتحادَثنا ، واصطلحنا ، ولَعِبنا ، وشرِبنا ، وغنَّينا ، وتنايَكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتْني وغاظَتني ، وافترقنا ، ومضيتُ فأدّيت الرّسالة ، ثم عدتُ إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتَناشُد الأشعار ، وهَممتُ والله أن أُحدّثَه حديثها ، ثم هِبْتُه فقلت : أقدّم قبل ذلك تعريضاً بشيءٍ من الشعر ، فأنشدته : [من الطويل]

ألا حيِّ أطلالا لواسعة الحبل ألوفٍ تسوّي صالح القوم بالرَّذْلِ[1]

فلو أنّ مَن أمسى بجانب تلعَة إلى جبلَيْ طيٍّ فساقطة الحَبْلِ

جلوسٌ إلى أن يَقْصر الظّلّ عندها لراحوا وكُلّ القوم منها على وَصْلِ

فقال لي المأمون : اخفِض صوتَك لا تَسمعُك عَرِيب فتَغْضَب ، وتظنّ أنّا في حديثها ، فأمسكتُ عمّا أردت أن أخبره ، وخار الله لي في ذلك .

حدَّثني محمد بن أحمد الحكيمي ، قال : أخبرني ميمون بن هارون : قال : قال لي ابن اليزيديّ : حدَّثني لأبي قال : خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرُّوم ، فرأيت عَرِيبَ في هودج ، فلمّا رأتني قالت لي : يا يزيديّ ، أنشدني شعراً قلتَه حتى أصنع فيه لحناً فأنشدتها : [من الرجز]

ماذا بقلبي من دوامِ الخفْق إذا رأيتُ لمعانَ البَرْقِ

---

1 واسعة الحبل : أي لا تردّ يد لامس .

مـن قِبَـلِ الأردُنِّ أو دِمشْق لأنّ مَـن أهـوى بذاك الأُفْقِ
فإنَّ فيـه وهـو أعـزّ الخَلْقِ علـيَّ والزّورُ خـلاف الحَقّ
ذاك الذي يَملِك منّـي رِقّي ولست أبغِـي ما حَيِيتُ عِتْقِي

قال : فتنفَّستُ تنفّساً ظننتُ أنّ ضُلوعَها قد تقصَّفت منه ، فقلْت : هذا والله تنفّس عاشق ، فقالت : اسكت يا عاجز أنا أعشَق ، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً .

[بيتا عبّاس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها]

حدَّثني محمد بن خلف : قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر : قال : حدَّثني أحمدُ بنُ حَمدون : قال : وقَعَ بين عَريب وبين محمد بن حامد شَرّ ، وكان يَجِد بها الوَجْد كلّه ، فكادا يَخرُجان من شَرّهما إلى القَطيعة ، وكان في قلبها منه أكثرُ ممّا في قلبه منها ، فلقيته يوماً ، فقالت له : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى والله ما كان وأقرحُه ، فقالت له : استبدل تسْلُ ، فقال لها : لو كانت البلوى باختيار لفَعلت ، فقالت : لقد طال إذاً تعبك ، فقال : وما يكون ؟ أصْبِر مُكْرَهاً ، أما سَمعتِ قَولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الكامل]

تَعَبٌ يطول مع الرجاء بذي الهَوى خَيرٌ لـه مـن راحـةٍ في الياسِ
لـولا كرامتكـمُ لمـا عاتَبتكُم ولكنْتـم عنـدي كبَعْضِ النّـاسِ

قال : فذرفَت عيناها ، واعتذرت إليه وأَعتَبَته ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضلِ ما كانا عليه .

[اختلاف في فن عَرِيب]

حدَّثني أحمد بن جعفر جحظة : قال : قال لي أبو العبّاس بن حمدون ، وقد تجاذبنا غِناء عَرِيب : ليس غناؤها مِمّا يعتدّ بكثرته ، لأنّ سقطه كثير ، وصنعتها ساذجة ، فقلت له : ومَن يُعرَف في النّاسِ كُلّهم من مُغنّي الدولة العبّاسيّة سَلِمت صنعتُه كلّها حتى تكون مثلَه ! ثم جعلتُ أعدّ ما أعرفه من جَيِّد صَنْعتها ومُتَقدّمها وهو يعترف بذلك ، حتى عددت نحواً من مائة صوت مثل لحنها في : [من البسيط]

يا عـزّ هـل لك في شيخٍ فتًى أبدا

و : [من الطويل]

سيسليك عمّـا فـات دولةَ مفضل

و : [من مجزوء الخفيف]

صـاح قـد لمـت ظالمـا

و : [من مجزوء الكامل]

ضحـــك الزمـــان وأشرقـــت

ونحو هذا ، ثم قال لي : ما خَلّفتْ عَرِيبُ بعدها امرأةً مثلَها في الغِناءِ والرّواية والصَّنْعة ، فقلت له : لا ، ولا كثيراً من الرجال أيضاً .

[قصّة لحن في بيت يتيم]

ولعَرِيب في صنعتها : [من البسيط]

يا عـزّ هـل لكِ في شيخٍ فتى أبدا

خبرٌ أخبرني ببعضِه أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار ، عن ميمون بن هارون .

وذكر ابن المعتزّ أنّ عبد الواحد بنَ إبراهيم بن الخصيب حدَّثه عَمَّن يثِق به ، عن أحمد بنِ عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ : قال : قالت لي عَرِيب : حجَّ بي أبوكَ وكان مضعوفاً ، فكان عديلي ، وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدُهم الأشعارَ ، وأكتب عنهم النوادر وسائرَ ما أسمعه منهم ، فوقف شيخٌ من الأعرابِ علينا يسأل ، فاستنشدتُه ، فأنشدني : [من البسيط]

يا عزّ هل لك في شيخ فَتًى أبدا وقد يكون شَبابٌ غيرُ فِتيانِ

فاستحسنتُه ، ولَم أكُن سمعته قبل ذلك ، قلت : فأنشدني باقي الشعر ، فقال لي : هو يتيم ، فاستحسنتُ قوله وبرَّرتُه ، وحفِظت البيت وغنَّيت فيه صوتاً من الثقيل الأوّل ، ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه . فلمّا كان في ذلك اليوم عَشيّاً قال لي : ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدَك إيّاه الأعرابيّ ، وقال لك : إنّه يتيم . أنشدينيه إن كنت حَفظْته ، فأنشدتُه إيّاه ، وأعلمته أنّي قد غَنَّيت فيه ، ثم غنّيته له ، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب ، وفرح بالصوت فرحاً شديداً .

قال ابن المعتزّ : قال ابن الخصيب : فحدَّثني هذا المحدِّث أنّه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكّل ، ومَن هاهنا تَتصل روايةُ ابن عَمَّار ، عن ميمون ، وقد جَمعتُ الرّوايتين ، إلاّ أنّ مَيمون بنَ هارون ذَكَر أنّهم كانوا عِنْد جَعْفَر بنِ المأمون ، وعندهم أبو عيسى ، وكان عندهم عليُّ بنُ يَحْيى ، وبِدعة جارِيةُ عَرِيب تغنّيهم ، فذَكَر عليُّ بنُ يحيى أنّ الصَّنعةَ فيه لِغَير عَرِيب ، وذكر أنّها لا تدّعي هذا وكابَرَ فيه ، فقام جعفرُ بنُ المأمون ، فكتب رُقْعَة إلى عَرِيب ، ونحن لا نعلم ، يسألُها عن أمرِ الصوت وأن تكتب إليه بالقصّة ، ففعلت ، فكتبت إليه بخطِّها :

بسم الله الرحمن الرحيم : [من الطويل]

هَنِيّاً لأَربابِ البيوت بُيوتُهم ... وللعَزَب المسكين ما يَتَلَبَّسُ

أَنا المسكينة ، وحيدة فريدة بغير مؤنس ، وأَنتم فيما أَنتم فيه ، وقد أَخذتم أنسي ومَن كان يُلهيني ، تعني جاريتيها : بِدعة وتحفة ، فأَنتم في القصف والعزف ، وأَنا في خلاف ذلك ، هناكم الله وأَبقاكم ، وسألتَ ، مدّ الله في عمرك ، عمّا اعتَرَضَ فيه فلان ، والقِصَّةُ في هذا الصوت كذا وكذا ، وقصَّتْ قصَّتها مع الأعرابيّ كما حدَّثت به ، ولم تَخْرُم حرفاً منها ، فجاء الجواب إلى جَعْفر بن المأمون فقرأه وضحك ، ثم رمى به إلى أبي عيسى ، ورمى به أبو عيسى إليّ ، وقال : اقرأْه ، وكان عليّ بن يحيى جالساً إلى جَنْبي ، فأراد أن يَسْتَلِب الرقعة ، فمنعتُه وقمتُ ناحية ، فقرأتُها : فأنكر ذلك ، وقال : ما هذا ؟ فورَّينا الأمرَ عنه لَئلاّ تقع عربدة ، وكان ، عفا الله عنّا وعنه ، فعّالاً لها .

[قصة غراميّة عن أبي محلم]

قال ابن المعتزّ : وحدَّثني أَبو الخَطّاب العَبّاسُ بنُ أَحمدَ بنِ الفُرات ، قال : حدَّثني أَبي ، قال : كنّا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعَرِيبُ حاضرةٌ إذ غنَّى بعضُ مَن كان هناك : [من الكامل]

يـا بدرُ إنّك قد كُسيت مشابِهاً ... من وجـهِ ذاك المستنير اللائحِ
وأَراك تمصَح بالمحاقِ ، وحسنُها ... بـاقٍ على الأيّـام ليس ببارحِ[1]

فضحكت عَرِيب وصفَّقَت وقالت : ما على وجه الأَرض أَحدٌ يعرف خبر هذا الصوتِ غيري ، فلم يُقدِم أحدٌ منّا على مسألتها عنه غيري ، فسألتها ، فقالت : أنا أُخبركم بقصّته ، ولولا أنّ صاحب القِصَّة قد مات لَما أخبرتكم ، إنّ أبا مُحلّم قدِمَ بغداد ، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خانٍ هناك ، فاطّلعت أُمُّ محمد ابنةُ صالح يوماً ، فرأته يبول ، فأعجبها مَتاعُه ، وأحبَّت مواصلتَه ، فجعلت لذلك علّة بأَن وَجَّهتْ إليه تَقترض منه مالاً ، وتُعلِمُه أنّها في ضِيقَة وأنّها تَردُّه إليه بعد جُمْعَة ، فبَعَث إليها عَشرةَ آلافِ دِرْهم ، وحلَف أنّه لو مَلَك غيرَها لبَعَث به ، فاستحسنتْ ذلك وواصلته ، وجعلت القرضَ سبباً للوُصْلة ، فكانت تُدخلُه إليها ليلاً ، وكنت أنا أُغنّي لهم ، فشربنا ليلة في القمر ، وجعل أبو مُحلِّم ينظر إليه ، ثم دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله : [من الكامل]

1 مصح : ذهب وانقطع .

يا بدرُ إنّك قد كُسِيتَ مشابها   من وَجْهِ أُمِّ محمد ابنةِ صالِحِ

والبيت الآخر ، وقال لي : غَنِّني فيه ، ففعلتُ واستحسَنّاه وشرِبنا عليه ، فقالَتْ لي أُمّ محمد في آخر المجلس : يا أختي ، قد تنبّلت في هذا الشعر إلاّ أنّه سيبقى عليَّ فَضِيحة آخر الدّهر ، فقال أبو مُحلّم : وأنا أغيّره ، فجعل مكان أُمّ محمد ابنة صالح ، «ذاكَ المستنير اللائح» . وغَنَّيتُه كما غيَّره ، وأخذه الناسُ عنّي ، ولو كانت أُمُّ محمد حيَّة لما أخبرتكم بالخَبَر .

[فأمّا نِسْبة هذا الصوت]

فإنَّ الشعر لأبي مُحَلّم النَّسَّابة ، والغِناء لعَرِيب ثَقيل أوَّل مُطلق في مَجْرى الوُسْطى من رواية الهِشاميّ وغيره ، وأبو مُحلّم اسمه عوف بنُ مُحلّم .

[تطلب من حبيبها أن يزورها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن ميمونِ بن هارون : قال : كتبتْ عَرِيب إلى محمد بن حامد ، الذي كانت تَهواه ، تستزيرهُ ، فكتب إليها : إنِّي أخاف على نفسي ، فكتبت إليه : [من المتقارب]

صوت

إذا كنتَ تحذرُ ما تحذرُ   وتزعمُ أنّك لا تجسُرُ

فما لي أُقيمُ على صَبْوَتي   ويَومُ لِقائِك لا يُقدَرُ

فصار إليها من وقته .

لعَرِيب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رَمَل ، ولشارية خَفِيف رمل ، جُمِعا من رواية ابن المعتزّ ، والبيتان الآخران : [من المتقارب]

تبيَّنتَ عذري وما تَعذِر   وأَبليتَ جسمي وما تشعرُ

أَلِفْتَ السُّرورَ وخَلَّيْتَني   ودَمْعي من العينِ ما يَفترُ

وذكر ميمون في هذا الخبر أنّ محمدَ بن حامد كتب إليها يُعاتبها في شيء كَرِهَه ، فكتبت إليه تعتذر ، فلم يقبل ، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت : [من البسيط]

صوت

أَحببتُ من شعرِ بَشّار لحبّكمُ   بَيْتاً ، كلِفتُ به من شِعْرِ بَشّارِ

يا رحمةَ اللهِ حُلّي في مَنازِلنا   وجاوِرِينا فدَتْكِ النَّفسُ من جارِ[1]

---

1 رحمة : محبوبة بشار .

إذا ابتهلتُ سألتُ اللهَ رحمتَه ... كنيتُ عنك وما يَعدُوك إضماري

الشعرُ لأبي نواس منه البيت الأوّل ، والثاني لبشّار ضمّنه أبو نواس ، والغناء لعَرِيب ثقيل أوّل بالبنصر ، ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل .

وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عَمّ نجاح بن سَلَمة الكاتب .

[رحمة حبيبة بشّار ورحمة حبيب أبي نواس]

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفَشُ ، عن محمد بن يزيد النحويِّ : قال : كان بَشَّار يُشبِّب بامرأة يقال لها رحمة ، وكان أبو نواس يتعشّق غلاماً اسمه رحمة بن نجاح ، عَمّ نَجاحِ بنِ سَلَمَة الكاتب ، وكان متقدّماً في جماله ، وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلاً مدنيّاً ، وكان معهم كأحدهم ، وأكثر أبو نواس التّشبيبَ برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها ، وكان بشّار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها : [من البسيط]

يا رحمةَ اللهِ حُلِّي في منازلنا ... حَسْبي برائحة الفِرْدَوس من فِيكِ

يا أَطيبَ النّاسِ ريقاً غيرَ مُخْتَبَرٍ ... إلاّ شِهادةَ أَطرافِ المساويكِ

فقال أبو نواس ، وضمَّن بيت بَشّار : [من البسيط]

أحببت من شعر بشّار لحُبّكم ... بَيْتاً كَلِفْت به من شِعْرِ بَشّارِ

الأبيات الثلاثة . . .

وقال فيه : [من الكامل]

يا مَن تأهَّب مُزْمعاً لِرواحِ ... مُتَيَمِّماً بغدادَ غيرَ مُلاحِ

في بَطْن جاريةٍ كَفَتْك بسَيْرِها ... رَمَلاً وكلَّ سِباحة السَّبّاحِ[1]

بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها ... صِنْفانِ من قارٍ ومن أَلواحِ

وكأنّها ، والماء ينضح صدرَها ... والخَيزُرانة في يَدِ المَلاّحِ[2]

جُونٌ من الغِربانِ يبتدِر الدّجى ... يَهْوي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ

سلِّم على شاطي الصّراةِ وأَهلِها ... واخصُص هناك مَدِينةَ الوَضّاحِ[3]

واقصدْ ، هُدِيت ، ولا تكن متحيّراً ... في مقصِدٍ عن ظَبْيِ آلِ نَجاحِ

---

1 جارية : أي السفينة . والرَّمَل : ضرب من السير وهو الهرولة .

2 الخيزرانة : مجداف السفينة .

3 الصّراة : نهر بالعراق .

عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ تَرى　　سِيماه سِيما شارِبٍ للرّاحِ
فإذا دُفِعْتَ إلى أغنَّ وألثغٍ　　ومُنَعَّم ومُكَحَّل ورَداحِ[1]
وكشَمْسِنا وكبدرِنا حاشى التي　　سَمَّيْتُها منه بنَوْر أقاحي
فاقصِد لوقت لِقائه في خَلْوة　　لِتَبوح عنّي ثَمَّ كلّ مباحِ
واخبر بما أحبَبْت عن حالي التي　　مُسايَ فيها واحدٌ وصَباحي

قال : فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذِكر ابنه بأن عَقَد بينه وبينه حُرْمَة ، ودعاه إلى منزله ، فجاءه أبو نواس والمدينيّ لا يعرفه ، فمازحه مِزاحاً أسرف عليه فيه ، فقام إليه رحمة ، فعرفه أنّه أبو نواس ، فأشفق المدينيّ من ذلك ، وخاف أن يهجوه ويشَهِّر اسمه ، فسأل رحمةَ أن يكلّمه في الصّفح له والإغضاء عن الانتقام ، فأجابه أبو نواس وقال : [من الكامل]

اذهبْ سلمتَ من الهجاءِ ولذعِه　　وأَما ولُثغةِ رحمةَ بنِ نجاحِ
لولا فُتورٌ في كلامِك يُشتَهى　　وترفُّقي لك بعدُ واستِملاحي
وَتكَسُّرٌ في مقلتيك هو الذي　　عَطَف الفُؤاد عليكَ بعد جِماحِ
لَعَلِمتَ أنّك لا تمازِح شاعِراً　　في ساعةٍ ليست بحينِ مُزاحِ

صوت

[من المتقارب]

أأبكاكَ بالعُرُف المنزلُ　　وما أنتَ والطَّلَلُ المُحولُ ؟
وما أنتَ ويْك ورسمُ الدّيارِ　　وسِنُّكَ قد قاربت تكمُلُ ؟

عروضه من المتقارَب ، والشعر للكميت بنِ زيد الأَسديّ ، والغناء لمَعْقِل بن عِيسى أخي أبي دُلَفٍ العِجليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبدَ الرحمن بنَ عَنْبسة بنِ سَعِيد بنِ العاصي بن أُميّة .

أُخبرني الحسنُ بن عليّ : قال : حدَّثني الحسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ ، عن عليّ بن هشام ، عن محمد بنِ عبد الأعلى بن كناسة : قال : كان بين بني أسد وبين طيىء بالحُصّ ، وهي قرية من قادِسيّة الكوفة ، حربٌ ، فاصطلحوا وبقي لطيىء دماءُ رَجُلَين ، فاحتمل ذلك رَجُلٌ من بني أسد ، فمات قبل أن يؤدّيه ، فاحتمله الكميت بن زيد ، فأعانه فيه عبدُ الرحمن بنُ عَنْبسة ، فمدحه بقوله : [من المتقارب]

1 الرداح : الثقيل الأوراك .

أأبكاكَ بالعُرُفِ المنزلُ　　　وما أَنتَ والطّلل المحوِلُ

فأَعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ ، فمدحه بقصيدته التي أوّلها : [من المتقارب]

رأَيــت الغوانيَ وحشا نَفُورا

وأَعانه زيادُ بن المُغفّل الأَسديّ ، فمدحه بقصيدته التي أَوّلها : [من البسيط]

هل للشباب الذي قد فات من طلب ؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء ، فأَقبل الرجل يعطي الكميت المائتين ، والثلاث المائة ، وأَكثر وأَقلّ ، قال : وكانت دِيَةُ الأَعرابيّ حينئذٍ ألفَ بَعِيرٍ ودِيةَ الحَضِريّ عَشْرَة آلافِ دِرهم ، وكانت قيمة الجمل عَشرة دراهم ، فأَدّى الكميتُ عِشْرين ألفاً عن قيمة ألفَي بَعِير .

نسبة ما في أَشعار الكميت هذه من الأغاني

منها :

صوت

[من البسيط]

هل للشبابِ الذي قد فات من طلبِ　　　أَم ليس غابرُه الماضــي بمُنقلبِ

دَعِ البكاء على ما فات من طلب　　　فالدّهر يأتــي بأَلوان مــن العَجَبِ

غنّاه إبراهيمُ الموصليّ خَفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق .

[446] ـ ذكر معقل بن عيسى

[شاعر مغن]

كان معقِلُ بن عيسى فارساً شاعراً جَواداً ، مغنِّياً فَهِماً بالنّغم والوتر ، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وتَقريظِه في المعرفة بالنَّغَم ، وقال : إنّه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صَنْعةً ؛ إذ سلّم ذلك له أخوه مَعْقِل ، وإنّما أخملَ ذكرَه ارتفاعُ شأن أخيه ، وهو القائل لأبي دُلَف في عَتْب عَتَبه عليه : [من البسيط]

أُخَيَّ ما لَكَ ترميني فتُقصِدَني وإن رَمَيتُك سهماً لم يجُزْ كبدي

أُخَيَّ ما لَكَ مجبولاً على تِرتي كأنّ أجسادنا لم تُغْذَ من جسدِ

وهو القائل لمخارق ، وقد كان زار أبا دُلَف إلى الجبل ، ثم رجع إلى العراق ، أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سَعيدٍ السكريّ : [من الطويل]

صوت

لعمري لئن قَرَّتْ بقُربك أعينٌ لقد سَخِنت بالبَيْنِ منك عُيونُ

فَسِرْ أَو أَقِم وقفٌ عليك محبَّتي مكانُكَ من قلبي عليك مَصونُ

فما أَوحشَ الدُّنيا إذا كنتَ نازِحاً وما أَحسنَ الدُّنيا بحيثُ تكونُ

عروضه من الطويل ، والشعر لمعقل بن عيسى ، والغناء لمخارق ، ولحنه من الثَّقيل الأَوّل بالوسطى ، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل ، وفيه ثاني ثقيل يقال : إنّه لمخارق ، ويقال : إنّه لمعقل .

ومن شعر معقل قولُه يمتدح المعتصمَ ، وفيه غِناء للزُّبير بن دَحْمان من الثقيل الأَوّل بالبنصر : [من الكامل]

الدّارُ هاجك رسمُها وطلولُها أم بَيْنُ سُعْدى يوم جَدَّ رحيلُها

كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعولي إن كان يُغني في الدِّيارِ عَويلُها

ومحمدٌ زينُ الخَلائِف والذي سَنَّ المكارمَ فاستَبان سَبيلُها

صوت

[من الطويل]

أَليسَ إلى أجبال شمخٍ إلى اللّوى لِوى الرَّمل يوماً للنُّفوس مَعادُ ؟

بِلادٌ بهـا كُنّا ، وكُنّا مِنَ آهلِها إذِ النّـاسُ نـاسٌ والبلادُ بلادُ

الشعر لرجل مَن عاد فيما ذكروا ، والغناء لابن محرز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وقيل : إنّه من منحوله إليه .

[رجل من عاد]

أَخبرني ابن عمّار عن أَبي سعد ، عن محمد بن الصَّبّاح : قال : حدَّثنا يحيى بن سلمة بن أَبي الأشهب التيميّ عن الهيثم بن عديّ : قال : أخبرني حمّاد الرّاوية : قال : حدَّثني ابنُ أُخت لنا من مراد : قال : ولِيتُ صدقاتِ قوم من العرب ، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم : ألا أريك عجباً ؟ قلت : بلى ، فأدخلني في شِعب من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ، من فتى قد نشب في ذِروة الشّعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب : [من الطويل]

أَلا هَلْ إلى أَبياتِ شمخٍ إلى اللّوى لِوى الرّمل يوماً للنّفوس معادُ ؟

بـلادٌ بهـا كُنّا وكُنّا مِنَ آهلِها إذِ النّـاسُ نـاسٌ والبِلادُ بلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طوراً ، ويظهر تارة ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم يا ابن عبدِ ربّه ، اتّقِ الله ، ولا تعجل في أمرِك ، فإنّك لن تسبق رزقَك ، ولن تُرزق ما ليس لك ، ومن البصرة إلى الديل ستّمائة فرسخ ، فمَن لم يصدق بذلك فليمشِ الطريقَ على الساحل حتى يتحقّقَه ، فإن لم يَقْدِر على ذلك فلينْطَحْ برأسه هذا الحجر .

صوت

[من الكامل]

يا بيت عاتكَـة الذي أَتَعزَّل حَذَر العِدا وبه الفُؤادُ موكَّلُ

إنِّي لأَمنحُكَ الصّدودَ وإنّني قَسماً إليك مع الصّدودِ لأَميَلُ

أَتعزله : أَتجنّبه واكون بمعزل عنه . العِدا : جمع عدوّ ، ويقال عُدا بالضمّ وعِدا بالكسر ، وأَمنحك : أعطيك . والمنيحة : العطيّة . وفي الحديث أنّ رجلاً منح بعض ولده شيئاً من ماله ، فقـال لـه النبيّ ﷺ : أَكلَّ ولـد منحتَ مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فارجعه .

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاريّ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، والغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، عن إسحاق ويونس وغيرهما ، وفيه لابن سُرَيج خفيف ثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ وابن المكّيّ وعلي بن يحيى .

[447] ـ الأَحوص[1] وبعض أخباره

[الأحوص يعارض ابن أَبي دُباكل]

أَخبرني بخبر الأَحوص في هذا الشعر الحِرْميّ عن الزُّبير قال : حدَّثني عمر بن أَبي بكر المؤمّلي ، وأَخبرنا به الحسين بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، عن مُصْعَب الزُّبيريّ ، عن المؤمّلي ، عن عمر بن أَبي بكر الموصليّ ، عن عبد الله بن أَبي عبيدة بن عمّار بن ياسر : قال : خرجت أنا والأَحوصُ بنُ محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحجّ ، فلمّا كنّا بقُدَيْد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمانَ بن أبي دُباكل ، فأنشدَنا شيئاً من شعره ، فأرسل إليه فأتانا ، فاستنشدناه ، فأَنشدنا قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يــا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّهـا لا يَذْهبُ
أَصبحت أُمَنحُكِ الصدودَ وإنّني ... قَسماً إليك مع الصّدودِ لأَجنُبُ
مــا لي أحنّ إلى جمالِكِ قُرِّبت ... وأَصُدُّ عنك وأَنت مِنِّـيَ أَقربُ
لله دَرُّك هــل لديــك مُعوَّلٌ ... لَمتيَّم أَم هــل لــوُدّك مَطلبُ ؟
فلقــد رأَيتــك قبــل ذاكَ وإنّني ... لَموكَّــل بهـــواكِ أَو مُتَقرّبُ
إذ نحــن في الزمن الرخيّ وأَنتمُ ... متجــاورون كلامُكــم لا يُرقَبُ[2]
تبكي الحمامــةُ شَجوها فتَهِيجُني ... ويــروح عــازبُ همِّيَ المتأوِّبُ
وتَهبُّ جاريةُ الرياحِ مِنَ ارضكم ... فأَرى البلادَ لهـا تُطِلُّ وتُخصِبُ
وأَرى السّميّة باسمكــم فيزيدُني ... شوقاً إليــك رجــاؤكِ المُتَنسّبُ
وأَرى العــدوَّ يــودّكم فــأَودّه ... إن كان يُنسب منك أَولا يُنسبُ
وأُخالِف الواشِينَ فيــكِ تجمُّلاً ... وهــمُ عــليَّ ذَوُو ضغائنٍ دُؤَّبُ
ثــم اتّخذتِهــم عــليَّ وَليجة ... حتى غَضِبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ[3]

قال : فلمّا كان من قابل حجَّ أَبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان ، فقدِم المدينة ، فدخل عليه

1 انظر أخباره في : الجمحي 137–140 والشعر والشعراء 1/518–521 والمؤتلف 47–48 واللآلي 73 والخزانة 1/231–234 .

2 كلامكم في ل : كلاكم .

3 وليجة : أصدقاء وأعوان .

الأحوصُ ، واستصحبه فأصحبه ، فلمّا خرج الأحوصُ قال له بعض مَن عنده : ماذا تريد بنفسك ؟ تقدُم بالأحوص الشام ، وبها مَن يُنافسك من بني أبيك ، وهو من الأفَن والسَّفَه على ما قد علمت فَيعِيبُونك به . فلمّا رجع أبو بكر من الحجِّ دخل عليه الأحوص متنجّزاً لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : يا خال ، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه ، فيجبهكَ فيشمَتَ بك عدوّي من أهل بيتي ، ولكن خُذْ هذه الثيابَ والدنانير ، وأنا مستأذن لك أميرَ المؤمنين ، فإذا أذِن لك كتبت إليك ، فقدمتَ عليّ ، فقال له الأحوص : لا ولكن قد سُبِعْتُ[1] عندك ، ولا حاجة لي بعطيّتك ، ثم خرج من عنده ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ عبد العزيز ، فأرسل إلى الأحوص ، وعمر يومئذٍ أميرُ المدينة ، فلمّا دخل عليه أعطاه مائة دينار ، وكساه ثياباً فأخذ ذلك ، ثم قال له : يا أخي هَبْ لي عِرْض أبي بكر ، قال : هو لك ، ثم خرج الأحوص ، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُباكل قصيدةً مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

وقال حمّاد : قال أبي : سرق أبيات سليمان بأعيانِها ، فأدخلها في شِعره ، وغيَّر قوافِيَها فقط ، فقال : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكـة الذي أتعـزَّل ... حـذَر العِدا وبـه الفؤاد موكَّلُ
أصبحتُ أمنحُكِ الصّدودَ وإنّني ... قَسَماً إليك مـع الصّدود لأمْيَلُ
فصددتُ عنك وما صددتُ لِبغْضةٍ ... أخشى مقالـةَ كاشحٍ لا يَعْقِلُ
هل عيشُنا بـك في زمانك راجعٌ ... فلقـد تفاحش بعـدك المتعلّلُ[2]
إنّـي إذا قُلـتُ استقام يحُطّـه ... خُلْفٌ كما نظـر الخِلافَ الأقبَلُ[3]
لـو بـالذي عالجت لِينَ فؤاده ... فأبـى يُـلانُ بـه لَلانَ الجَنْدَلُ
وتَجنُّبـي بَيـتَ الحبيـبِ أودُّه ... أرضي البغيضَ به ، حديثٌ مُعْضِلُ
ولئن صددتُ لأنتِ لولا رِقبتي ... أهـوى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ
إنّ الشَّبابَ وعيشَنا اللـذَّ الذي ... كُنّـا بـه زمناً نُسرُّ ونَجذَلُ[4]
ذهبـت بشاشتُهُ وأصبَحَ ذكـرُه ... حُزْنـاً يعُـلُّ بـه الفؤاد وينهلُ

---

1 سبع فلان فلاناً : شتمه ووقع فيه .

2 تفاحش في الديوان 167 : تقاعس .

3 القبل : الحول ، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .

4 اللذّ : اللذيذ .

إلاَّ تَـذكُّـرَ مـا مضى وصبابةً مُنِيَتْ لقلْـب متيَّـمٍ لا يَذْهلُ
أُودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذَّاتُـه وأنـا الحزينُ على الشبابِ المُعْوِلُ
يبكِي لمـا قَلَب الزمانُ جديدَه خَلَقاً وليس على الزّمـانِ مُعوَّلُ
والرأس شامِلُـه البَياضُ كأنّـه بعـد السّوادِ بـه الثَّغامُ المُحْجِلُ[1]
وسفيهةٍ هبَّـت عـليَّ بسُحْرةٍ جَهْلاً تلـوم على الثّواء وتَعْذِلُ[2]
فأجبتُها أَن قلتُ لستِ مُطاعةً فـذري تنصُّحكِ الذي لا يُقبَلُ
إنِّـي كَفـاني أن أعالج رِحْلَةً عُمَرٌ ونبْوَةُ مَـن يضنّ ويبخلُ
بِنَوال ذي فجـرٍ تكون سِجالُه عَمَماً إذا نـزل الزَّمانُ الممحلُ
مـاضٍ على حـدث الأُمورِ كأنّه ذو رَوْنق عَضْبٌ جَـلاهُ الصَّيْقَلُ
تُبـدي الرجـال إذا بدا إعظامه حذَرَ البُغاث هَوى لهنّ الأَجْدَلُ[3]
فيرون أنّ لـه عليهـم سورةً وفضيلَةً سَبَقَـت لـه لا تُجْهَلُ
مُتَحمِّل ثِقَـلَ الأُمـورِ حوى لـه سبقَ المكـارم سابِـقٌ مُتَمَهِّلُ
ولـه إذا نُسِبَت قريشٌ منهـم مجدُ الأُرومة والفَعـالُ الأَفضلُ
ولـه بمكّـة إذْ أميّـة أَهلُهـا إرثٌ إذا عُـدَّ القديـمُ مُؤَثّلُ
أعيـت قرابتُـه وكان لُزومُـه أَمْـراً أَبـانَ رَشادَه مَنْ يَعْقِلُ[4]
وسمـوتَ عن أَخلاقهـم فتركتهم لنـداك إنّ الحـازمَ المتحـوّلُ
ولقـد بـدأتُ أريدُ وُدَّ معاشرٍ وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلوا
حتى إذا رجـع اليقينُ مطامِعي يأساً وأَخلَفَنـي الذيـن أُؤَمِّلُ
زايلـتُ مـا صَنَعوا إليك برِحْلَةٍ عَجْـلى وعنـدك عنهـمُ مُتَحوَّلُ
ووعدتَني في حاجـةٍ فصَدَقْتَني ووفيتَ إذ كَذَبوا الحديثَ وبَدَّلوا
وشكوتُ غُرمـاً فادحاً فحملتَه عَنّـي وأنـت لمثلـهِ مُتَحمِّلُ

---

1 الثغام : نبت أبيض ، وأثغم الرأس : صار كالثغام بياضاً . والمحجل من الحجل ، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه ، وفي الديوان 168 وفي ل : المحول .

2 سُحرة : في وقت السّحر .

3 الأجدل : الصقر .

4 أعيت في الديوان 169 : أغنت . قرابته في ل : قرائنه . أمراً في ل : أثراً .

فلأشكرنَّ لـــك الذي أوليتَني شُكراً تُحـلُّ بـه المطِيُّ وتُرحَلُ
مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها مَبْذُولَـــةً ولغيـــركم لا تُبــذَلُ
فـــإذا تَنَحَّلْــتُ القريضَ فإنه لكم يكـــون خِيـــارُ ما أَتَنَحَّلُ
ولعمرُ مَــن حَـجَّ الحجيجُ لِبَيْته تَهْوِي بـــه قُلُص المَطـيّ الذُّمَّلُ
إنَّ امــرءاً قـــد نالَ منك قرابةً يَبْغـــي منافِـعَ غيرهـا لَمُضَلَّلُ
تَعْفُو إذا جَهِلُـــوا بحلمك عنهم وتُنِيل إن طلبـــوا النّوالَ فتُجزِلُ
وتكون مَعْقِلَهـــمْ إذا لم يُنجِهم من شَرّ مـــا يخشون إلاّ المَعْقِلُ
حتى كأنّك يتّقى بـــك دونهمْ من أُسْدِ بِيشة خـــادِرٌ مُتَبَسِّلُ[1]
وأراكَ تفعلُ مـــا تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفْعَلُ[2]
وأرى المدينةَ حين صِرْت أميرَها أَمِنَ البَرِيءُ بهـــا ونـــام الأعزلُ

فقال عمر : ما أَراك أعفيتني ممّا استُعْفيت منه ، قال : لأنّه مَدَحَ عمر وعَرَّض بأخيه أبي بكر .

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الكامل]

مـا لي أَحِـــنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت وأصدّ عنك وأنت مِنِّـيَ أقربُ ؟
وأرى البـــلادَ إذا حللتِ بغيرها وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخصِبُ
يـا بيـــت خنساءَ الذي أتجنّب ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ
تبكي الحمامةُ شجوَهـا فتَهيجُني ويَرُوحُ عـــازب هَمِّـــيَ المتأوِّبُ

الشعر لسليمان بن أبي دُباكل ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، عن عمرو . وقال ابن المكّيّ : فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز ، وأوّله :

تبكـــي الحمامـــة شجوها فتهيجني

1 بيشة : مكان اشتهر بأسده . والخادر : الذي لزم عرينه . ومتبسّل : عابس غضباً أو شجاعة . وقد تضمن البيت مثلاً هو : من أسد بيشة خادِرٌ .

2 مذق الحديث : مخلوط غير خالص . من مذق اللبن : إذا خلطه بالماء .

[التعريف بعاتكة]

أَخبرني الحسينُ بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي ، وقال محمدُ بن كُناسة : حدَّثني أبو دُكين بنُ زكريّا بن محمد بن عمّار بن ياسر : قال : رأيتُ عاتكةَ التي يقول فيها الأَحوص :

يــا بيت عاتكة الذي أَتعزّل

وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالاً من نيلج[1] تَتملَّح به .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير ، عن محمد بن محمد العمريّ : قال : عاتكة التي يُشبّب بها الأَحوصُ عاتكةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية .

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن إسحاق بن عبد الملك : أَنّ الأَحوص كان ليِّناً ، وأَنّ عاتكة التي يَنْسِب بها ليست عاتكةَ بنتَ عبد الله بن زيد بن معاوية ، وإنّما هو رجل كان ينزل قُرًى كانت بين الأَشراف كنى عنه بعاتكة .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبيريّ عن يعقوب بن حكيم : قال : كان الأَحوص لَيِّناً ، وكان يلزم نازلاً بالأَشراف ، فنهاه أخوه عن ذلك ، فتركه فَرَقاً من أخيه ، وكان يمرّ قريباً من خيمة النازل بالأَشراف ويقول : [من الكامل]

يــا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل حذرَ العِدا وبـه الفؤادُ مُوكَّل

يكني عنه بعاتكة ولا يقدر أَن يدخل عليه .

[الفرزدق وكثير يزوران الأحوص]

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبيريّ ، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم : قال : حدَّثني عبد العزيز بن عمران : قال : قدِم الفرزدق المدينة ، فقال لكُثَيِّر ؟ هل لك بنا في الأَحوص نأتيه ونتحدّث عنده ؟ فقال له : وما نصنع به ؟ إذاً والله نجد عنده عبداً حالِكاً أسود حلوكاً يؤثره علينا ، ويَبِيتُ مُضاجِعه ليلته حتى يصبح ، قال الفرزدق : فقلت : إنّ هذا من عداوة الشعراء بَعضِهِمْ لبعض ، قال : فانهَضْ بِنا إليه إذاً ، لا أَبَ لغيرك ، قال الفرزدق : فأَردفْتُ كُثَيِّراً ورائي على بَغْلَتي ، وقلت : تلفّف يا أَبا صخر ، فمثلُك لا يكون رَدِيفاً ، فخَمَّر رأسَه وأَلصقَ فيَّ وجهه ، فجعلتُ لا أجتاز بمجلس قوم إلاّ قالوا : مَن هذا وراءك يا أبا فراس ؟ فأقول : جاريـة وَهبَهـا لي الأمير ، فلمّـا أكثرت عليه من ذلك ، واجتاز على بني زُرَيق ، وكان يُبغِضهم ، فقلتُ لهم ما كنت أقول قبل ذلك ، كشف عن رأسه وأومَض[2] وقال : كذَب ،

1 النيلج : دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر .

2 أومض : أشار إشارة خفيّة رمزاً أو غمزاً .

ولكنّي كَرِهتُ أن أكونَ له رديفاً وكان حديثُه لي مُعجباً ، فركِبت وراءه ، ولم تكن لي دابة أركبُها إلاّ دابّته ، فقال : لا تعجل يا أبا صَخر ، ههنا دَوابُّ كثيرة تركَبُ منها ما أردت ، فقال : دوابكم والله أبغضُ إليَّ من رِدْفه ، فسَكَتُوا عنه . وجعل يتغشَّم[1] عليهم ، حتى جاوز أبصارهم ، فقلت : والله ما قالوا لك بأساً ، فما الذي أغضبك عليهم ؟ فقال : والله ما أعلم نفراً أشدَّ تعصّباً للقرشيّين من نفر اجتزتُ بِهم ، قال : فقلت له : وما أنتَ ، لا أُمَّ لك ولقريش ، قال : أنا والله أحدهم ، قلت : إن كنتَ أحدَهم فأنت والله دَعيُّهم ، قال : دَعِيُّهم خيرٌ من صَحيح نسب العرب ، وإلاّ فأنا والله من أكرم بيوتهم ، أنا أحد بني الصَّلت بن النضر ، قلت : إنّما قريش ولد فهرْ بن مالك ، فقال : كَذَبت . فقال : ما عِلمُك يا ابن الجعْراء بقريش ؟ هم بنو النَّضْر بنِ كنانة ، ألم تَرَ إلى النبيّ ﷺ انتسب إلى النَّضْر بن كنانة ، ولم يكن ليجاوز أكرمَ نسبه ، قال : فخرجنا حتى أتينا الأحوص ، فوجدناه في مشربة له ، فقلنا له : أنَرقى إليك أم تنزل إلينا ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، عندي أُمّ جعفر ، ولم أرَها منذ أيّام ، ولي فيها شُغل ، فقال كُثيِّر : أُمّ جعفر والله بعضُ عبيد الزَّرانِيق[2] فقلنا له : فأنشِدنا بعضَ ما أحدثتَ به ، فأنشدنا قوله : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكـةَ الذي أتعزَّل حذرَ العِدا وبـه الفُؤادُ مُوكَّلُ

حتى أتى على آخرها ، فقلت لكثير : قاتَلَه الله ، ما أشعره ، لولا ما أفسد به نَفسَه ، قال : ليس هذا إفساداً ، هذا خَسْفٌ إلى التّخُوم ، فقلت : صدقت ، وانصرفنا من عنده ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : إن شئت فمنزلي ، وأحملُك على البغلة ، وأهب لك المِطْرف ، وإن شئت فمنزِلك ولا أرزؤك شيئاً ، فقال : بل منزلي ، وأبذُلُ لك ما قَدرت عليه ، وانصرفنا إلى منزله ، فجعل يحدّثني ويُنشدني حتى جاءت الظّهر ، فدَعا لي بعشرين ديناراً وقال : استعِن بهذه يا أبا فراس على مقدمك ، قلت : هذا أشدّ من حُمْلان بني زُرَيق ، قال : والله إنّك ما تأنف من أخذ هذا من أحـد ، غير الخليفة ، قـال الفرزدق : فجعلت أقـول في نفسي : تـالله إنّه لمن قريش ، وهممتُ ألاّ أقبل منه . فدعتني نفسي ، وهـي طَمِعَةٌ ، إلى أخذِها منه ، فأخذتها .

[من هي الجعراء ؟]

معنى قول كُثَيِّر للفرزدق : يا ابن الجعراء : يُعَيِّره بِدُغَة ، وهي أُمّ عمرو بن تميم ، وبها

1 يتغشّم : يتجنّى .

2 الزرنوق : النهر الصغير ، وتزرنق : استقى على الزرنوق بالأجرة .

يُضرب المثل في الحماقة ، فيقال : هي أَحمق من دُغَة[1] ، وكانت حاملاً ، فدخلت الخلاء ، فولدت ، وهي لا تعلم ما الولد ، وخرجت وسَلاها[2] بين رجليها ، وقد استهلَّ ولدها ، فقالت : يا جارتا ، أَيَفْتَح الجعر[3] فاه فقالت جارتها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فبنو تَمِيم يُعَيَّرُون بذلك ، ويقال للمنسوب منهم : يا ابن الجعراء .

[ملاحاة بينه وبين السرّي]

أُخبرني الحِرْميُّ ، عن الزُّبير قال : حدَّثني سليمانُ بن داود المجمعيّ : قال : اجتاز السّريّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عُتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأَحوص وهو ينشد قوله :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّل

فقال السّريّ : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ المُنَوَّهَ باسْمِهِ ... اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَلِ

فواثَبَه الأَحوصُ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأَنت وشتمي في أَكارِيسِ مالك ... وسَبّي به كالكَلْبِ إذ يَنبح النَّجْما[4]

تَداعَى إلى زَيْد وما أَنتَ منهم ... تَحُقُّ أَباً إلاَّ الولاءَ ولا أُمَّا

وإِنَّك لو عَدَّدْتَ أَحسابَ مالك ... وأَيَّامها فيها ولم تنطقْ الرَّجْما

أَعادتْكَ عَبْداً أَو تَنَقَّلتَ كاذِباً ... تَلمَّسُ في حيٍّ سوى مالك جِذْما

وما أَنا بالمحْسوسِ في جِذْمِ مالك ... ولا بالمُسَمَّى ثم يلتزم الاسما

ولكن أَبي لَوْ قد سأَلتَ وجدتَه ... توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَب الضَّخْما

فأَجابه السّريُّ فقال : [من الوافر]

سأَلتُ جميعَ هذا الخلق طُرّاً ... متى كان الأُحَيْوِص من رِجالي

1 مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 219/1 والأمثال للمفضل بن محمد الضبي 172 وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبّي 29 والدرة الفاخرة للأصبهانيّ 133/1 ، 145 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 54/1 ، 342 ، 389 ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري 79/1 ، وفي فصل المقال 183 ، 485 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 366 .

2 السّلا : جلدة يكون فيها الولد من النّاس والمواشي .

3 الجعر : ما يبس من العذرة .

4 الأكاريس : جمع أكراس . وهي جمع كرس بمعنى الجماعة .

وهي أَبيات ليست بجيدة ولا مختارة ، فألغَيْتُ ذكرها .

[شعره يسعف دليل المنصور]

أَخبرني محمد بن أَحمد بن الطّلاّس أبو الطّيّب ، عن أَحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ ، وأَخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير : قال : حدَّثني عمِّي ، وقد جمعت روايتيهما ، أَنّ المنصورَ أمَرَ الرّبيع لما حجَّ أن يُسايره برجل[1] يعرف المدينة وأهلَها وطرقَها ودُورَها وحيطانها ، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الرَّبيع زماناً ، وهو رجل من الأنصار ، فقال له : تهيّأ فإنّي أظنّ جَدَّك قد تحرَّك ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أُسايره برجل يعرف المدينة وأَهلَها وطرقها وحيطانها ودورها فتَحسَّسْ موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ، ولا تكتُمه شيئاً ، ولا تسأَله حاجة ، فغدا عليه بالرجل ، وصَلَّى المنصورُ الفجر فقال : يا ربيعُ ، الرجل ، فقال : ها هو ذا ، فسار معه يخبره عمّا سأل حتى ندر[2] من أَبيات المدينة ، فأَقبل عليه المنصور ، فقال : مَن أنتَ أَوّلاً ؟ فقال : مَن لا تبلُغه معرفتُك ، هكذا ذكر الخرّاز وليس في رواية الزُّبير ، فقال : ما لَكَ من الأَهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوّجتُ ، ولا لي خادمٌ ، قال : فأَين منزلك ؟ قال : ليس لي منزل ، قال : فإنّ أَمير المؤمنين قد أمَرَ لك بأربعة آلاف درهم ، فرمى بنفسه فقبَّلَ رِجله ، فقال له : اركب ، فركِب ، فلمّا أَراد الانصراف قال للرَّبيع : يا أَبا الفضل ، قد أَمَرَ لي أَمير المؤمنين بصلة ، قال : إيه ، قال : إن رأَيت أَن تنجِّزَها لي ، قال : هيهات ، قال : فأَصنع ماذا ؟ قال : لا أَدري والله ، وفي رواية الخرّاز أَنّه قال : ما أَمَرَ لكَ بشيء ، ولو أَمَرَ به لدَعاني ، فقال : أَعْطِه أو وَقِّعَ إليّ ، فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن في الحساب ، فلبِثتُ أَيّاماً ، ثم قال المنصور للرَّبيع : ما فعلَ الرجل ؟ قال : حاضر ، قال : سايرنا به الغداة ، ففعل ، وقال له الرَّبيع : إنّه خارج بعد غد ، فاحتلْ لنفسك ، فإنّه والله إن فاتك فإنّه آخرُ العهد به ، فسار معه ، فجعل لا يمكنه شيءٌ حتى انتهى إلى مسيره ، ثم رجع وهو كالمُعْرِض عنه ، فلمّا خاف فوتَه أقبل عليه فقال : يا أَمير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكة ، قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الأَحوصُ : [من الكامل]

يـا بيتَ عاتكة الذي أَتعزّل

قال : فَمَهْ ، قال : إنّه يقول فيها :

إنَّ امـرءاً قـد نال منك وسيلَةً يرجُـو منافـعَ غَيرِهـا لمضلّلُ

---

1 ل : يبغيه رجلاً .

2 ندر : خرج .

وأَراكَ تفعَلُ مـــا تقول وبَعضُهم مَذِقُ الحديثِ يقــول ما لا يَفْعَلُ

فقال الزُّبير في خبره : فقال له : لقد رأَيتُك أذكرتَ بنفسك ، يا سليمان بنَ مخلد ، أعطِه أَربعـة آلاف درهم ، فأعطاه إيّاها ، وقال الخرّاز في خبره : فضحك المنصور ، وقال : قاتلك الله ، ما أَظرفك ، يا ربيعُ أعطِه أَلف درهم ، فقال : يا أَمير المؤمنين إنّها كانت أربعةَ آلاف درهم ، فقال : أَلفٌ يُحَصَّلُ خير من أربعة آلاف لا تُحَصَّل .

[ابن المقفّع يتمثّل بمطلع لاميته]

وقال الخرّاز في خبره : حدَّثني المدائنيّ : قال : أُخِذَ قومٌ من الزنادقة ، وفيهم ابنٌ لابنِ المقفّع ، فمَرَّ بهم على أصحابِ المدائن ، فلمّا رآهم ابنُ المقفّع خَشي أَن يُسَلّم عليهم فيُؤْخَذ ، فتمثَّل : [من الكامل]

يــا بيتَ عاتكةَ الذي أَتعزَّلُ حذَر العِدا وبــه الفؤادُ مُوكَّلُ

الأَبيات ، ففَطِنوا لِما أَراد ، فلم يُسلّموا عليه ، ومضى .

[الأحوص ومعبد وجارية]

أَخبرني أَحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّة : قال : بلغني أَنّ يزيدَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله أَن يُجَهّز إليه الأَحوصَ الشاعر ومعبداً المُغنـي : فأَخبرنا محمـد بن خلف وكيع : قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ شبيب : قال : حدَّثني إسماعيل بن أبي أُويس : قال : حدَّثني أَبي : قال : حدَّثنا سلمة بن صفوان الزّرقيّ ، عن الأَحوص الشاعر ، وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقيّ : أنّ الزُّبير بن بكّار حدَّثه عن ابن أَبي أُويس ، عن أبيه ، عن مسلمة بن صفوان ، عن الأَحوص ، وأخبرني به الحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه ، عن جرير المدينيّ المغنّي ، وأبو مسكين : قالـوا جميعاً : كتب يزيدُ بن عبد الملك في خلافته إلى أَمير المدينة ، وهو عبدُ الواحـد بن عبد الله النَصريّ ، أَن يحمـل إليـه الأَحوص الشاعر ومَعْبداً المغنّي مولى ابن قَطَن قال : فجُهِّزنا وحُمِلنا إليه ، فلمّا نزلنا عُمانَ أبصرنا غديراً وقصوراً ، فقعدنا على الغدير وتحدَّثنا وذكرْنا المدينة ، فخرجتْ جارية من بعض تلك القصور ، ومعها جرّة تريد أَن تَستقي فيها ماء ، قال الأَحوص : فتغنَّت بمدحي في عُمَر بن عبد العزيز : [من الكامل]

يا بيتَ عاتكَة الذي أَتعزّل

فتغنَّت بأحسن صوت ما سمعْتُه قطّ ، ثم طرّبت ، فأَلقت الجرّة فكسرتها ، فقال مَعبد : غنائي والله ، وقلت : شعري والله ، فوثبنا إليها ، وقلنا لها : لَمن أنتِ يـا جاريـة ؟ قالت : لآل سَعِيد بن العاص ، وفي خبر جرير المغنّي : لآل الوليد بن عقبة ، ثم اشتراني رجل من آل الوَحيد بخمسين أَلفَ درهم ، وشُغِف بي ، فَغَلَبَتْه بنتُ عمٍّ له طرأَت عليه ، فتزوّجها على أَمري ،

فعاقَبتْ منزِلتُها منزلتي ، ثم عَلا مكانُها مكاني ، فلم تزدها الأيّامُ إلاّ ارتفاعاً ، ولم تزِدني إلاّ اتضاعاً ، فلم ترضَ منه إلاّ بأن أخدمها ، فوكّلتني باستقاء الماء ، فأنا على ما تَرَيان ، أخرُج أستقي الماء ، فإذا رأيت هذه القصورَ والغُدرانَ ذكرتُ المدينة ، فطربت إليها ، فكسَرْتُ جرّتي ، فيعذلني أهلي ، ويلومونني . قال : فقلت لها : أنا الأحوص ، والشعر لي ، وهذا مَعْبد ، والغناء له ، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين ، وسنذكرُك له أحسنَ ذكر . وقال جرير في خبره ووافقه وكيع ، ورواية عمر بن شبّة : قالوا : فأنشأت الجارية تقول : [من الخفيف]

إن تروني الغداةَ أسعى بجرٍّ أستَقي المـاءَ نحو هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاء من العيـ ـش وفي كلِّ نعمةٍ وسُرورِ
ثم قـد تُبصِران ما فيه أمْسَيْـ ـتُ وماذا إليه صار مَصيري
فإلى الله أشتكي مـا أُلاقـي من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَميري
أبلغا عَنّيَ الإمـامَ ومـا يعـ ـرف صِدقَ الحَديث غيرُ الخَبيرِ
أنَّني أضرَبُ الخَلائِـق بالعُو د وأَحْكاهُـم بِبَـمٍّ وزيـرِ
فلعـلَّ الإلـهَ يُنقِـذ مِمّـا أنـا فيـه فإنَّنـي كالأسيرِ
ليتني مِتّ يوم فارقتُ أهلي وبلادي فزُرت أَهـلَ القُبورِ
فاسمعـا مـا أقـول لقّاكما الله نجاحاً في أحسن التيسيرِ

فقال الأحوص من وقته : [من الخفيف]

صوت

إنّ زيـنَ الغدير من كسر الجرْ رَ وَغَنَّـى غِنـاء فحلٍ مُجيدِ
قلتُ : مَن أنتِ يا ظعينُ فقالت : كنتُ فيما مضـى لآل الوليدِ

وفي رواية الدّمشقيّ :

قلت : من أيْنَ يا خَلوبُ فقالت : كنتُ فيمـا مضى لآل سعيدِ
ثم أصبحْتُ بعد حَـيِّ قريشٍ في بني خالد لآل الوحيـد
فغِنائـي لَمعبـد ونَشيـدي لفتى الناس الأحْوَص الصِّنديدِ
فتباكيْتُ ثم قلـت : أَنا الأَحْـ ـوص والشيخ مَعْبدٌ فأَعِيدي
فأعـادت لنـا بصوتٍ شجيٍّ يتركُ الشيخَ في الصِّبا كالوَليدِ

وفي رواية أبي زيد :

فأعادت فأَحسنَتْ ثم ولَّتْ ... تَتهادى فقلتُ قولَ عميدِ
يعجِزُ المالُ عن شِراكِ ولكن ... أنتِ في ذِمَّة الهُمام يزيدِ
ولكِ اليومَ ذِمَّتي بوفاءٍ ... وعلى ذاك من عِظام العهودِ
أَنْ سيَجْري لك الحديثُ بصوت ... مَعبديّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ[1]
يفعلِ اللهُ ما يشاء فَظُنِّي ... كُلَّ خير بنا هناكَ وزيدي
قالت القَينةُ الكَعابُ : إلى الـ ... ـلهِ أُموري وأرْتَجي تَسْديدي

غنَّاه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشاميّ وغيرِهما ، وهي طريقة هذا الصوت ، وأهلُ العِلْم بالغناء لا يصحّحونه لمعبَد .

قال الأحوص : وضع فيه معبَدٌ لحناً فأَجادَه ، فلمّا قَدِمنا على يزيد قال : يا مَعْبَد أَسْمِعني أَحدثَ غناء غنَّيتَ وأطْراه ، فغنّاه معبد : [من الخفيف]

إنّ زَينَ الغدير مَن كَسَرَ الجرْ ... رَ وغنَّى غِناء فحْلٍ مُجيدِ

فقال يزيدُ : إنّ لهذا لَقِصَّة فأخبِراني بها ، فأخْبراه ، فكتب لعامِله بتلك الناحية : إنَّ لآل فلان جاريةً ، من حالها «ذيت وذيت» ، فاشْتَرِها بما بَلَغَت ، فاشتراها بمائة أَلف درهم ، وبعث بها هديَّة ، وبعث معها بألطافٍ كثيرة ، فلمّا قَدِمَتْ على يزيدَ رأَى فضلاً بارِعاً فأُعْجِبَ بها ، وأجازها ، وأخدمَها ، وأقطَعَها ، وأفرَدَ لها قصراً ، قال : فوالله ما برحنا حتى جاءَتنا منها جوائز وكُساً وطُرَف .

[يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثّل بشعره]

وقال الزُّبير في خبره عن عَمِّه ، قال : أَظنّ القصّة كلَّها مصنوعة ، وليس يشبه الشِّعرُ شعرَ الأَحوص ، ولا هو من طرازِه ، وكذلك ذَكَرَ عمرُ بن شبّة في خبره .

أَخبرني الحِرْميّ ، عن الزُّبير قال : سمعت هشامَ بنَ عبد الله بن عِكْرِمة يحدّث عن عتبة بنِ عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : قال : كنتُ مع يزيد بن عُمَرَ بن هبيرة ليلة الفرات ، فلمّا انهزم الناسُ التفتَ إليّ فقال : يا أبا الحارث ، أَمسَيْنا والله وهم كما قال الأحوص : [من الكامل]

أَبْكي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزّمانِ مُعَوَّلُ

1 يردُّ في ل : يدر .

[يتأوّل النّاس شعره بزوال دولة الأمويين]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن محمد العُمَريّ : أَنَّ عاتكةَ بنتَ عبد الله بن يزيدَ بن معاوية رُئِيتُ في النّوم قبل ظُهورِ دَوْلة بَني العبّاس على بني أُميّة كأنّها عُريانة ناشِرة شعرَها تقول : [من الكامل]

أَين الشَّبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي ... كُنّا بـه زَمَناً نُسَرُّ ونُجذَلُ

ذهبتْ بَشاشتُه وأُصبَح ذِكرُه ... حُزْناً يُعَلُّ بـه الفؤادُ ويُنْهَلُ

فتأول النّاس ذلك بزَوال دنيا بني أُميّة ، فكان كما قالوا .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أَبيه ، عن الجمحيّ ، عن شيخ من قريش : أنّه رأى في النّوم امرأة من ولد عثمان بن عفّان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد ، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغنّي : [من الكامل]

أَينَ الشبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي ... كنّا بـه يومـاً نُسرُّ ونُجذلُ

ذهبتْ بشاشتَه وأُصبح ذِكرُه ... حُزناً يُعلُّ بـه الفؤادُ ويُنهلُ

قال : فما لبثنا إلاّ يسيراً حتى خرج الأَمر عن أَيديهم ، وقتل مروان .

قال إسحاق : المنامة : الدكان[1] وجمعها منايم .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا هندُ إنَّكِ لو علمـ ... ـتِ بعاذلَيْـنِ تَتابعـا

قالا فلـمْ أَسَمَعْ لِما ... قـالا وقلتُ بل اسْمَعا

هندٌ أحـبُّ إليَّ من ... مالي وروحـيَ فارْجِعا

ولقـد عَصَيْتُ عَواذلي ... وأَطْعتُ قلبـاً مُوجَعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بنِ الحسن عليهم السلام ، والغناء لابن سُرَيْج ، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل ، الأَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رَمَل بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، ذكر أَبو العَنْبَس أنّه لابن سريج وذكر الهشاميّ وابنُ المكِّيِّ أنّه للغريض ، وذكر حَبَش أن لإبراهيم فيه رملاً آخر بالبنصر ، وقال أحمد بن عُبَيْد : الذي صحّ فيه ثقيل الأوّل وخفيفه ورمله ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لابن عبّاد .

---

1 ل : البرنكان .

[448] ـ ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن
عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر

[نسبه]

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وقد مضى نسبُه في أخبار عمِّه الحسين صلواتُ الله عليه في شِعرِه الذي يقول فيه : [من الوافر]

لعمرُكَ إنَّني لأُحِبُّ دارا تَحلُّ بِهـا سُكَيْنَةُ والرَّبابُ

ويُكنى عبدُ الله بنُ الحسن أبا محمد ، وأُمُّ عبدِ الله بنِ الحَسَن بن الحَسَن فاطمةُ بنتُ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، وأُمُّها أُمّ إسحاق بنتُ طلحَةَ بن عبيد الله ، وأُمُّها الجرباء بنت قُسامةَ بن رومان من طيِّىء .

[سميت الجرباء لحسنها]

أخبرني أحمد بن سعيد : قال : حدَّثنا يحيى بنُ الحسن قال : إنّما سُمِّيت الجَرباء لِحُسنها ، كانت لا تقف إلى جنبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلة إلاّ استُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، وكان النساء يتحامَيْنَ أن يَقِفْنَ إلى جنبها ، فشُبِّهت بالنّاقة الجَرباء التي تتوقّاها الإبلُ مخافةَ أن تُعْدِيَها .

وكانت أُمّ إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهنّ خُلُقاً ، ويقال : إنّ نساء بني تَيْم كانت لهنّ حُظْوَةٌ عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ ، ويروى أنّ أُمَّ إسْحاقَ كانت ربّما حملت وولدَت وهي لا تُكلِّمُ زَوْجَها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمِّه بذلك : قال : وقد كانت أُمّ إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام ، فلمّا حضرتْه الوفاةُ دَعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له : يا أخي إنِّي أرضى هذه المرأة لك . فلا تَخرُجَنَّ من بيوتكم ، فإذا انقضت عِدَّتُها فتزَوَّجها . فلمّا توفي الحَسَن عنها تزوَّجها الحسين عليه السلام ، وقد كانت ولدَت من الحسن عليه السلام ، ابنَه طلحة بن الحسن ، فهو أخو فاطمة لأُمِّها وابن عمّها ، وقد درج طلحة ولا عقب له .

[جمال وسوء خلق]

ومن طرائف أخبار التَّيْمِيَّات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن محمد بن عبد الله ، قال : كانت أُمُّ سلمة بنتُ

محمد بنِ طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتُغْلِظ له ، ويَفْرَق منها ولا يخالفها ، فرأى يوماً منها طيبَ نَفْس ، فأراد أن يشكو إليها قسوتها ، فقال لها : يا بنتَ محمد ، قد أُحرِق والله قلبي . . . فَحَدَّدَتْ له النَّظَر ، وجمعت وجهها وقالت له : أَحرقَ قلبَك ماذا ؟ فخافَها فلم يقدر على أن يقول لها : سوءُ خُلقك ، فقال لها : حُبُّ أَبي بَكْر الصّدّيق ، فأمسكتْ عنه .

وتزوَّجَ الحسنُ بن الحسن فاطمةَ بنتَ الحُسَيْن في حَياة عَمِّه ، وهو ـ عليه السلام ـ زوَّجَهُ إيّاها .

[زواجه فاطمة بنت الحسين]

أُخبرني الطّوسيّ والحِرْميّ ، عن الزُّبير ، عن عمِّه بذلك ، وحدَّثني أَحمدُ بنُ محمد بنِ سِعيدٍ عن يحيى بن الحَسَن عن إسماعيلَ بن يعقوبَ : قال : حدَّثني جدِّي عبدُ الله بنُ مُوسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خطب الحسن بن الحسن إلى عمِّه الحُسَيْن ، صلوات الله عليه ، وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين عليه السلام . اختَرْ يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك ، فاستَحْيا الحسن ، ولم يُحْرِ جواباً ، فقال له الحسين عليه السلام : فإنِّي اخترت منهما لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأمِّي فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أُخبرني الطوسيّ والحِرْميّ عن الزُّبير عن عمِّه مصعب : أَنَّ الحسن لَمّا خَيَّره عمُّه اختار فاطمة ، وكانوا يقولون : إنّ امرأةً ، سُكَيْنة مردودتها ، لمنقطعةُ القَرين في الجَمال .

أُخبرني الطوسيّ والحِرْميّ بن أَبي العلاء ، عن الزُّبير بن بكّار ، وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن أحمد بن يحيى وأحمدَ بن زهير ، عن الزُّبير ، وأخبرني أحمدُ بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن الزُّبير بن بكّار واللفظ للحَسَن بن عليّ ، وخبرُه أتمّ : قال : قال الزُّبير : حدَّثني عمِّي مصعب ولم يذكر أحداً .

[ليس لمخضوب البنان يمين]

وأَخبرني محمدُ بن يحيى عن أَيّوبَ ، عن عمر بن أَبي المَوالي قال الزُّبير : وحدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يُوسف بن الماجِشون ، وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين : أَنَّ الحسن بن الحسن لَمّا حضرته الوفاةُ جَزِع ، وجعل يقول : إنِّي لأَجِد كَرْباً ليس إلاّ هو كربَ الموت ، وأعاد ذلك دفعات ، فقال له بعض أهله : ما هذا الجزع ، تُقدِم على رسول الله ﷺ وهو جدُّك وعلى عَلِيّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم ، وهم آباؤك ؟ فقال : لعمري إنّ الأمرَ لكذلك ، ولكن كأنِّي بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أَموت وقد جاء في مُضَرَّجَتَيْن[1] أو

1 ضرج الثوب : صبغه باللّون الأحمر .

مُمَصّرتين وهو يُرجّل جُمَّتَه يقول : أَنا من بني عبد مناف جئتُ لأَشْهَد ابنَ عمِّي ، وما به إلاّ أَن يخطُب فاطمة بنتَ الحُسَين ، فإذا جاء فلا يَدْخُلْ عليَّ ، فصاحت فاطمة : أَتسمع ؟ قال : نعم ، قالت : أَعْتقت كلّ مملوك لي ، وتصدّقت بكلّ مِلك لي إن أنا تزوّجتُ بعدك أحداً أبداً ، قال : فسكن الحسن وما تنفّس ولا تحرّك حتى قَضى ، فلمّا ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصِّفَةِ التي ذكرها الحسن ، فقال بعضُ القوم : نُدخِله ، وقال بعضهم : لا يدخُل ، وقال قوم : لا يضرّ دُخولُه ، فدخل وفاطمة تَصُكُّ وجهها ، فأَرسل إليها وصيفاً كان معه ، فجاء يتخطّى النَّاسَ حتى دنا منها فقال لها : يقول لك مولاي أبقي على وجهك فإن لنا فيه أَرَباً ، قال : فأرسلت يدَها في كُمّها واختمرتْ وعُرِف ذلك منها ، فما لَطَمَتْ وجهَها حتى دُفِن صلوات الله عليه . فلمّا انقضت عِدَّتُها خَطَبَها فقالت : فكيف لي بِنَذْري ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكلّ عبد عبدَين ، وبكلّ شيء شيئين ، ففعل وتزوّجته ، وقد قيل في تزويجه إيّاها غيرُ هذا .

أَخبرني به أَحمدُ بن محمد بنِ إسماعيل الهمدانيّ ، عن يحيى بن الحسن العلويّ ، عن أَخيه أَبي جعفر ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الله البكريّ : أَنّ فاطمة لمّا خطبها عبدُ الله أَبَت أَن تتزوَّجه ، فحلفتْ عليها أُمُّها لتتزوجَنَّه ، وقامَتْ في الشّمس ، وآلت لا تَبْرَح حتى تتزوّجه ، فكرِهت فاطمةُ أن تُحْرَج ، فتزوّجته .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أَهلِه وسيّداً من ساداتهم ومقدَّماً فيهم فَضْلاً وعلماً وكرماً ، وحبسه أبو جَعْفَر المنصور في الهاشميّة بالكُوفة لمَّا خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيمُ فمات في الحبس ، وقيل : إنَّه سقط عليه ، وقيل غير ذلك .

[كان أجمل الناس وأفضلهم]

أَخبرني أَحمدُ بنُ محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن عن عليِّ بن أَحمد الباهليّ : قال : سمعتُ مُصعَباً الزُّبيريَّ يقول : انتهى كلّ حُسْنٍ إلى عبدِ الله بنِ حسن ، وكان يقال : مَنْ أَحسنُ النّاس ؟ فيقال : عبدُ الله بنُ الحسن ، ويقال : مَن أَفضلُ النّاس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

حدَّثني محمد بن الحسن الخَثْعَمِيُّ الأَشنانيّ والحسن بن عليّ السلوليّ قالا : حدَّثنا عبّاد بن يعقوب قال : حدَّثنا تلميذُ بن سليمان ، قال : رأَيت عبدَ الله بن الحسن ، وسمعتُه يقول : أَنا أَقربُ الناس إلى رسول الله ﷺ ، ولدتْني بنتُ رسول الله ﷺ مرّتين .

حدَّثني أَحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن ، عن إسماعيل بن يعقوب ، عن عبد الله بن موسى ، قال : أَوّلُ مَن اجتَمَعتْ له وِلادةُ الحسن عليه السلام والحسين ، صلوات الله عليهما ، عبدُ الله بن الحسن عليه السلام .

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشنانيّ ، عن عبد الله بن يعقوبَ ، عن بُندقة بن محمد بن حِجازة الدّهان قال : رأيت عبدَ الله بن الحسن ، فقلت : هذا والله سيّدُ الناس ، كان مكسُوّاً نوراً من قَرْنه إلى قَدَمه .

قال عليُّ بن الحسين ، وقد رُوِي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن عليٍّ عليه السلام ، وأُمُّه أمُّ عبد الله بنتُ الحسن بن عليّ عليه السلام .

حدَّثني أحمدُ بن محمد بن سَعِيد ، عن يحيى بن الحسن ، عن القاسم بن عبد الرزّاق : قال : جاء منظورُ بنُ زبّانَ الفَزاريُّ إلى حسن بن حسن ، وهو جدُّه أبو أُمّه ، فقال له : لعلّك أحْدَثْتَ بعدي أهلاً ، قال : نعم ، تزوّجت بنت عَمِّي الحسين بنِ عليّ ، عليهما السلام ـ قال : بِئْسما صنعتَ ، أما علمت أنّ الأرحام إذا الْتَقَت أَضْوَت[1] ، كان ينبغي أن تتزوّج في الغُرُبِ ، قال : فإنّ الله جلّ وعزّ قد رزقني منها ولداً ، قال : أرنيه ، فأخرج إليه عَبدَ الله بن الحسن فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، هذا والله ليثُ غاب ومعدوّ عليه ، قال : فإنّ الله تعالى قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال : فأرنيه ، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن ، فسُرَّ به ، وقال : أنجبت ، وهذا دون الأوّل ، قال : فإنّ الله قد رزقني منها ولداً ثالثاً ، قال : فأرنيه . فأراه إبراهيمَ بنَ الحسن .

[عمر بن عبد العزيز يرجو شفاعة الرّسول]

حدَّثني أبو عُبيدٍ محمد بن أحمد الصيرفيّ : قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن خلَف قال : حدَّثنا عمر بن عبد الغفار قال : حدَّثنا سعيد بن أبانٍ القُرشيُّ قال : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عبد الله بن الحسن عليه ، وهو يومئذٍ شابٌّ في إزارٍ ورِدَاء ، فرحَّبَ به وأدناه وحيّاه ، وأجلسه إلى جنبِه وضاحكه ، ثم غمز عُكْنة من بطنه ، وليس في البيت حينئذٍ إلاّ أمَوِيّ ، فقيل له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى ؟ قال : إنّي لأرجو بها شفاعةَ محمد ﷺ .

[ينالُ جائزة]

حدَّثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ ، عن عمرَ بن شبّة ، عن إسماعيلَ بن جعفر الجعفريّ : قال : حدَّثني سعيد بن عقبة الجُهَنيّ قال : إنّي لِعندَ عبدِ الله بن الحسن إذ أتاني آتٍ ، فقال : هذا رجل يدعوك ، فخرجت ، فإذا أنا بأبي عَديٍّ الشاعرِ الأمويّ ، فقال : أعْلِم أبا محمد ، فخرج إليه عبدُ الله ، وهم خائفون ، فأمر له بأربعمائة دينار ، وهِنْدٍ[2] بمائتي دينار ، فخرج بستّمائة دينار . وقد روى مالكُ بن أنس عَنْ عبدِ الله بنِ الحَسنِ الحديث .

1 أضوت : دقّت وضعفت .

2 الهند : المائة من الإبل .

[كان يسدل شعره]

حدَّثني أحمدُ بن محمد بنِ سَعِيدٍ عن يحيى بن الحسن قال : حدَّثنا عليُّ بنُ أحمد الباهليُّ عن مُصْعبِ بن عبد الله قال : سئل مالكٌ عن السَّدْل[1] قال : رأيت مَنْ يَرْضى بفِعْله ؛ عبد الله بن الحسنِ يفعلُه ، والسبب في حَبْس عبدِ الله بنِ الحسن وخروج ابْنَيه وقتلِهما يَطولُ ذِكرُه . وقد أتى عُمَرُ بن شَبَّة منه بما لا يَزيدُ عليه أحدٌ إلاّ اليَسِير ، ولكن من أخباره ما يَحسُن ذكره هاهنا فنذكرُه .

[السبب في حبسه وقتل ابنيه]

أخبرني عُمرُ بن عبد الله العتكيّ عن عُمرَ بنِ شَبّة ، قال : حدَّثني موسى بن سَعِيد بن عَبْد الرحمن وأيّوبُ بن عُمرٍ عن إسماعيلَ بن أبي عَمْرو قالوا : لمَّا بنى أبو العبّاس بناءه بالأنبار الذي يُدعى الرُّصافةَ : رصافة أبي العبّاس قال لعبدِ الله بن الحسن : ادخل فانظر ودخل معه ، فلمّا رآه تمثّل : [من الوافر]

أَلَم تَرَ حَوْشَباً أَمْسى يُبَنّي ... بِنـاءً نَفعُـه لبنـي نُفَيْلَهْ[2]
يُؤمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْـرَ نُوحٍ ... وأمرُ اللهِ يحـدُثُ كلَّ لَيْلَهْ

فاحتَملَه أبو العبّاس ولم يُبَكّتْه بها .

أخبرني عمِّي عن ابن شبّة عن يعقوب بنِ القاسم عن عَمْرو بن شهاب ، وحدَّثني أحمدُ بنُ محمد بن سعيدٍ عن يحيى بن الحسن عن الزُّبير عن محمد بنِ الضّحّاكِ عن أبيه قالوا : إنّ أبا العبّاس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغَيُّب ابنَيْه : [من الوافر]

أُريـد حَياتَـه ويُريـد قَتـلي ... عَذيرَك مـن خَلِيلك من مُرادِ

قال عُمرُ بنُ شبّة : وإنّما كتب بها إلى محمد ، قال عمر بن شَبَّة : فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مَوْلى أبي حنين ، فأجابه : [من الوافر]

وكيف يُريـدُ ذاكَ وأَنتَ منه ... بِمنزلـة النِّيـاط مـن الفُؤادِ
وكيف يُريد ذاكَ وأَنتَ منه ... وزَنْدُك حـين تقدح من زِنادِ
وكيف يُريـد ذاك وأَنتَ منه ... وأنـتَ لِهـاشمٍ رأسٌ وَهـادِ

أخبرني عُمرُ بن عبد الله بن شَبّة عن عِيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال : بينا أنا في سَمَر أبي

1 السّدل : إرخاء الشّعر .

2 حوشب : اسم رجل .

العبّاس ، وكان إذا تثاءب أو ألقى المِرْوحة من يده قمنا ، فألقاها ليلة فقمنا ، فأمسكني فلم يبقَ غيري ، فأدخل يده تحت فراشه ، وأخرج إضْبارةَ كُتُب وقال : اقرأ يا أبا محمد ، فقرأت فإذا كتابٌ من محمّد بن هِشام بن عمرو التّغلبيّ يدعوه إلى نفسِه ، فلمّا قرأتُه قلت له : يا أمير المؤمنين ، لك عهدُ الله وميثاقُه ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدُّنيا .

أخبرنا العتكيّ عن ابن شبّة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر ، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال : لمّا استُخلِف أبو جعفر ألحَّ في طلب مُحمَّد والمسألةِ عنه ، وعمّن يُؤوِيه ، فدعا بَني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول : قد عَلِم أمير المؤمنين أنّك قد عَرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ، إلاّ الحسن بن زيد فإنّه أخبره خبرَه ، فقال : والله ما آمنُ وثوبَه عليك ، وأنّه لا يَنامُ فيه فَرَ رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة : فأيقَظَ مَنْ[1] لا ينام .

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبّة عن عيسى بن عبدِ اللهِ بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران بن عُقبة بن سَلْم : أنَّ أبا جَعْفر دعاه ، فسأله عن اسمه ونسبه ، فقال : أنا عُقبة بن سَلْم بن نافع من الأزْد ، قال : إنِّي أرى لك هيئةً وموضعاً ، وإنِّي لأرِيدك لأمرٍ أنا به معنيّ ، قال : أرجو أن أُصدِّقَ ظنَّ أميرِ المؤمنين ، قال : فأخفِ شخصَك ، وائتني في يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال : إنّ بَني عَمّنا هؤلاء قد أبَوْا إلاّ كَيْداً بمُلكِنا ، ولهم شِيعَةٌ بخراسانِ بقرْية كذا وكذا ، يُكاتبونهم ، ويرسلون إليهم بصدقات وألْطاف ، فاذهب حتى تأتيَهم مُتَنكِّراً بكتاب تكتُبه عن أهلِ تلك القرية ، ثم تسير ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا على رأيهم علمت ذلك ، وكنتَ على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشّعاً ، وإن جَبَهَك ، وهو فاعل ، فاصبر وعاوده أبداً حتى يأنسَ بك ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ ، ففعل ذلك ، وفُعِل به حتى أنِس عبد الله بناحِيته ، فقال له عقبة : الجواب ، فقال له : أمّا الكتاب فإنّي لا أكتُب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرئهم السلام ، وأخبرهم أنَّ ابنَي خارج لوقت كذا وكذا ، فشخص عُقبَةُ حتى قدِم على أبي جعفر ، فأخبَره الخبر .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق ، قال : سأل أبو جعفر عبدَ الله بن الحسن عن ابنَيه لمّا حَجَّ ، فقال : لا أعلم بهما حتىَ تغالظا ، فأمضّه[2] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأيّ أمّهاتي تُمِضُّني ؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمةَ

---

1 أيقظ من لا ينام : أي سلط عليه الخليفة العيون والأرصاد .

2 أمضه : أحزنه وأحفظه .

بنتِ رسول الله ﷺ ، أَم بفاطمة بنت الحسين ، عليهم السلام ، أم بأُمّ إسحاق بنت طلحة ؟ قال : لا ولا بواحدة منهنّ ، ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المُسيَّب بنُ زهير ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، دعني أَضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زيادُ بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : يا أَمير المؤمنين ، هبه لي ، فأَنا المستخرج لك ابنيه ، فتخَلَّصَه منه .

قال ابنُ شَبَّة : وحدَّثني بكر بنُ عبد الله مولى أَبي بكر ، عن عليّ بن رباح أَخي إبراهيم بن رباح ، عن صاحبَ المُصلَّى : قال : إنِّي لواقِفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتغذّى بأوطاس[1] ، وهو مُتوجّه إلى مكّة ، ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجَعْفَرِيّ وجماعة من بني العبّاس ، فأَقبل على عبد الله بن الحسن ، فقال : يا أَبا محمد ؛ محمدٌ وإبراهيمُ أَراهما قد استوحشا من ناحِيتي ، وإنِّي لأُحِبّ أن يأنسا بي ويأتِياني فأَصِلَهُما ، وأُزَوِّجهما ، وأخلطهما بنفسي ، قال : وعبد الله يطرق طويلاً ، ثم يرفع رأسه ويقول : وحَقّك يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد عِلم ، ولقد خرجا عن يَدي ، فيقول : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى مَن يُوصّل كتابك إليهما ، قال : وامتنع أبو جعفر عن عامّة غدائه ذلك اليوم إقبالاً على عبد الله ، وعَبدُ الله يحلف أنّه لا يعْرف موضِعَهما ، وأبو جَعْفر يكرّر عليه : لا تَفْعل يا أَبا محمد .

قال ابن شبّة : فحدَّثني محمد بن عباد عن السّنديّ بن شاهك : أَنّ أَبا جعفر قال لعقبه بن سَلْم : إذا فرغنا من الطَّعام فلحَظْتُك فامثُل بَيْن يدي عبد الله ، فإنّه سيصرف بصره عنك ، فَدُرْ حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك ، حتى يملأ عينيه منك ، ثم حسبُك وإيّاك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عُقبةُ ، فلمّا رآه عبدُ الله وثب حتى جثا بين يَدَي أبي جعفر ، وقال : يا أَمير المؤمنين أقِلْني أَقالك الله ، قال : لا أَقالني الله إن أَقَلْتُك ، ثم أمر بحَبسِه .

قال ابن شبّة ، فحدَّثني أَيُّوبُ بنُ عمر : عن مُحمّد بن خلف المَخْزوميّ قال : أَخبرني العبّاسُ بن محمد بن علي بن عَبْد الله بن عبّاس قال : لمّا حَجَّ أَبو جعفر في سنة أَربعين ومائة أَتاه عبد الله وحسن ابنا حَسَن ، فإنّهما وإيّاي لعِنْده ، وهو مَشغولٌ بكتاب ينظر فيه إذ تكلَّم المهديُّ فلَحَن ، فقال عبدُ الله : يا أَمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يُعدِّل لِسانَه ، فإنّه يفعل فِعْل الأمَة ، فلم يَفْهَم ، وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه ، وعاد لأبي جعفر فأُحْفِظ من ذلك ، وقال له : أين ابنك ؟ قال : لا أدري ، قال : لتأتيني به ، قال : لو كان تحت قدميّ ما رَفعْتُهما عنه ،

---

[1] أوطاس : اسم ولد .

قال : يا رَبيعُ فمُرْ به إلى الحبس .

[زوجته هند بنت أبي عبيدة]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد ، عن يحيى بن الحسن قال : توفّي عبد الله في مَحْبسه بالهاشميّة وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عَناها عبدُ الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ ، وأمّها قرينة بنتُ يزيد بن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمَدَّحاً ، وكانت هندُ قبلَ عبد الله بن الحسن تَحْت عَبدِ الله بن عَبْد الملك بن مروان ، فمات عنها .

فأخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : لّما توفّي أبو عبيدة وَجِدَتْ ابنتُه هند وجْداً شديداً ، فكَلَّم عبدُ الله بن الحسن مُحمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل على هندَ بنتِ أبي عُبيدة ، فيُعَزّيها ويُؤسِّيها عن أبيها ، فدخل معه عليها ، فلمّا نظر إليها صاح بأبعد صوته : [من الطويل]

قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ ... أبـاً مثلَـه تسمُو إليـه المَفاخِرُ

وكنت إذا أَسبَلت أسبلت والدا ... يزيـنُ كما زان اليديـن الأساورُ

فصكَّت وجهَها ، وصاحت بحَرَبها وجهدها ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دخلت ؟ فقال الخارجيّ : وكيف أُعَزّي عن أبي عُبَيْدة وأنا أُعَزّى به !

أخبرني العَتَكيّ ، عن ابن شَبَّة : قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن جعفر بن سليمان ، عن عليّ بن صالح ، قال : زوّج عبد الملك بنُ مروان ابنه عبد الله هِنداً بنتَ أبي عُبيدة وريطةَ بنت عبد الله بن عبد المدان لِما كان يقال إنّه كائِنٌ في أولادهما ، فمات عنهما عبد الله أو طلّقهما ، فتزوّج هنداً عبدُ الله بن الحسن ، وتزوّج ريطة محمدُ بن عليّ ، فجاءت بأبي العبّاس السفّاح .

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبّة عن ابنِ داحة عن أبيه قال : لّما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هِند بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأُمّه فاطمة : اخطُبي عليّ هنْداً ، فقالت : إذاً تَرُدَّك ، أتطمع في هند وقد وَرِثت ما وَرِثته ، وأنت تَرِبٌ لا مالَ لك ؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند ، فخطبها إليه ، فقال : في الرُّحْبِ والسَّعَة ، أمَّا منِّي فقد زوّجتك ، مكانك لا تَبْرَحْ ، ودخل على هند ، فقال : يا بنيّة ، هذا عبد الله بن حسن ، أتاك خاطباً ، قالت : فما قلت له ؟ قال : زوجته . قالت : أحسنت . قد أجزتُ ما صنعْتَ ،

وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخلَ على أهلك . قال : فتزيّنَتْ[1] له فبات بها مُعَرّساً من ليلته ، ولا تشعر أمّه ، فأقام سبعاً ، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمّه وعليه رَدْع[2] الطيب ، وفي غير ثيابه التي تَعرف ، فقالت له : يا بنيّ ، من أين لك هذا ؟ قال : من عند التي زَعمْتِ أنّها لا تريدني .

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ وعَمِّي عبدُ العزيز بنُ أحمد بن بَكّار : قالا : حدَّثنا الزُّبير : قال : حدَّثتني ظبية مولاة فاطمة : قالت : كان جدّك عبدُ الله بنُ مُصْعَب يستنشدني كثيراً أبيات عَبْدِ الله بن حسن ويُعْجَب بها : [من الخفيف]

إنّ عينــي تعوّدت كُحْل هِنْدٍ جَمَعَــت كَفُّها مع الرِّفق لِينا

صوت

[من البسيط]

يا عِيــدُ ما لكَ من شوقٍ وإيراقِ ومــرِّ طَيْفٍ على الأهــوالِ طَرَّاقِ

يَسْرِي على الأيْنِ والحيَّاتِ مُحْتفِياً نفسي فِداؤُك من سارٍ على ساقِ[3]

عروضه من البسيط . العيد : ما اعتاد الإنسانَ من هَمّ أو شوق أو مرض أو ذِكْر . والأين والأيم : ضرب من الحيّات . والأين : الإعياء أيضاً ، وروى أبو عَمْرو :

يا عيد قلبُك من شوق وإيراق

الشعر لتأبط شَرّاً ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكّيّ وحَبَش ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى إلى ابن محرز .

1 ل : فتيسرت .
2 الرّدع : أثر الطيب في الجسد .
3 محتفياً في ل : محتفلاً .

[449] ـ أخبار تأبّط[1] شرّاً ونسبه

[نسبه ولقبه]

هو ثابت بن جابر بن سُفيان بن عُمَيْثل بن عديّ بن كعب بن حزن . وقيل : حرب بن تميم بن سعد بن فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

وأُمّه امرأة يقال لها أُميمة ، يقال : إنّها من بني القَيْن بَطْن مَن فَهْم ، وولدت خمسةَ نَفَر : تأبّط شرّاً ، ورِيش بِلَغْب ، وريش نسر ، وكعب جُدِر ، ولا بَواكِي له[2] ، وقيل : إنّها ولدت سادساً اسمه عمرو .

وتأبّط شرّاً لقب لُقِّب به ، ذكر الرّواة أنّه كان رأى كبشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يَبول عليه طُولَ طريقه ، فلمّا قَرُب من الحَيّ ثَقُل عليه الكَبْش ، فلم يُقِلّه فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما تأبّطت يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا : لقد تأبّطت شرّاً فسمّي بذلك .

وقيل : بل قالت له أُمّه : كلّ إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلمّا راح أتى بهنّ في جراب متأبِّطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعَيْن في بيتها ، فوثبت ، وخرجت ، فقال لها نساء الحيّ : ماذا أتاكِ به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعٍ في جراب . قُلن : وكيف حَمَلَها ؟ قالت : تأبّطها . قلن : لقد تأبّط شرّاً ، فلزمه تأبّط شرّاً .

حدّثني عمّي قال حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي مُحلِّم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها : أنّ أمّه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غِلمانَ الحيّ يجتنون لأهليهم الكمأة ، فيروحون بها ؟ فقال أعطيني جرابَك ، حتى أجتني لك فيه ، فأعطته ، فملأه لها أفاعي ، وذكر باقي الخبر مثلَ ما تقدّم .

ومَن ذكر أنّه إنّما جاءها بالغول يحتجّ بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنّه يصف لقاءه إيّاها في شعره كثيراً ، فمن ذلك قوله : [من المتقارب]

---

1 انظر أخباره في : المفضليات : 27 والشعر والشعراء 1/312-314 ، والأنباري 1-2 و195-196 ، والاشتقاق 162-163 والخزانة 1/66-67 واللآلي 158-159 .

2 ولا بواكي له : هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبّط شرّاً .

فأَصبحت الغُــولُ لي جــارةً فيــا جارتــا لك ما أَهولا[1]
فطالبتُهــا بُضْعَهــا فالتــوَت عــليَّ وحاولــتُ أَن أَفعلا[2]
فمَن كان يسأَل عــن جارتي فــإنّ لهــا باللِّــوى مَنْزلا[3]

[كان أعدى ذي رجلين]

أَخبرني عمِّي عن الحَزنبل عن عمرو بن أَبي عمرو الشيبانيّ قال : نزلت على حيّ من فهم إخوة بني عدوان من قيس ، فسألتهم عن خبر تأبّط شرّاً ، فقال لي بعضُهم : وما سؤالك عنه ، أتريد أن تكون لصّاً ؟ قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدَّائين ، فأتحدَّث بها ، فقالوا : نحدّثك بخبره : إنّ تأبّط شرّاً كان أعدى ذي رِجْلَيْن وذي ساقَيْن وذي عيْنَين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظِّباء فينتقي على نظره أسمَنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته ، حتى يأخذه ، فيذبَحه بسَيْفه ، ثم يَشْويه فيأكله . وإنّما سُمِّي تأبَّط شرّاً لأنّه ، فيما حُكيَ لنا ، لَقيَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له رَحى بَطْحان في بلاد هُذَيل ، فأخذت عليه الطريق فلم يَزل بها ، حتى قَتلَها ، وبات عليها ، فلمّا أصبَحَ حَمَلها تحت إبطِه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبّطتَ شرّاً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

تأَبَّط شرّاً ثم راح أَو اغْتَدى يُوائم غُنْماً أَو يَشِيف على ذَحْلِ

يوائم : يوافق ، ويشيف : يقتدر . وقال أيضاً في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيــانَ فَهــمٍ بمــا لاقيتُ عنــد رَحى بطانِ[4]
وأنِّي قــد لقيــتُ الغولَ تهوي بسَهْــب كالصحيفة صحصحانِ[5]
فقلــت لهــا : كلانــا نِضْوُأيْنٍ أَخــو سفــر فخلّــي لي مكاني
فشدَّت شدَّةً نحــوي فأَهْــوى لهــا كفــِّي بمصقولٍ يَمــانِي
فأَضربهــا بــلا دَهَشٍ فَخَرَّت صريعـــاً لِلْيَدَيـــن وللجِــرانِ[6]

1 لك في الديوان 164 : أنت .
2 البضع : الفرج . الشطر الثاني في الديوان 164 : بوجه تهوّل فاستغولا .
3 الشطر الأول في الديوان : فمن سال : أين ثوت جارتي .
4 فهم : قبيلة الشاعر ، وحي بطان : اسم موضع .
5 السهب : الفلاة . والصحصحان : ما استوى من الأرض .
6 الدهش : التحير . والجران : مقدّم العنق .

فقالت : عُـد ؛ فقلت لها : رُوَيْداً مكانَـك إنَّنـي ثَبْـت الجنانِ
فلـم أنفـكَّ مُتّكِئـاً عليهـا لأنظـر مُصبحـا مـاذا أتاني[1]
إذا عينـان في رأسٍ قبيـح كرأس الهِـرِّ مَشْقـوق اللِّسانِ
وساقـا مُخْـدجٍ وشواةُ كلْب وثـوب مـن عَبـاءٍ أو شِنانِ[2]

[لا تنهشه الحيّات]

أخبرنا الحسين بن يحيى : قال : قرأت على حمّاد : وحدَّثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللِّهبيّ : قال : قيل لتأبَّط شرّاً : هذه الرجال غلبتَها ، فكيف لا تنهشك الحيّات في سُراك ؟ فقال : إنِّي لأسري البَرْدَين . يَعْني أوّلَ الليل وآخره ، لأنّها تمور[3] خارجة من حُجْرتها ، وآخرَ الليل تمُورُ مُقبِلة إليها .

[يبيع أحمق اسمه بطيلسانة]

قال حمزةُ : ولقي تأبّط شرّاً ذات يوم رَجُلاً من ثَقيف يقال له أبو وَهْب ، كان جَباناً أهوجَ ، وعليه حُلّة جَيّدة ، فقال أبو وَهْب لتأبَّط شرّاً ، بِمَ تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دَميمٌ ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنّما أقول ساعة ما ألقى الرَّجُل : أنا تأبَّط شرّاً ، فينخلع قلبُه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفيّ : أقط[4] قال : قَطّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمَك ؟ قال : نعم ، فبِمَ تبتاعُه ؟ قال : بهذه الحُلّة وبكنيتك قال له : أفعل ، ففعل ، وقال له تأبّط شرّاً : لك اسمي ولي كنيتك ، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرية ، ثم انصرف ، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثّقفيّ : [من الطويل]

ألا هـل أتـى الحسناء أنّ حَلِيلَهـا تأبَّـطَ شَرّاً واكتنيـتُ أبـا وَهْبِ
فهبه تَسمَّى اسْمي وسُمِّيتُ بـاسِمِه فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطبِ ؟[5]
وأيـن لـه بأْسٌ كَبأْسي وسَوْرتـي وأيـن لـه في كلّ فادحـةٍ قَلْبِي ؟

[يعجز عن الجماع]

قال حمزة : وأحبّ تأبَّط شرّاً جارية من قومه ، فطَلَبها زماناً لا يقدر عليها ، ثم لقِيتْه

---

1 أتاني في ل : دهاني .
2 أخدجت الناقة : ألقت ولدها لغير تمام . والشواة : قحف الرأس وفي ل : وسراة كلب . الشنان : جمع شن ، وهو القربة البالية .
3 ل : تدبّ .
4 أقط : أي بهذا فقط ، وقط هنا بمعنى فحسب .
5 في الديوان 64 : وسمّاني اسمه .

ذاتَ ليلة فأجابته وأرادها ، فعجز عنها ، فلمّا رأت جزَعه من ذلك تناومت له فآنسته وهدأ ، ثم جعل يقول : [من الرجز]

مالكَ من أيْرٍ سُلِبْتَ الخلّهْ عجزْتَ عن جارية رِفَلّهْ[1]

تمشي إليك مشيةً خوزلّهْ كمشية الأرخِ تريد العلّهْ[2]

الأرخ : الأنثى من البقر التي لم تُنتج . العلّة تريد أن تُعل بعد النهل ، أي أنّها قد رويت فمِشيتها ثَقِيلة . والعلّ : الشّرب الثاني .

لـو أنّها راعِيةٌ في ثُلّهْ تحمل نعلين لها قَبلّهْ[3]

تضرب كالهـراوة العبلّهْ

العبل : ورق الأرطى .

[قصته مع بجيلة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعيّ قال : أغار تأبّط شرّاً ، وهو ثابت بن العميثل الفهميّ ، ومعه عمرو بن براق الفهميّ على بَجيلة ، فأطْرَدا لهم نَعَماً ، ونَذَرت بهما بجيلة ، فخرجت في آثارهما ومضيا هاربَين في جبال السّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بَجِيلة في السهل فسبقوهما إلى الوَهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فأدخلوا لهما في قصبة العين ، رجلاً وجاءًا ، وقد بلغ العَطَش منهما ، إلى العَيْن ، فلمّا وقفا عليها قال تأبّط شرّاً لابن برّاق : أقِلّ من الشّراب فإنّها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وجيبَ قلوب الرّجال تحت قدميّ . وكان من أسمَع العرب وأكيدِهم . فقال له ابنُ برّاق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تأبّط شرّاً : والله ما وَجَب قطّ ، ولا كان وجّاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال : والذي أعدو بطيره ، إنّي لأسمع وَجيبَ قلوبِ الرّجال ، فقال له ابنُ برّاق : فأنا أنزل قبلك ، فنزل فبرك وشرب وكان أكلَّ القوم عند بجيلة شوكة[4] ، فتركوه وهم في الظّلمة ، ونزل ثابت ، فلمّا توسّط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيه لِما يَعْلمون من عَدْوه ، فقال لهم ثابت : إنّه من أصْلَف النّاس وأشدّهم عُجْباً بعدْوِه ، وسأقول

1 رفلة : سمينة .

2 الخيزلى : نوع من المشي . وفي الديوان 199 : هرولّة .

3 الثلة : جماعة الغنم . وقبلّة : مأخوذة من القبل بمعنى الحول .

4 أكل القوم عند بجيلة شوكة ، يريد صغر شأنه عند بجيلة .

له : استأسِرْ معي ، فسيدعوه عُجبه بعَدْوه إلى أن يَعْدُو من بين أيدِيكم ، وله ثلاثة أطلاق : أوّلها كالرِّيح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإنِّي أُحِبّ أن يصير في أيديكم كما صِرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونُصحي له ، قالوا : فافعل ، فصاح به تأبَّط شرّاً : أنت أخي في الشدّة والرّخاء ، وقد وعدني القومُ أن يَمُنّوا عليك وعليَّ ، فاستأسِرْ ، وَواسني بنفسك في الشدّة ، كما كنتَ أخي في الرّخاء ، فضحك ابنُ برّاق ، وعلم أنّه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأثر مَن عنده هذا العَدْو ؟ ثم عدا فعدا أوّل طَلَق مثل الريح الهابة كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويَعْثُر ويقع على وجهه . فقال ثابت : خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلمّا أن نَفَّسَهم عنه شيئاً عدا تأبَّط شرّاً في كتافه ، وعارضه ابن بُرّاق ، فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً ، فقال تأبَّط شرّاً قصيدتَه القافية في ذلك ، وذكرها ابن أبي سعد في الخبر إلى آخرها : [من البسيط]

يـا عيدُ ما لك من شوقٍ وإيراقِ ... ومَـرّ طيفٍ على الأهـوالِ طرّاقِ

يسرى على الأيْن والحيّاتِ محتفِياً ... نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ[1]

طيْف ابنـة الحُرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجْتُنِبْتُ بهـا مـن بعد تَفراقِ[2]

لتَقرعِنَّ علـيَّ السِّنَّ مـن نَـدَمٍ ... إذا تذكّرتِ يومـاً بعضَ أخلاقي

تالله آمـنُ أنثى بعدمـا حَلَفَـتْ ... أسمـاءُ بالله مـن عهـدٍ وميثاقِ

ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ ... الأوَّلُ اللّذْ مَضى والآخِـر الباقِي

فالأوّلُ اللَّـذْ مضى قال مودَّتَها ... واللَّـذُّ منهـا هُذاءٌ غير إحقاقِ[3]

تُعْطِيك وعـدَ أمانيٍّ تغـرُّ بـه ... كالقَطْـرِ مَـرَّ على صَخْبانَ برّاقِ[4]

إنِّـي إذا خُلّـةٌ ضَنَّـتَ بنائلهـا ... وأمْسَكَت بضعيف الحَبْل أحذاقِ[5]

نجَوْتُ منها نجائي من بجيلةَ إذْ ... ألقَيْتُ للقوم يوم الرّوع أرواقي[6]

---

1 الأين : الحية أو الذكر من الحيات . ومحتفياً : حافياً .

2 بعد تفراق في الديوان 127 : بعد التِّفراق .

3 اللذ : بمعنى الذي . والهذاء : الهذيان .

4 الصخبان : الشديد الصخب وفي الديوان 128 : ضجنان وهو جبل بناحية مكّة .

5 حبل أحذاق : قطع وفي المفضليات 28 : ضعيف الوصل .

6 ألقى أرواقه : أسرع في عدوه وفي المفضليات 28 : ألقيت ليلة خبّ الرّهط ، وفي الديوان أيضاً 129 .

وذكرها ابن أَبي سعيد في الخبر إلى آخرها .

وأَمّا المفضّل الضَّبّيّ فذكر أنّ تأبَّطَ شرّاً وعمرو بن بَرّاق والشَّنْفَرى ، وغيره يجعل مكان الشنفرى السُّليك بن السَّلَكَة ، غَزَوا بَجيلة فلم يظفروا منهم بغِرّة ، وثاروا إليهم فأَسروا عمراً ، وكَتَّفوه ، وأفلتهم الآخران عَدْواً ، فلم يقدروا عليهما ، فلمّا علِما أنّ ابنَ برّاق قد أُسِر قال تأبَّط شرّاً لصاحبه : امضِ فكُن قريباً من عمرٍو ، فإنّي سأتراءى لهم وأُطْمِعُهم في نفسي حتى يَتباعَدُوا عنه ، فإذا فعلوا ذلك فحُلّ كِتافَه وانْجُوا ، ففعل ما أَمَرَه به ، وأقبل تأبَّط شرّاً ، حتى تراءى لبَجيلة ، فلمّا رأوْه طمعوا فيه ، فطلبوه ، وجعل يُطمِعهم في نفسه ، ويعدو عدْواً خفيفاً يُقَرِّبُ فيه ، ويسألهم تخفيف الفِدْية[1] وإعطاءه الأمانَ ، حتّى يستأسر لهم ، وهم يُجيبونه إلى ذلك ، ويطلبونه وهو يُحضِر إحضاراً خفيفاً ، ولا يتباعد ، حتى علا تَلْعَة أَشرف منها على صاحبَيْه ، فإذا هما قد نَجَوا ، ففَطِنت لهما بَجيلة ، فألحقتهما طلباً ففاتاهم ، فقال : يا معشر بَجيلة أَأَعجبكم عَدوُ ابن برّاق اليوم ، واللهِ لأعدونَّ لكم عَدْواً أُنسيكم به عَدْوَه ، ثم عدا عدْواً شديداً ، ومضى وذلك قوله : [من البسيط]

يا عِيدُ ما لَكَ من شَوقٍ وإبراقِ

وأَمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر فيما أَخبرني به ابنُ أَبي الأَزهر عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عمِّه : أنّ بَجيلة أمهلتْهُم حتّى وَرَدُوا الماءَ وشربوا وناموا ، ثم شدُّوا عليهم ، فأخذوا تأبَّط شرّاً ، فقال لهم : إنّ ابن بَرَّاق دَلاَّني في هذا ، وإنّه لا يقدر على العَدْوِ لعقْرٍ في رجليه ، فإن تبعتموه أخذتموه ، فكتّفوا تأبَّط شرّاً ، ومضوا في أثر ابن برّاق ، فلمّا بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ، ورجعوا .

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا أَبو سَعِيد السكريّ قال : حدَّثنا ابنُ الأَثرم ، عن أَبيه . وحدَّثنا محمدُ بن حَبيب ، عن أَبي عمرو ، قالا : كان تأَبَّطَ شرّاً يَعدُو على رِجليه ، وكان فاتِكاً شديداً ، فبات ليلة ذات ظلمة وبَرْق ورعد في قاع يقال له رَحى بِطان ، فلقيَتْه الغُولُ فما زال يُقاتلها ليلَته إلى أن أصبَح وهي تَطلُبه ، قال : والغول : سَبُعٌ من سِباع الجنّ ، وجعل يراوغها ، وهي تَطلبه ، وتلتمس غِرَّة منه ، فلا تَقدِر عليه ، إلى أن أصبح ، فقال تأبَّطَ شرّاً : [من الوافر]

أَلا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيانَ فَهمٍ بما لاقيتُ عنـد رَحى بِطانِ

1 ل : البهر به .

بأنّي قـد لقيت الغولَ تَهوِي ... بسهْبٍ كالصحيفة صَحصَحانِ
فقلت لهـا : كلانا نِضْوُ أينٍ ... أخـو سَفَر فخَلّـي لي مكاني
فشدّت شدّةً نحـوي فأهوى ... لهـا كفّـي بمصقولٍ يماني
فأضربها بـلا دهشٍ فخَرّت ... صريعـاً لليديـنِ وللجِـرانِ
فقالت عُدْ ، فقلتُ لها : رويداً ... مكانَـك إنّنـي ثَبْتُ الجَنانِ
فلـم أنفـكّ متّكئـاً عليها ... لأنظُـرَ مُصبِحـاً مـاذا أتاني
إذا عينـان في رأسٍ قبيـحٍ ... كرأْس الهِـرِّ مشقوق اللّسانِ
وساقا مُخْـدجٍ وشواةُ كلب ... وثوبٌ مـن عَبـاءٍ أو شِنانِ

[يفرّ من أعدائه]

قالوا : وكان من حديثه أنّه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه ، وهو يريد أن يَغترّهـم ، فيصيب حاجتَـه ، فأتى ناحية منهم ، فقتل رجلاً ، ثن استاق غنماً كثيرة ، فَنَذروا بـه ، فتبِعه بعضُهم على خيل ، وبعضُهم رَجّالة ، وهم كثير ، فلمّا رآهم ، وكان من أبصَر النّاس عرف وجوههم ، فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ، ولن يُفارِقونا اليوم حتى يُقاتِلونا أو يَظْفَروا بحاجتهم ، فجعل صاحبُه ينظر ، فيقـول : مـا أتبيّن أحداً ، حتى إذ دهموهما قال لصاحبه : اشتدّ فإنّي سأمنعك ما دام في يدي سَهْم ، فاشتدّ الرجل ، ولقيهم تأبَّط شرّاً ، وجعل يَرْميهم حتى نَفِدَت نبلُه ، ثم إنّه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدَّه ، فقتل صاحِبَه ، وهو ابن عمٍّ لزوجَته ، فلمّا رجع تأبَّط شرّاً وليس صاحبُه معه عرفوا أنّه قد قُتِل ، فقالت له امرأته : تركتَ صاحِبَك وجئت مُتباطِئاً ، فقال تأبَّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكمـا عرسي منيعةُ ضُمِّنت ... مـن اللهِ إثمـاً مُستسِرّاً وعالِنا
تقول : تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئـت إلينا فارقـا مُتباطنا[1]
إذا مـا تركـتُ صاحبي لثلاثة ... أو اثْنَيْن مِثْلَينا فـلا أُبْـتُ آمِنا
وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دَعا ... ولا المـرءِ يدعوني مُمِرّاً مُداهِنا[2]
وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأَهلَه ... وأَرضاً يكون العَوْصُ فيها عُجاهِنا[3]

---

1 فارقاً متباطناً : فارقته وجئت متخفياً .
2 إمرار الحبل : إحكام فتله . والمداهن : من دهنه بمعنى ضربه .
3 رهط : اسم موضع . والعوص : اسم قبيلة . والعجاهن : من معانيه القنفذ .

ولمّا سمعت العوصَ تدعو تنفّرت عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا[1]

ولم أَنتظـر أَن يَدهموني كأَنّهـم ورائيَ نَحْـل في الخليّة واكِنا[2]

ولا أَن تُصيب النّافذاتُ مقاتلي ولم أَكُ بـالشدِّ الذلِيـق مُدايِنا[3]

فأرسلتُ مثنيّاً عـن الشدّ واهِناً وقلتُ تزحزحْ لا تكوننّ حائِنا[4]

فأدبرت لا ينجـو نجائي نقنـق يبادر فرخيـه سِمـالاً وراجنا[5]

مـن الحُصّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه إذا استدرج الفَيْفا ومَـدَّ المغابنا[6]

أزجُّ زَلـوجٌ هـذرفٌي زفـازفٌ هِـزَفٌ يبذُّ الناجيات الصَّوافِنا[7]

فزحزحت عنهم أو تجِئْني مَنِيَّتي بغبراءَ أَو عرفاءَ تَفْرِي الدَّفائنا[8]

كأنّي أَراها الموتَ لا درّ درُّها إذا أَمكنَـتْ أَنيابَهـا والبراثنا

وقالت لأُخـرى خلفهـا وبناتها حتوف تُنَقّي مخّ مَنْ كان واهِنا

أَخاليـجُ ورَّادٍ على ذي محافـل إذا نزعوا مدّوا الدِّلاءَ الشّواطِنا[9]

وقال غيره : بل خرج تأبَّطَ شرّاً هو وصاحبان له ، حتى أَغاروا على العوص من بجيلة ، فأخذوا نعماً لهم ، واتبعتهم العَوْص ، فأدركوهم ، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة ، فلمّا رأى تأبَّطَ شرّاً ألاّ طاقة لهم بهم شمَّر وتركهما ، فقُتِل صاحباه ، وأُخِذت النعم ، وأفلَتَ ، حتى أتى بني القَيْنَ من فَهْم ، فبات عند امرأة منهم يتحدَّث إليها ، فلمّا أراد أن يأتي قومه دهنته ورجَّلته ، فجاء إليهم وهم يبكون ، فقالت له امرأتُه : لعنك الله

---

1 تنفرت عصافير رأسي : كناية عن الغضب والثورة . غواة في ل : بواء ؛ وفي الديوان 214 : بَوًى فغوا بنا . والفراتن : جمع فرتنى وهي المرأة الزانية أو الأَمَة .

2 وكن الطائر : دخل عشّه .

3 الشد الذليق : الحديد الماضي .

4 الشطر الأول في الديوان 215 : فأُرسلت منبتاً من الشدّ والهاً . حائن : هالك .

5 السمال : ماء في الحوض وفيه دود . راجنا : ماءٌ مختلطاً .

6 الحص : جمع أحص ، وطائر أحص : قليل الريش . هزروف : سريع . العفاء : الشعر والوبر . يطير عفاؤه في ل : كأن عفاءه . المغابن : بواطن الأفخاذ .

7 أزج : بعيد الخطو . زلوج : سريع العدو . هزرفي : كثير الحركة . زفازف : جمع زفزف بمعنى الريح . الهزف : السريع أو النافر ، وفي ل : وقارب . الناجيات : الجياد السّريعة . الصوافن : جمع صافن وهو الحصان يقف على ثلاث قوائم .

8 غبراء : اسم أنثى الذئب . وعرفاء : اسم الضبع .

9 أخاليج : جمع أخلج وهو الحبل . ذو المحافل : البئر . والشوطن : الحبال .

تركت صاحبيك وجئت مُدّهناً . وإنّه إنّما قال هذه القصيدة في هذا الشأن ، وقال تأبَّط شرّاً يرثيهما وكان اسمُ أحدهما عَمراً : [من الطويل]

أبعد قتيل العَوْص آسى على فتًى ... وصاحِبه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ ؟
أأطْرُد فَهماً آخرَ الليل أبتغي ... عُلالةَ يوم أن تَعُوقَ العوائقُ[1]
لَعَمرُو فتًى نِلتم كأنّ رداءه ... على سرحةٍ من سرح دومة سامقُ[2]
لأطرُد نَهْباً أو نرودَ بفِتيةٍ ... بأيمانهم سُمْر القَنا والعقائقُ[3]
مَساعَرةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونهم ... حريقُ الغضا تُلْقى عليها الشّقائقُ[4]
فعُدُّوا شهورَ الحُرمِ ثم تعرّفوا ... قتيلَ أناسٍ أو فتاةً تعانقُ

[تعرض لمحاولة قتله بالسم]

قال الأثرم : قال أبو عمرو في هذه الرواية : وخرج تأبَّطَ شرّاً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط ، فنزل على الأحلّ بن قنصل ، رَجُلٍ من بجيلة ، وكان بينهما حِلْف ، فأنزلهم ورحَّب بهم ، ثم إنّه ابتغى لهم الذّراريح[5] ليسقيهم فيستريح منهم ، ففطن له تأبّط شرّاً ، فقام إلى أصحابه ، فقال : إنّي أحبّ ألاّ يعلم أنا قد فطنّا له ، ولكن سبُّوه حتى نحلِف ألاّ نأكل من طعامه ، ثم أغترُّه فأقتله لأنّه إن علِم حَذِرني ، وقد كان مالأ ابنَ قنصل رجلٌ منهم يقال له لُكَيْز قتلت فَهْمٌ أخاه ، فاعتلّ عليه وعلى أصحابه فسبُّوه وحلفوا ألاّ يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ، ثم خرج في وَجْهه ، وأخذ في بَطْن وادٍ فيه النّمور ، وهي لا يكاد يسلم منها[6] أحد ، والعرب تسمّي النمر ذا اللونين ، وبعضهم يسمّيه السَّبنتى ، فنزل في بطنه وقال لأصحابه : انطلقوا جميعاً فتصيّدوا ، فهذا الوادي كثير الأرْوى ، فخرجوا وصادوا ، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمراً وحده ، وغزا هُذَيلاً فغنِم وأصاب ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا ... صنيعَ لُكَيْزٍ والأحلّ بن قنصلِ
نزلنا به يوماً فساءَ صَباحُنا ... فإنّكَ عَمْري قد ترى أيّ منزلِ

---

1 طرد القوم : أتاهم ، وفي ل : أأطرد نهباً .
2 لعمرو في ل : لنعم . السرحة : الشجرة . دومة : مكان . سامق : طويل ، وسامق في الديوان شانق .
3 نرود في ل : أروّي ، وفي الديوان 123 : نزور . العقائق : جمع عقيقة بمعنى السيف الشبيه بالبرق ، وفي ل : العتائق .
4 مساعرة : جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب ، وشعث : جمع أشعث بمعنى أغبر .
5 الذراريح : جمع ذِرّاح كزنّار : دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السّموم .
6 ل : عليها .

بَكَــى إذ رآنـا نازلــين ببابه وكَيف بُكاءُ ذي القليـل المُعَيَّلِ[1]
فــلا وأَبيك مــا نَزَلْنـا بحاتمٍ ولا عامـر ولا الرئيس ابن قَوقلِ[2]

عامر بن مالك أبو براء مُلاعِب الأسِنَّة ، وعامر بن الطُّفَيل ، وابن قَوْقَل[3] مالك بن ثَعْلَبة أَحد بني عوف بن الخزرج .

ولا بالشَّليل ربِّ مـروان قاعداً بأَحسن عَيْش والنُّفاثـيّ نَوْفَــلِ

رَبّ مروان : جرير بن عبد الله البَجلي . ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أَحد بني الدِّيْل بن بكر .

ولا ابن وَهيب كاسبِ الحمدِ والعُلا ولا ابــن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّلِ
ولا ابنِ حُلَيْسٍ قاعــداً في لِقاحِهِ ولا ابن جُزَيٍّ وسط آل المغفّلِ[4]
ولا ابن ريــاحٍ بالزُّليفات دارُه رِياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِلِ
أولئِك أَعطــى للوَلائــد خِلْفَــةً وأَدْعى إلى شحم السَّديفِ المُرَعْبَلِ[5]

[يتّخذ من العسل مزلقاً على الجبل فينجو من موت محقق]

وقال أَيضاً في هذه الرواية : كان تأبَّط شرّاً يَشْتار عَسَلاً في غار من بلاد هذيل ، يأتيه كلّ عام ، وأنّ هذيلاً ذكرته ، فرصدوه لإبّانِ ذلك ، حتى إذا جاءَ هو أصحابُه تدلَّى ، فدخل الغار ، وقد أغاروا عليهم فأنفروهم ، فسبقوهم ووقَفوا على الغار ، فحرّكوا الحبل ، فأطلع تأبّط شرّاً رأسه ، فقالـوا : اصعد ، فقال : ألا أراكم ، قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلام أصعد ، أعلى الطَّلاقة أم الفداء ؟ قالوا : لا شرط لك ، قال : فأراكم قاتليّ وآكلي جَنايَ ، لا والله لا أفعل ، قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً أعدّه للهرب ، فجعل يُسيِل العسل من الغار ويُهريقه ، ثم عمد إلى الزّقّ فشدّه على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليماً وفاتهم ، وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث ، فقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

أَقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم وِطابي ويَوْمي ضَيّق الحَجْر مُعوِرُ[6]

1 المعيّل : ذو العيال .
2 قوقل في ل : نوفل .
3 قوقل : أبو بطن من الأنصار .
4 اللقاح : النوق الحوامل .
5 السديف : لحم السنام . والمرعبل : المقطع .
6 صفرت : خلت . والوطاب : جمع وطب ؛ وهو سقاء يتّخذ من الجلد . ومعور أي بيّن العور . والحجر : الناحية .

هما خُطَّتا إمّا إسارٌ ومِنَّةٌ وإمّا دَمٌ والقتلُ بالحُرِّ أجدَرُ[1]

وأُخرى أصادِي النّفسَ عنها وإنّها لموردُ حَزْمٍ إن ظَفِرت ومَصدَرُ[2]

فرَشْتُ لها صدري فزَلَّ عن الصّفا به جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصّرُ[3]

فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفا به كَدْحَةً والموتُ خزيانُ يَنْظُرُ

فأُبْتُ إلى فَهمٍ وما كنتُ آئباً وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ[4]

إذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدّه أضاع وقاسى أمرَه وهو مُدبِرُ

ولكن أخُو الحزْم الذي ليس نازلاً به الأمرُ إلاّ وهْو للحزمِ مُبْصِرُ

فذاك قَرِيعُ الدّهرِ ما كان حوَّلا إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخرُ

فإنّك لو قايَسْت باللِّصب حِيلَتي بلُقْمان لم يُقصِر بي الدهرَ مُقْصِرُ[5]

[غارة ينتصر فيها على العوص]

وقال أيضاً في حديث تأبّط شرّاً : إنّه خرج في عِدَّة من فَهْم ، فيهم عامر بن الأخنس ، والشّنفرى ، والمُسيَّب ، وعمرُو بن برّاق ، ومُرَّة بن خليف ، حتي يبيتوا العوص وهم حيٌّ من بجيلة ، فقتلوا منهم نفراً ، وأخذوا لهم إبلاً ، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة ، فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز ، وهو رئيس القوم ، وهم يومئذٍ نحو من أربعين رجلاً ، فلمّا نظرت إليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس : ماذا ترى ؟ قال : لا أرى لكم إلاّ صدق الضِّراب ، فإن ظفرتم فذاك ، وإن قُتِلْتُم كنتم قد أخذتم ثأركم ، قال تأبّط شرّاً : بأبي أنت وأمّي ، فنعم رئيسُ القوم أنتَ إذا جدّ الجدّ ، وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإنّي أرى لكم أنْ تحملوا على القوم حملةً واحدة فإنّكم قليل والقوم كثير ، ومتى افترقتم كثركُم القومُ ، فحملوا عليهم فقَتلوا منهم في حملتهم ، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت ، وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز ، فقال تأبّط شراً في ذلك : [من الطويل]

جَزى الله فِتياناً على العوْص أَمطرت سَماؤُهُم تحت العَجاجة بالدَّمِ

1 في الديوان 89 : لكم خصلة إمّا فداء ومنّةٌ . بالحر في الديوان 89 : المرء .

2 أصادي النفس عنها : أي أحدثها بها . لمورد في ل : لفرصة . وفي الديوان 141 : لخُطّة حزم إن فعلت .

3 زلّ : انزلق . والجؤجؤ : عظام الصدر .

4 وهي تصفر : كناية عن النّدم .

5 اللصب : الشعب في الجبل . لقمان : صاحب قصة النسور المشهورة ، وفي ل وفي الديوان 88 : لحيان .

وقد لاحَ ضَوءُ الفجرِ عَرْضاً كأنّه بلَمْحته إقراب أبْلَق أَدْهَم[1]
فإنَّ شِفاءَ الدّاء إدراك ذَحْلَةٍ صباحاً على آثارِ حوم عَرَمْرَمِ[2]
وضاربْتُهم بالسفحِ إذ عارَضَتْهُمُ قبائلُ من أبناءِ قسرٍ وخثعمِ[3]
ضِرابا عَدا منه ابنُ حاجزَ فارتقى ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُدَيَّمِ[4]

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعيني وقُولي بَعدُ ما شئتِ إنّني سَيُغدَى بنَعْشي مرّةً فأُغيَّبُ
خرجنا فلم نعهدْ وقَلَّت وصاتنا ثمانيةٌ ما بعدها مُتَعَتَّبُ
سراحِينُ فتيانٍ كأنّ وُجوهَهم مصابيحُ أو لونٌ من الماءِ مذهبُ
نَمُرّ برَهْو الماءِ صَفْحاً وقد طَوَتْ ثمائِلُنا والزّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ[5]
ثلاثاً على الأقدامِ حتى سما بنا على العَوْص شَعْشاعٌ من القومِ مِحْرَبُ[6]
فثاروا إلينا في السوادِ فهَجْهَجُوا وصَوَّت فينا بالصّباح المُثوِّبُ[7]
فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيف ثابتٌ وصَمَّم فيهم بالحُسام المُسيِّبُ
وظَلْتُ بفتيانٍ معي أتّقيهمُ بهنّ قليلاً ساعة ثم جنّبوا[8]
وقد خَرّ منهم راجلان وفارسٌ كميّ صرعناه وحَوْم مسلّبُ[9]
يَشُقّ إليه كلّ رَبْعٍ وقَلْعَةٍ ثمانيةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنبُ[10]
فلمّا رآنا قومنا قيل أفلَحُوا فقلنا : اسألوا عن قائلٍ لا يُكَذَّبُ

---

1 أقرب المهر : دنا وفي الديوان 208 أقراب أي الخواصر . والأبلق : ما فيه بياض وسواد ، والأدهم : الأسود .
2 الذحلة : الثأر . الحوم : الجماعة . والعرمرم : الكثير .
3 قسر وخثعم : قبيلتان .
4 الوجين : شط الوادي . المديم : الممطور وفي الديوان 208 : حَذْر الرجيل بدل : جوف الوجين .
5 رهواً : يسير سيراً هيّناً . والثمائل : جمع ثميلة ، وهي الحبّ أو السويق أو التّمر .
6 الشعشاع : الطويل . والمحرب : المدرب على الحرب .
7 الهجهجة : صياح الجيش عند القتال . وثوّب : رجع .
8 جنبوا : انكشفوا .
9 حوم : جمع . ومسلب : عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح .
10 يشق إليه في الطرائف الأدبية وديوان الشنفرى 32 : يُشَنُّ إليه . ورجل : جمع راجل . والمقنب : الخيل يبلغ عددها أربعين .

وقال تأبّط شرّاً في ذلك : [من الوافر]

أرى قدمَيَّ وقعهُما خَفيفٌ كتحليل الظَّليم حَدا رِئالَه[1]
أرى بهما عذاباً كلَّ يومٍ بخَثْعَم أو بَجيلَةَ أو ثُمالَه[2]

فَفرَّق تأبّطَ شرّاً أصحابَه ، ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم ، وساق تأبّط شرّاً وأصحابُه الإبلَ حتى قدم بها عُلْيَا مكّة .

[عود إلى سبب تسميته]

وقال غيره : إنّما سمّي تأبّط شرّاً ببيت قاله ، وهو : [من الطويل]

تأبّطَ شرّاً ثم راح أو اغتدَى يُوائم غُنْما أو يَشِيفُ على ذَحْلِ

[غارته على مراد]

قال : وخرج تأبّط شرّاً يوماً يريدُ الغارةَ ، فلقيَ سَرْحاً لمراد فأطرده ، ونذرت به مراد ، فخرجوا في طلبه ، فسبقهم إلى قومه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فاربَع عليه ولا يَهمّك يومُ سَوِّ
على أنّي بِسَرْح بني مرادٍ شجوتُهم سِباقاً أيَّ شجوِ
وآخر مثله لا عيبَ فيه بَصَرتُ به ليوم غيرِ زوِّ[3]
خَفَضتُ بساحةٍ تجري علينا أباريق الكرامة يومَ لَهْوِ[4]

[مع غلام من خثعم]

أغار تأبّط شرّاً وحده على خثعم ، فبينا هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرانبَ ، معه قوسُه ونبلُه ، فلمّا رآه تأبّط شرّاً أهوى ليأخذه ، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبّطَ شرّاً فقتله ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وكادت وبيتِ الله أطناب ثابت تقوّضُ عن لَيْلى وتبكي النَّوائحُ
تمنّى فتى منّا يلاقي ولم يَكد غلامٌ نَمَتْه المُحْصنات الصَّرائحُ[5]

---

1 التحليل : ضرب من المشي . والرأل : ولد النعامة . وفي البيتين في الديوان 198 رأى بدل أرى ودعا بدل حدا .
2 خثعم وبجيلة وثمالة : قبائل . وكل عام في الديوان 198 بدل كل يوم .
3 الزوّ : القرينان .
4 الكرامة : غطاء رأس الحب .
5 الصرائح : الخالصات النسب .

غلام نَمـى فوق الخماسيِّ قدره ودون الذي قد تَرْتَجِيه النَّواكحُ[1]

فإن تكُ نالتـه خطاطِيف كفِّـه بأبيض قصّال نمى وهـو فادِحُ[2]

فقـد شد في إحدى يديـه كِنانه يُداوى لها في أسود القلب قادحُ[3]

هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبّط شرّاً .

[قالوا لها لا تنكحيه]

قال : وخطب تأبّط شرّاً امرأة من هذيل من بني سَهْم فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنّه لأوّل نصل غداً يُفقَد فقال تأبّط شراً : [من الطويل]

وقالـوا لهـا : لا تَنكَحِيـه فإنّه لأوّل نَصْـل أن يُلاقـي مَجْمَعا

فلم تَـرَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرت تأيّمها مـن لابس الليـل أرْوَعا[4]

قليلِ غِـرارِ النّـوم أكبرُ هَمّه دَمُ الثّأر أو يلقـى كَمِيّا مُقَنَّعا[5]

قليلِ ادّخـارِ الزّادِ إلاّ تَعِلَّـة وقد نشَزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعى[6]

تُناضِلـه كلٌّ يشجّـع نفسَه ومـا طبُّـه في طرْقه أن يُشجَّعا

يبيت بمغنى الوحش حتى أَلِفْنه ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا

رأين فتًـى لا صَيْدُ وحش يهمّه فَلَوْ صافحت إنساً لصافَحْنَه معا

ولكنّ أربـابَ المخاض يشقّهم إذا افتقـدوه أو رأوه مُشيّعا[7]

وإنّـي ، ولا عِلـمٌ ، لأعلَمُ أنّني سألقى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا[8]

على غِـرّةٍ أو جَهْرةٍ من مُكاثِرٍ أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعا[9]

تسعسع : فنى وذهب . يقال : قد تسعسع الشَّهْر ، ومنه حديثُ عُمَر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال : «إنّ هذا الشهر قد تَسَعْسَع» .

---

1 الخماسي : الغلام طوله خمسة أشبار .

2 الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة الحجناء . والقصّال : السيف القاطع .

3 الكنانة : جعبة السهام .

4 الفتيل : الخيط في شق النواة . ولابس الليل : كثير الغارات ليلاً . وأروع : ذكي الفؤاد .

5 غرار النوم : النوم الخفيف .

6 الشرسوف : الطرف الليّن من الضلع ممّا يلي البطن .

7 يشقّهم : يؤرّقهم .

8 يرشق أضلعاً : كناية عن الموت .

9 مكاثر : كثير الغارات .

وكنتُ أظنّ الموت في الحيّ أو أرى ... ألَذّ وأُكرى أو أموتَ مُقنَّعا[1]

ولست أبيتُ الدَّهرَ إلاّ على فتى ... أُسلّبه أو أُذعِرُ السِرْبَ أجمَعا

ومَن يَضربُ الأَبطالَ لا بدّ أنّه ... سيَلْقى بهم مِنْ مَصْرعِ الموت مَصْرعا

[فراره بعد أن خلف صاحبيه]

قال : وخرج تأبَّطَ شرّاً ومعه صاحبان له : عمرو بن كلاب أخو المسيّب ، وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذِروا بهم ، وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطَّريق ، فقاتلوهم فقُتِل صاحبا تأبّطَ شرّاً ونجا ، ولم يكد حتى أتى قومه . فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح : هَرَبْتَ عن أخي وتركته وغررته ، أما والله لو كنت كريماً لما أسلمته ، فقال تأبّطَ شرّاً في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنت ... من اللهِ خِزياً مُسْتَسِرّاً وعاهنا

وذكر باقي الأبيات .

وإنّما دعا امرأتَه إلى أن عَيَّرَتْه أنّه لمّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدّث عندها ، وهي من بني القَيْن بن فهم ، فبات عندها ، فلمّا أصبح غدا إلى امرأته وهو مُدَّهن مُتَرجّل ، فلمّا رأته في تلك الحال علمت أين بات ، فغارت عليه فعيّرته .

[يغير على خثعم]

وذكروا أنّ تأبّط شرّاً أغار على خثعم ، فقال كاهن لهم : أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه ، فكفأوا على أثره جَفْنة ، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلمّا رأى أثره قال : هذا ما لا يجوز في صاحبه الأُخَذ ، فقال تأبّط شرّاً : [من الوافر]

ألا أَبلغ بني فَهْم بن عمرو ... على طولِ التَّنائي والمَقالَةْ

مَقال الكاهن الجامِيّ لمّا ... رأى أثري وقد أُنهِبتُ مالَهْ

رأى قدمَيّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليم دعا رئالَهْ

أرى بهما عذاباً كلَّ عام ... لخثعمَ أو بجيلةَ أو ثُمالَهْ

وشرٌّ كان صُبَّ على هذيل ... إذا علِقت حِبالهمُ حِبالَهْ

ويَومُ الأزد منهم شرّ يوم ... إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قالَهْ

1 أكرى : أزيد . المقنّع : مَن يلبس البيضة على رأسه .

فزعموا أنّ ناساً من الأزد ربئوا لتأبّط شرّاً ربيئة[1] وقالوا : هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره ، فأقيموا فيه حتى يأتيَكم ، فلمّا دنا من القوم توجّس ، ثم انصرف ، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز ، ومرّ قريباً فطمعوا فيه ، وفيهم رجل يقال له حاجز ؛ ليث من ليوثهم سريع ، فأغروه به فلم يلحقه ، فقال : تأبّط شرّاً في ذلك : [من الطويل]

تَتعتعتُ حِضْنَيْ حاجزٍ وصحابِه ... وقد نبذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا[2]
أظنُّ وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرى ... بيَ السهلُ أو متنٌ من الأرضِ مَهْيَعُ
أُجارِي ظلالَ الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا قالوا لـه هـو أسرعُ
فلـو كان من فتيان قيسٍ وخِنْدفٍ ... أطاف به القُنَّاصُ من حيث أُفزِعوا
وجاب بـلاداً نصفَ يـوم وليلة ... لآبَ إليهم وهـو أشوسُ أَرْوَعُ[3]
فلـو كان منكم واحـدٌ لكُفيتُه ... وما ارتجعوا لو كان في القومِ مطمعُ

فأجابه حاجز : [من الطويل]

فإن تـكُ جارَيْتَ الظلال فربّما ... سُبِقْتَ ويومُ القِرْن عُريان أَسْنَعُ[4]
وخلَّيْتَ إخـوان الصفاء كأنّهم ... ذبائحُ عَنزٍ أو فَحِيـلٌ مُصرَّعُ[5]
تبكِّيهمُ شجوَ الحمامـة بعدمـا ... أرحْتَ ولَم تُرفَع لهم منك إصْبَعُ
فهذي ثلاثٌ قـد حويت نجاتَها ... وإن تنـجُ أخرى فهي عندك أربعُ

[خير أيّامه]

أخبرني عمّي قال : حَدَّثنا عَبدُ الله بن أَبي سَعْد قال ذكر عليُّ بن محمد المدائنيُّ ، عن ابن دأْب قال : سئل تأبّط شرّاً : أيّ يوم مرَّ بك خير ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بَجيلة ، أضاءت لي النّارُ رجلاً جالِساً إلى امرأة . فعَمَدتُ إلى سيفي فدَفَنْته قريباً ، ثم أقبلتُ حتى استأْنَسْت ، فنبحني الكَلبُ ، فقال : ما هذا ؟ فقُلتُ : بائِس . فقال : ادنُه ، فدنَوْتُ ، فإذا رَجُلٌ جِلْحاب آدم[6] ، وإذا أُضْوى[7] النّاس إلى جانبه ، فشكوتُ إليه الجوعَ والحاجـةَ ، فقال :

1 ربئوا ربيئة : أقاموا عليه جاسوساً .
2 شنّع الخرقة : شعثها .
3 أشوس هنا أي ينظر بمؤخّر عينه غيظاً .
4 القرن : القرين المنافس . عريان : صحو لا غيم فيه . أسنع : أفضل .
5 الفحل : فحل الإبل إذا كان كريماً .
6 جلحاب : ضخم ، آدم : أسمر .
7 أضوى : الضوى دقّة العظم وقلّة اللحم .

اكْشِف تلك القَصْعة ، فأَتيت قَصْعَة إلى جَنْب إبله ، فإذا فيها تَمْر ولبن ، فأَكلتُ منه حتى شَبِعْت ، ثم خَررتُ مُتناوماً ، فوالله ما شئت أن أضْطَجع حتى اضْطَجع هو ورفع رِجله على رِجْله ثم اندفع يُغنّي وهو يقول : [من الكامل]

خَيرُ اللّيـالي إن سأَلت بليلة ... لَيـل بخيْمة بين بِيشَ وعَثَّرِ[1]
لِضَجيـعِ آنسةٍ كأَنَّ حَدِيثَها ... شَهدٌ يُشاب بمزجةٍ من عَنْبَرِ
وضجيعِ لاهيةٍ أُلاعِـب مِثلَها ... بيضاءَ واضحـةٍ كَظِيظ المِئْزَرِ
ولأَنْـتَ مثلُهما وخَيْرٌ منهما ... بعد الرُّقاد وقبل أَن لم تُسْحِرِ

قال : ثم انْحَرَف فَنام ، ومالَت فَنامَت : فَقلتُ : ما رأَيتُ كاللَّيلةِ في الغِرَّة ، فإذا عَشْر عُشْراوات[2] بين أَثلات فيها عبد واحد وأَمَة ، فوَثبتُ فانْتَضَيت سَيْفي ، وانتَحَيْت للعَبْد فَقَتَلْته وهو نائم ، ثم انحَرَفْت إلى الرَّجل فوضَعْت سَيفي على كَبده حتى أَخرجتُه من صُلْبه ، ثم ضَرَبْت فَخِذ المرأة فجَلَستْ ، فلمّا رأَته مَقْتُولاً جَزِعَت ، فقلت : لا تَخافي ، أَنا خير لك منه . قال : وقُمْت إلى جُلّ متاعها فرحلْته على بعض الإبل أنا والأَمَة فما حللتُ عَقْده حتى نزلت بصَعْدة بَني عَوْف بن فِهْر ، وأعرستُ بالمرأة هناك وحين اضطجعت فتحت عقيرتي وغنَّيت : [من الكامل]

بحَليلة البجـليّ بِـتُّ مـن ليلِها ... بين الإزارِ وَكَشْحِها ثم الصَقِ
بأَنيسةٍ طُوِيـت على مَطْوِيّهـا ... طيَّ الحمالـةِ أَو كطيّ المِنْطَقِ[3]
فـإذا تقـوم فصَعدةٌ في رَمْلَة ... لَبَدَت بريّـق ديمـة لم تُغدِقِ[4]
وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها ... كالأَيْم أَصْعَـدَ في كَثِيبٍ يَرْتَقِي[5]
كَـذَب الكَواهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أَن لا وفـاء لعاجِـزٍ لا يَتَّقِي

قال : فهذا خَيْرُ يوم لَقِيتُه .

[شر أيّامه]

وشَرُّ يوم لَقيت أَنّي خَرجتُ ، حتى إذا كنتُ في بلاد ثُمالَة أَطوف ، حتى إذا كُنتُ

---

1 خيمة وبيش وعثر : أماكن .
2 عشراوات : جمع عَشْراء .
3 الحمالة : حمالة السيف ، والمنطق : ما يتمنطق به .
4 الصّعدة : القناة المستوية . لبدت : تلبدت .
5 الشحب : العمود .

من الفقير[1] عشيّاً إذا أنا بسبع خلِفات[2] فيهن عَبْد ، فأَقبلْت نحوَه وكأنّي لا أُريدُه وحذرني فجعل يَلُوذُ بناقة فيها حمراء ، فَقلتُ في نَفسي : والله إنّه ليَثِق بها . فأفوّق له ، ووضع رِجلَه في أَرْجُلِها وجعل يدور معها ، فإذا هو على عَجُزها . وأرميه حين أشْرف فوضعتُ سَهْمي في قلبه فَخرَّ ، وندَّت الناقةُ شيئاً وأتبعتُها فرجَعَت فسقتهنَّ شيئاً ثم قلت : واللهِ لو رَكِبْت الناقَة وطردتهنّ ، وأخذت بعُثُون[3] الحمراء فوثبت ، فساعة استويت عليها كرَّت نحو الحيّ تريع وتَبِعَتها الخِلفات ، وجَعلتُ أُسَكِّنها وذهبت ، فلمّا خَشِيت أن تطرحَني في أيدي القوم رَميتُ بنَفْسي عنها ، فانكسَرَت رِجْلي ، وانطلقتْ والذَّودُ[4] معها . فخرجْتُ أعرّج ، حتى انْخَنَسْتُ في طرف كثيب وجازني الطَّلب ، فمكثْت مكاني حتى أظْلمت ، وشَبَّت لي ثلاثةُ أنوار فإذا نار عَظِيمة ظَنَنْت أنّ لها أهلاً كثيراً ، ونارٌ دُونَها ، ونُويْرة صغيرة ، فهَويت للصُّغْرى ، وأنا أجمِز[5] ، فلمّا نبحني الكلبُ نادى رجل فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : بائِس ، فقال : ادنُهْ ، فدَنَوتُ وجلست وجَعل يُسائِلني ، إلى أنْ قال : والله إنّي لأَجِد منك ريح دم . فقلت : لا واللهِ ، ما بي دَمٌ . فوثب إليَّ فنفضني ، ثم نَظَر في جعبتي فإذا السهم ، فقُلت : رمَيت العشيّةَ أرنباً فقال كذبت ، هذا ريحُ دم إنسان ، ثم وَثَب إليَّ ولا أدفَعُ الشَّرَّ عن نفسي فأوثَقني كِتافاً ، ثم علَّق جعبتي وقوسي ، وطرحَني في كِسْر البَيْتِ ونام ، فلمّا أسحرتُ حرَّكْت رِجْلي ، فإذا هي صالِحة وانْفَتَل الرِّباط فحلَلْته ، ثم وثبت إلى قوسي وجعْبتي فأخذتُهما ثم هَممْت بقَتْله فَقلت : أنا[6] ضَمِنُ الرِّجل ، وأنا أخشى أن أُطلَب فأدرَك ولم أقتُلْ أحداً أحبّ إليّ ، فولَّيت ومَضَيت . فوالله إنّي لَفِي الصَّحراء أُحدِّثُ نفسي إذا أنا به على ناقَةٍ يتبعُني ، فلمّا رأيتُه قد دنا منِّي جلست على قوسي وجعْبتي وأمنته ، وأقبل فأناخ راحِلَته ثم عقلها ، ثم أقبل إليَّ ، وعهدُه بي عهدُه ، فقلت له : ويلك ، ما تُريد منِّي ؟ فأقبل يَشتُمُني ، حتى إذا أمكَنَني ، وثَبَتُ عليه فما ألبَثْتُه أن ضَرَبتُ به الأرض ، وبَركت عليه أربطه ، فجعل يصيح : يا لثمالة ، لم أرَ كاليوم . فجَنَبْتُه إلى ناقته وركبْتُها ، فما نزعت حتّى أحللتُه في الحيّ ، وقلت : [من الطويل]

---

1 الفقير : علم على الماء .

2 الخلفات : جمع خلفة ، وهي الناقة الحامل .

3 العثنون : شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير .

4 الذود : جماعة الإبل .

5 يجمز : يثب كالجواد في القيد .

6 يقال جواد ضمن : أي متلكىء لا يسير إلاّ بالضرب .

أغرَّك منّي يا ابنَ فَعْلة عِلّتي عَشيّةَ أن رابت علَيَّ روائِبي[1]
ومَوْقِد نيران ثَلاثٍ فشَرُّها وألأمُها إذ قُدْتُها غير عازِبِ[2]
سلبتَ سِلاحي بائِساً وشَتَمْتَني فيا خَيْر مَسْلُوب ويا شَرَّ سالِبِ
فإن أكُ لم أخْضِبكَ فيها فإنّها نُيوبُ أساويد وشَوْل عَقارِبِ[3]
ويا رَكْبَةَ الحَمراء شَرَّة رَكْبةٍ وكادَتْ تكون شَرّ ركبةِ راكِبِ[4]

قال : وخرج تأبَّط غازِياً يُريد الغارةَ على الأزْدِ في بعض ما كان يُغير عليهم وحده ، فنذرت به الأزْد ، فأهمَلوا له إبلاً ، وأمروا ثلاثةً من ذوي بأسِهم : حاجزَ بن أُبيّ ، وسَوادَ بن عمرو بن مالك ، وعَوْف بن عبد الله ، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذُوه أخْذاً ، فكمنوا له مَكْمَناً ، وأقبل تأبَّطَ شرّاً فبصُرَ بالإبلِ ، فطردها بعضَ يومِه . ثم تركها ونهض في شِعْب لِيَنْظُر : هل يطلُبه أحدٌ ؟ فكمن القومُ حين رأوْه ولم يرهُم ، فلمّا لم يَرَ أحداً في أثره عاود الإبل فشَلَّها[5] يومه ولَيْلَتَه والغد حتى أمسى ، ثم عَقَلها ، وصنع طعاماً فأكله ، والقومُ يَنْظُرون إليه في ظلّه ، ثم هيّأ مُضْطَجعاً على النّار ، ثم أخمَدَها وزحف على بطنِه ومعه قوسُه ، حتى دَخَل بين الإبل ، وخَشي أن يكونَ رآه أحد وهو لا يَعْلَم ، ويأبى إلاّ الحذر والأخْذ بالحَزْم ، فمَكث ساعة وقد هيّأ سَهْماً على كَبدِ قَوسِه ، فلمّا أحَسُّوا نومَه أقبفوا ثلاثَتُهم يؤمّون المِهادَ الذي رأواه هيّأه ، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتلُه ، وجال الآخران ، ورَمى آخَر فقتَله ، وأفْلَتَ حاجزٌ هارِباً ، وأخذ سَلَب الرَّجُلَين ، وأطلق عقل الإبل وشلَّها حتى جاء بها قومه ، وقال تأبَّطَ في ذلك : [من الطويل]

تُرَجِّي نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابتٍ أسِيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلي[6]
فإنّ الأُلى أُوصَيْتُم بَيْن هارِبٍ طَرِيدٍ ومَسْفُوح الدِّماء قَتِيلِ
وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم ورابَ عليهم مَضْجَعِي وَمَقِيلي[7]

1 الروائب : جمع رائبة أي الحادثة المؤذية .
2 غير عازب : غير منصرف عنها .
3 الأساويد : الحيّات . وشول العقارب : العقارب التي ترفع أذنابها .
4 الحمراء : يشير إلى ناقة . شرّة في الديوان 63 : يا شرّ .
5 شلّ الإبل : طردها .
6 الحويل : الاحتيال والمهارة .
7 الوخد : ضرب من السير ، وراب عليهم : التبس عليهم .

مَهدتُ لهم حتى إذا طاب رَوعُهم ... إلى المَهْـدِ خاتلْـت الضِّيا بِخَتِيلِ
فلمّا أَحسُّوا النَّوم جاءُوا كأنَّهم ... سِباعٌ أُصابـت هجمـةً بِسَلِيلِ[1]
فقَلَّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بنِ مالِكٍ ... بـأَسْمَرَ جَسْر القُذَّتَـين طَمِيلِ[2]
فخَـرَّ كأَنَّ الفِيلَ أُلقـى جِرانَه ... عليـه بريّـان القِـواءِ أُسيلِ[3]
وظل رعاع المَتْن من وقع حاجز ... يخـرُّ ولـو نَهْنَهْتَ غَيْر قَلِيلِ[4]
لأَبتَ كما آبـا ولـو كُنتَ قارِناً ... لجئتَ وما مالكتَ طول ذَمِيلي[5]
فَسرَّكَ نَدْمانـاك لَمّـا تتابَعـا ... وأَنَّك لم تَرْجِـع بعَوْص قَتِيلِ[6]
سَتأتي إلى فَهْـمٍ غَنِيمَـةُ خلْسَة ... وفي الأزد نَـوْحُ وَيْلـةٍ بِعَوِيلِ[7]

فقال حاجز بن أبيّ الأزديّ يُجيبُه : [من الوافر]

سألتُ فلـم تُكلِّمني الرُّسوم

وهي في أَشعار الأزد .

فأَجابَه تأبَّطَ شَرّاً : [من الوافر]

لقـد قـال الخليُّ وقال خَلْساً ... بظهـر الليـل شُدَّ به العُكومُ[8]
لِطَيفٍ مـن سُعادَ عَناك منها ... مُراعاةُ النُّجوم ومَـنْ يَهِيمُ
وتلك لئن عُنِيتَ بهـا رَداحٌ ... من النّسوان مَنْطِقُهـا رَخِيمُ[9]
نِيـاقُ القُرطِ غَـرَّاءُ الثَّنايا ... ورَيْداءُ الشَّباب ونِعْم خِيمُ[10]
ولكن فاتَ صاحبُ بَطْنِ رَهْوٍ ... وصاحبـه فأَنـتَ بـه زَعِيمُ

---

1 السّليل : وسط الوادي .
2 الأسمر : يريد السهم . والجسر : الضخم . والقذة : ريش السهم . والطميل : العريض النصل .
3 الجران : المقدم العنق . وفي الديوان 189 : فتى شهم الفؤاد . والقواء : الأرض القفر . والأُسيل : المستوي الأملس .
4 الرعاع : مَن لا فؤاد له . حاجز : اسم رجل . غير في الديوان 189 سوق .
5 المقارن : حامل النبل أو السيف . والذميل : نوع من السير .
6 العوص : الشدّة أو الداهية .
7 ويلة في الديوان 190 : خلة .
8 الشطر الأول في الديوان 201 : يقول لي الخليُّ وباتَ جَلْساً . العكوم : ما تشدّ به الرحال .
9 الرداح : الممتلئة الجسم .
10 نياق في الديوان 202 : نياف . وخيم : الصِّفات .

أُؤَاخِــذُ خُطَّــةً فيهـا سواء ... أَبِيتُ وَلَيـلُ واترهـا نَؤُومُ
ثأرتُ بــه وما اقْتَرفَت يَداه ... فظَلَّ لهـا بنا يــومٌ غَشُومُ[1]
نَحِـزُّ رِقابَهــم حتــى نَزَعْنا ... وأنــفُ المَــوْت مَنْخِرُه رَمِيمُ
وإن تَقــع النّسورُ عليَّ يوْماً ... فلَحْمُ المعْتفِـي لَحْــم كَرِيمُ[2]
وَذِي رَحمٍ أَحالَ الدَّهْر عنـه ... فلَيْسَ له لـذي رَحِمٍ حَرِيمُ[3]
أَصاب الدَّهــرُ آمـنَ مَرْوَتَيْه ... فأَلقـاه المصاحِــب والحَمِيمُ[4]
مَددتُ لـه يَميناً من جَناحي ... لهـا وَفــرٌ وكافِيَــةٌ رَحُومُ[5]
أُواسِيــه على الأَيَّـــام إنِّي ... إذا قَعَــدت بــه اللُّؤما أَلومُ

[موت أخيه عمرو]

ذكروا أنّه لمّا انصرف الناس عن المُستَغَلّ ؛ وهي سوق كانت العرب تجتمع بها ، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبَّطَ شرّاً لَمن حضر من قومه : لا واللات والعُزّى لا أرجع حتى أغير على بني عُتَيْرٍ من هذيل ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلاً لبني عُتَير فأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارٌّ على القوم ومُنَهْنِهم عنكما ، فامْضيا بالإبل . فكَرَّ عليهم فنهنهم طويلاً ، فجَرَح في القوم رئيساً ، ورماه رجل من بني عُتَيْر بسهم فقتله ، فقالت بنو عُتَير : هذا عمرو بن جابر ، ما تَصْنَعُون أن تلحقوا بأصحابه ؟ أبعدها اللهُ من إبل ، فإنّا نخشى أن نَلحقهم فيقتلِ القومُ منّا ، فيكونوا قد أخذوا الثّأر ، فرجعوا ولم يُجاوِزوه . وكانوا يَظنّون أنّ معه أُناساً كثيراً ، فقال تأبَّطَ لمّا بلغه قَتلُ أخيه : [من الوافر]

وحرّمتُ النساءَ وإن أُحلّت ... بشَور أَو بمــزج أَو لِصابِ[6]
حياتـــي أَو أَزور بنـــي عُتَير ... وكاهلها بجَمْع ذي ضَبابِ
إذا وَقعــت لكَعْب أَو خثيمٍ ... وسيار يَسُوغ لهـــا شَرابِي[7]

---

1 اليوم الغشوم : الظلوم لكثرة من مات فيه .
2 المعتفي : الرائد ، أو طالب الفضل .
3 أحاله الدهر عنه : تحول عنه .
4 أمن مروتيه : يعني آمن حصنيه .
5 وكافية رحوم في الديوان 204 : وخافيةٌ رخومُ .
6 وحرّمتُ النساء في الديوان 68 : وحرّمت السِّباء . الشّور : العسل . والمزج : نوع منه أيضاً . واللصاب : شجر مرّ .
7 خثيم في الديوان 70 : قُرَيْم . في الديوان : وسيّار فقد ساغ الشّراب .

أظُنّـــي مَيّتـــاً كَمـــداً ولَمّا ... أُطالِعْ طلعـةً أهـلَ الكِرابِ[1]
ودُمْتُ مُسَيَّراً أُهـدي رعيلاً ... أَؤُمُّ سوادَ طَـوْدٍ ذِي نِقابِ[2]

فأجابه أنسُ بنُ حذيفةَ الهُذَليُّ : [من الوافر]

لعلّــك أن تَجِيء بك المَنايا ... تُساق لِفِتْيــة منّــا غضابِ
فتنزلَ في مَكَرِّهــمُ صريعــاً ... وتنزلَ طُرْقةَ الضَّبُع السّغابِ[3]
تأبَّــطَ سَوْأَةً وحملــتَ شَرّاً ... لعلّك أن تكون من المُصابِ[4]

[أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو]

ثم أَنَّ السِّمع بن جابر أخا تأبَّطَ شرّاً خرج في صَعاليك من قومه يريد الغارة على بني عُتَير ليثأر بأخيه عَمْرو بن جابر ، حتى إذا كان بِبلاد هذيل لَقِي راعياً لهم ، فسأله عنهم ، فأخبره بأهل بَيْت من عُتَير كثيرٍ مالُهم ، فبيَّتهم ، فلم يُفلِت منهم مُخبِر ، واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك السِّمع بنُ جابِر : [من الوافر]

بأعلى ذي جماجم أهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنت عشيرتُهـم أَقاموا[5]
طرقْتُهُــم بفتيــانٍ كِــرامٍ ... مَساعِيرٍ إذا حَمِــي المُقــامُ
متى مـا أدعُ من فَهْم تُجِبْني ... وعــدوان الحمــاةِ لهـم نِظامُ

[إصابته في غارة على الأزد]

ذكروا أنَّ تأبَّطَ شرّاً خرج ومعه مُرّة بن خُلَيف يريدان الغارة على الأزد ، وقد جعَلا الهِدايةَ بينهما ، فلمّا كانت هداية مُرّة نعس ، فجار عن الطريق ، ومضيا حتى وَقَعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب ، وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها ؛ وإذا البيض والفراخ بظهور الأكَم ، فقال تأبَّطَ شرّاً : هلكنا واللاّتِ يا مرّة ، ما وَطِيء هذا المكان إنسٌ قبلنا ، ولو وَطِئَه إنسٌ ما باضَتْ الطَّيرُ بالأرض ، فاختَرَ أيّة هاتين القُنَّتين شئْت ، وهما أطول شيء يُرَيان من الجبال ، فأصعدُ إحداهما وتصعد أنت الأخرى ، فإن رأيت الحياة فألِحْ بالثوب وإن رأيت الموت فألِح بالسيف ، فإنّي فاعل مِثلَ ذلك ، فأقاما يومين . ثم إنَّ تأبّطَ شرّاً ألاح بالثَّوب ، وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل ، فقال مرَّة : ما رأيتَ يا ثابت ؟ قال : دخاناً أو جراداً . قال مرّة : إنّك إن جَزِعت

---

1 الكراب : مجاري الماء في الوادي .
2 رعيلاً : أي جماعة من الفرسان .
3 المكر : موضع الكر ، أي الميدان .
4 السوأة : العورة .
5 أعلى ذي جماجم : الجبل الذي ينزلون به .

منه هلكنا ، فقال تأبَّطَ شرّاً : أما أنا فإنّي سأخرُم بك من حيث تَهْتـدي الريح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم تَبِعا الصَّوت ، فقال تأبّطَ شرّاً : النَّعَمُ والنّاس . أما والله لئن عُرِفنا لنُقتَلنّ ، ولئن أغرنا لنُدْرَكـنّ ، فـأتِ الحيّ من طرف وأنا من الآخـر ، ثم كُنْ ضيفاً ثلاثاً ، فإن لم يرجع إليك قلبُك فلا رَجَع ، ثم أغِر على ما قِبَلك إذا تَدلّت الشمس فكانت قدرَ قامة ، وموعِدُك الطريق . ففعلا ، حتى إذا كان اليوم الثالث أغار كلّ واحدٍ منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطردا يوماً وليلة طرداً عنيفاً حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شِعْباً ، فنَحرا قَلُوصاً ، فبينا هما يَشْويان إذ سمعا حسّاً على بابِ الشِّعب ، فقال تأبَّطَ : الطَّلبُ يا مُرّة ، إن ثبتَ فلم يدخل فهم مُجيزون ، وإن دخل فهو الطلب ، فلم يلبث أن سَمِع الحِسَّ يدخل ، فقال مُرّة : هلكنا ، ووضع تأبّطَ شرّاً يده على عضد مُرَّة ، فإذا هي تُرْعد ، فقال : ما أُرْعِدت عضدك إلاّ من قِبَل أُمّك الوابشيّة من هذيل ، خذ بظهري ، فإن نجوتُ نجوتَ ، وإن قُتِلتُ وقيتُك . فلمّا دنا القوم أخذ مُرَّة بظهر تأبّطَ ، وحمل تأبّطَ فقتل رجلاً ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما ، فلمّا أَمِنا وكان من آخر الليل ، قال مُرّة : ما رأيت كاليوم غنيمة أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا ، وعضّ مُرَّةُ عضده ، وكان الحيّ الذينَ أغاروا عليهم بجيلة ، وأتى تأبّطَ امرأتـه ، فلمّا رأت جراحَتَه وَلْوَلَت ، فقال تأبّطَ في ذلك : [من الطويل]

وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ	ومِن خَلفه هَضبٌ صغار وجاملُ[1]
شدَدْتُ لنفس المرء مُـرَّةَ حَزْمَه	وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائلُ
وقلت له : كن خلفَ ظهري فإنّني	سأفديك وانظر بعدُ ما أنتَ فاعِلُ
فعـاذ بحَدّ السيف صاحبُ أَمرهم	وَخلَّوْا عن الشيء الذي لم يحاولوا
وأخطأَهـم قَتلي ورفَّعتُ صاحبي	على الليل لم تُؤخَـذ عليه المخاتلُ
وأخطـأ غُنْم الحَـيّ مُـرَّة بعدما	حوتـه إليـه كفُّـه والأَناملُ
يعض عـلى أُطرافـه كيف زَوْلُـه	ودون الملا سهلٌ من الأرض ماثلُ[2]
فقلت لـه : هذي بتلك وقد يَرى	لها ثَمَناً مـن نفسه مـا يُزاوِلُ
تُوَلْول سُعدى أن أتيتُ مُجرَّحاً	إليهـا وقـد مَنّت عليّ المَقاتِلُ[3]
وكائِنْ أَتاها هارِباً قبـل هـذه	ومن غانمٍ فأَيـن مِنْكِ الوَلاوِلُ

1 هضب في الديوان 157 : صعاب . الجامل : الجمال .

2 الزول : بمعنى الذهاب . والملا : السير الشديد .

3 منت علي المقاتل : أخطأتني المقاتل .

[يثبت مع ثلة من أصحابه]

فلمّا انقضت الأشهرُ الحُرمُ خرج تأبَّطَ والمُسَيَّب بنُ كلاب في ستّة نفر يريدون الغارةَ على بَجيلَة ، والأخذ بثأر صاحبَيْهم عَمْرو بن كِلاب وسَعْدِ بن الأشرس . فخرج تأبَّطَ والمُسيَّب بن كلاب وعامرُ بن الأخنس وعمرو بن برّاق ومُرَّةُ بن خليف والشَّنفرى بنُ مالك ، والسِّمع وكَعْبُ حِدار ابنا جابر أخَوا تأبَّطَ . فمضَوْا حتى أغاروا على العَوْص ، فقتلوا منهم ثلاثة نفر : فارسين وراجِلاً ، وأطردوا لهم إبلاً ، وأخذوا منهم امرأتين ، فمضوا بما غَنِموا ، حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خَثْعَم في نحو من أربعين رجلاً ، فيهم أبيُّ بنُ جابر الخثعميّ ، وهو رئيس القوم ، فقال تأبّطَ : يا قوم ، لا تُسلِموا لهم ما في أيديكم حتى تُبلُوا عُذْراً ، وقال عامر بن الأخْنَس : عليكم بصدق الضِّراب وقد أدركتم بثأركم ، وقال المُسَيَّب : اصدُقُوا القوم الحملةَ ، وإيّاكم والفَشَل ، وقال عَمرُو بنُ برَّاق : ابْذُلوا مُهَجَكم ساعة ، فإن النَّصر عند الصّبر . وقال الشّنفرى : [من الرجز]

نحن الصَّعاليكُ الحُماةُ البُزَّلُ إذا لَقِينا لا نُرى نُهَلَّلُ[1]

وقال مُرَّة بن خُلَيف : [من الرجز]

يا ثابتَ الخَيْر ويا ابنَ الأَخنسِ ويا ابنَ بَرّاق الكَريمِ الأَشْوسِ[2]
والشَّنفرى عند حُيودِ الأنفسِ أَنا ابن حامي السِّربِ في المغمَّسِ[3]
نحن مساعِيرُ الحُروبِ الضُّرَّسِ

وقال كعب حِدار أخو تأبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم أمَّا إذ لَقِيتم فاصْبِروا ولا تَخِيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا[4]

وقال السِمْعُ أَخُو تأبَّطَ : [من الرجز]

يا قوم كونوا عندها أَحْرارا لا تُسلِموا العُونَ ولا البِكارا[5]
ولا القَناعيسَ ولا العِشارا لِخَثْعمٍ وقد دَعَوْا غِرارا[6]

---

1 البزل : جمع بازل ، وهو البعير طلع نابه .
2 الأشوس : مَن ينظر بمؤخر عينه تكبراً .
3 المغمس : الأمر الشديد البالغ الشدّة .
4 خام : نكص وجبن .
5 العون : جمع عوان ، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر .
6 القنعاس من الإبل : العظيم وجمعه قناعيس . والعشار : جمع عشراء .

ساقوهمُ المَـوْتَ معاً أَحرارا وافتخِرُوا الدَّهْر بهـا افْتِخارا

فلمّا سَمِع تأَبَّطَ مَقالَتهم قال : بأَبي أَنتم وأُمِّي ، نِعْم الحماة إذا جَدَّ الجِدّ ، أَما إذا أَجمع رأيُكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرَّقوا ، فإنّ القوم أكثر منكم ، فحَمَلُوا عليهم فقتلوا منهم ، ثم كرُّوا الثانيةَ فقتلوا ، ثم كرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خَثْعم وتفرّقت في رؤُوس الجِبال ، ومضى تأَبَّطَ وأصحابُه بما غَنِموا وأسلابِ مَنْ قتلوا ، فقال تأبَّطَ من ذلك : [من الطويل]

جَزى اللهُ فِتْياناً على العَوْصِ أَشرقت سيوفهـــم تحـتَ العَجاجَةِ بالدَّمِ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى في ذلك : [من الطويل]

دَعِيني وقُولي بعد مـا شئتِ إنّني سيُغْـدى بنَفْسي مَـرَّةً فأُغيَّبُ

الأَبيات . . .

وقال الشَّنفرى أيضاً : [من الطويل]

أَلا هـــل أَتــى عَنَّا سُعادَ ودُونَها مهامِــهُ بِيــدٍ تَعْتَـلي بالصَّعالِكِ

بأَنَّا صَبَحْنا القوم في حُرّ دارِهم حِمامَ المنايا بالسُّيوفِ البَواتِكِ[1]

قَتَلْنا بعمرو منهـــمُ خيْرَ فـارس يزيدَ وسعداً ، وابنَ عوفٍ بمالكِ

ظَلَلْنا نُفرِّي بالسّيوف رُؤُوسَهم ونَرشُقهم بالنَّبْـل بـين الدَّكادِكِ[2]

[ينهزم أمام النساء]

قال : وخـرج تأَبَّطَ في سَرِيّـة من قومـه ، فيهم عَمْرُو بن برّاق ، ومُـرَّة بن خُليف ، والمُسَيَّب بن كلاب ، وعامر بن الأَخنس ، وهو رأسُ القوم ، وكعب حِدار ، وريش كعب ، والسِّمع وشريس بَنو جابر إخوةُ تأبَّطَ شرّاً ، وسعد ومالـك ابنا الأَقرع ، حتى مرّوا ببني نفاثة بنِ الدِّيل وهم يريدون الغارة عليهم ، فباتوا في جبل مُطِلٍّ عليهم ، فلمّا كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسَه ، فوجـد وتَرَها مُسْتَرخيـاً ، فجعل يوترها ويقـول له تأبَّطَ : بعض حطيط وَتَرك[3] يا عامِر ، وسَمِعه شَيخٌ من بَني نُفاثة ، فقال لبنات له : أنصتْن فهذه والله غارة لبني ليث ، وكان الذي بينهم يومئذٍ متفاقماً في قتل

1 البواتك : القواطع .
2 الدكادك : جمع دكدك ، وهو ما غلظ من الأرض .
3 بعض حطيط وترك : خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعوه .

حُمَيْصة بن قيس أخي بلعاء ، وكانوا أصابوه خطأ ، وكانت بنو نُفاثة في غزوة والحيّ خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طُباخ[1] بهم ، فقالت امرأة منهم : اجهروا الكلام ، والبَسُوا السّلاح ، فإنّ لنا عِدّةً ، فواللاتِ ما هُم إلاّ تأبَّطَ وأصحابه . فبرزن مع نوفل وأصحابه . فلمّا بصُرَ بهم قال : انصرفوا فإنّ القوم قد نذروا بكم ، فأبوا عليه إلاّ الغارة فَسلّ تأبَّطَ سيفه وقال : لئن أغرتم عليهم لأتّكِئن على سيفي حتى أُنفذه من ظهري ، فانْصَرَفُوا ولا يحسبون إلاّ أنّ النساء رجال ، حتى مرّوا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها ، فلَحِقهم غلام من بني جُنْدع بن ليث ؟ فقال : يا عامر بن الأخنس ، أتهاب نِساءَ بني نُفاثَة وتُغير على رجال بَني لَيْث ؟ هذه والله إبلٌ لبلعاءَ بن قيس . فقال له عامر : أوَ كان رجالهم خلوفا ؟ قال : نعم ، قال : أقرِىء بَلْعاء منّي السّلام ، وأخبره برَدِّي إبله ، وأعْلِمه أنّي قد حبست منها بَكراً لأصحابي ، فإنّا قد أرملنا[2] فقال الغلام : لئن حبست منها هُلبة[3] لأعلمنّه ، ولا أطرد منها بعيراً أبداً . فحمل عليه تأبَّطَ فقتله ، ومَضَوا بالإبل إلى قومهم ؛ فقال في ذلك تأبَّطَ : [من الطويل]

ألا عَجِبَ الفِتْيانُ من أُمّ مالك … تقول : أراك اليوم أشعثَ أغبرا[4]
تَبوعاً لآثار السَّرِيَّة بعدما … رأيتُك بَرَّاق المَفارق أيْسَرا[5]
فقلتُ لها : يَوْمان يَومُ إقامة … أهزّ به غُصْناً من البانِ أخضرا
ويومٌ أهزّ السَّيفَ في جيد أغيد … له نِسوةٌ لم تلق مثلي أنكرا
يخفن عليه وهو ينزع نفسَه … لقد كنت أبّاء الظلامة قَسْورا
وقد صِحْت في آثارِ حَوْم كأنّها … عَذارى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا[6]
أبعد النّفاثيّين آمل طرقةً … وآسى على شيء إذا هو أدْبرا[7]
أُكفكِف عنهم صُحْبَتي وإخالهم … من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أعْفَرا[8]

---

1 الطّباخ : الإحكام والقوّة .
2 أرمل القوم : نفد زادهم .
3 الهُلبة : شعرة من شعر الذئب .
4 اراك اليوم في الديوان 98 : لقد أصبحت .
5 تبوعاً لآثار السرية في الديوان 99 : قليل الإناء والحلوبة . الأيسر : اللين السهل .
6 الحوم : القطيع من الإبل .
7 آمل طرقة : أتجه إلى طريق وفي الديوان 164 : أزجر طائراً .
8 في الديوان : أنهنه رجلي عنهم . اليعر : الجدي . والتلاعة : ماء لبني كنانة . والأعفر : ما خالط بياضه حمرة .

فلـو نالت الكَفَّان أَصحابَ نوفـل بمهمهةٍ من بطـن ظَـرْء فعَرْعَرا[1]
ولَمّـا أَبـى الليثِـيُّ إلاّ تَهَكُّماً بعِرضي وكان العِرضُ عِرضي أُوفرا[2]
فقلـت لـه : حـقَّ الثناءِ فإنَّنـي سأذهب حتـى لم أَجِـد متـأخَّرا
ولَمّـا رأيـتُ الجَهْـلَ زاد لَجاجةً يقول فـلا يأْلُـوك أَن تَتَشَوَّرا[3]
دنوت لـه حتـى كأَنَّ قَميصَه تَشرَّب من نضح الأَخادِعِ عُصْفُرا[4]
فمـن مُبْلـغٌ ليثَ بـنَ بكرٍ بأَنَّنا تركنـا أَخاهـم يـوم قِرْنٍ مُعَفَّرا[5]

قال : غزا تأَبَّطَ بني نفاثة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خُلوفٌ ، ليس في دارهم رَجُل ، وكان الخبر قد أتى تأبّطَ ، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيِّ وهم أسفلَ منه ، فرأتْه امرأة فطرح نفسه ، فعلمت المرأة أنّه تأبَّطَ ، وكانت عاقِلةً ، فأمرت النساء فلبسْنَ لِبْسَة الرّجال ، ثم خرجن كأنّهنّ يَطْلُبْنَ الضّالَّة ، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون : اغزُ ، وإنّما كان في سَرِيّة من بين السّتّة إلى السبعة ، فأبى أن يدعهم ، وخرج يُرِيد هذيلاً ، وانصرف عن النّفاثيّين ، فبينا هو يتردّد في تلك الجبال إذ لقي حَليفاً له من هذيل ، فقال له : العجبُ لك يا تأبَّط ، قال : وما هو ؟ قال : إنّ رجال بني نفاثة كانوا خُلوفاً فمَكَرت بك امرأة ، وأنّهم قد رجعوا .

ففي ذلك يقول : [من الطويل]

أَلا عَجِـب الفِتيان من أُمّ مالك تقول : لقد أَصبحت أَشعثَ أَغبرا

وذكر باقي الأَبيات المُتَقَدِّمة .

وقال غيره : لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأَخنس الفهميّ ، وكان من حديث عامر بن الأخنَس أنّه غزا في نَفَر ، بضعةٍ وعِشْرين رجلاً ، فيهم عامِرُ بن الأخنس ، وكان سيِّداً فيهم ، وكان إذا خرج في غزو رَأَسَهُم ، وكان يقال له سَيّدُ الصعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بَني نُفاثة بنِ عَدي بن الدِّيل مُمْسِين ، ينتظرون أن ينام الحيُّ ، حتى إذا كان في سواد الليل مرّ بهم راعٍ من الحيّ قد أُغدِر ، فمعه غديرته[6] يسوقها فبَصَر بهم

---

1 ظرء ، وعرعر : مكانان وفي الديوان 101 : ظرّ .
2 إلا تهكُّماً في الديوان 164 : إلاّ انتهاكنا .
3 تشوّر الرجل : فعل فعلاً قبيحاً .
4 الأخدع : عرق متصل بالوريد ، والعصفر : نبت أحمر .
5 قرن : مكان .
6 الغديرة : الناقة يتركها الراعي .

وبمكانهم ، فخلّى الغَديرة وتَبع الضَّراءَ ضَراء[1] الوادي ، حتى جاء الحيّ فأخبرهم بمكان القوم وحَيْث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتيانَ الحيّ فسلحوهم ، وأقبلوا نحوهم ، حتى إذا دنَوْا منهم قال رجل من النّفاثِيِّين : والله ما قوسي بمُوتِرَة . فقالوا : فأوتِرْ قَوسَك ، فوضع قَوْسَهُ فأوتَرَها ، فقال تأبَّطَ لأصحابه : اسكُتُوا ، واستَمَع فقال : أُتِيتُم والله ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا والله أسمع حَطِيطَ وتَر قَوْس . قالوا : والله ما نسمعُ شيئاً ، قال : بلى والله إنّي لأسمعه ، يا قوم النّجاءَ ، قالوا : لا والله ما سَمِعْت شيئاً ، فوثب فانطلق وتركهم ، ووثب معه نفر ، وبيَّتهم بَنُو نفاثة فلم يُفلِت منهم إنسان ، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه ، وقُتِل تلك الليلةَ عامِرُ بنُ الأخنس .

قال ابنُ عُمَيْر : وسألت أهلَ الحجاز عن عامرِ بن الأخنس ، فزعموا أنّه مات على فِراشه .

فلمّا رجع تأبَّطَ قالت له امرأته : تركتَ أصحابَك ، فقال حينئذٍ : [من الطويل]

ألا عَجِب الفِتيـان مـن أُمِّ مالِك   تقول : لقد أصبحْتَ أَشعثَ أَغْبَرا

[يصرعه غلام]

فلمّا رجع تأبَّط وبلغه ما لَقِي أصحابُه قال : والله ما يَمَسُّ رأسي غُسْل ولا دُهْن حتى أثأر بهم . فخرج في نَفَر من قَومه ، حتى عَرَض لهم بَيْتٌ من هذيل بَيْن صُوى[2] جبل ، فقال : اغنَموا هذا البيت أوّلاً ، قالوا : لا والله ، ما لنا فيه أرَب ، ولئن كانت فيه غَنِيمة ما نستطيع أن نَسُوقَها . فقال : إنّي أتفاءَل أن أنزل ، ووقف ، وأتت به ضَبُع من يساره ، فكرهها ، وعاف[3] على غَيْر الذي رأى ، فقال : أبشري أُشْبِعك من القوم غداً . فقال له أصحابه : ويحك ، انطلق ، فوالله ما ترى أن نقيم عليها . قال : لا والله لا أريم حتى أصبح . وأتت به ضَبُع عن يساره فقال : أُشبِعك من القوم غَداً . فقال أحدُ القوم : والله إنّي أرى هاتين غداً بك ، فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح . فبات ، حتى إذا كان في وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وَعَدَّهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المُحْتَلم ، وَغَدوْا على القوم ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ، وحازوا جارِيَتَيْن وإبلاً . ثم قال تأبَّطَ : إنّي قد رأيت معهم غلاماً ؛ فأين الغلامُ الذي كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتّبعه ، فقال له أصحابه : ويلك دعه فإنّك لا تريد منه شيئاً ، فاتَّبعه ، واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة ، وأقبل تأبَّط يَقُصّه[4] وفوّق الغلامُ سهماً حين

1 الضراء : الشجر الملتفّ في الوادي ، أو أرض مستوية تأوي إليها السباع .

2 الصوى : جمع صوة ، وهي علامة يهتدى بها في الطريق ، أو ما غلظ وارتفع من الأرض .

3 عاف الطير : زجرها .

4 يقصه : يقتفي أثره .

رأى أنّه لا يُنْجيه شيء ، وأمهله حتى إذا دنا منه قَفَز قفزة ، فوَثَب على الصَّخرة ، وأرسل السهم ، فلم يسمَع تأبَّط إلاّ الحَبْضة[1] فرفع رأسه ، فانتظم السهمُ قَلبَه ، وأقبل نحوه وهو يقول : لا بأْس ، فقال الغلام : لا بأْسَ ، والله لقد وضعتُه حيث تكره ، وغشيه تأبَّطَ بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقَتادة ، ويضربها تأبَّطَ بحُشاشَته ، فيأخذ ما أصابت الضَّربةُ منها ، حتى خلص إليه ، فقتَله ، ثم نزل إلى أصحابه يَجُرّ رجله ، فلمّا رأوه وَثَبوا ، ولم يدروا ما أصابه ، فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ، ومات في أيديهم ، فانطلقوا وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سَبُع ولا طائر إلاّ مات ، فاحتَمَلته هُذَيل ، فألقته في غارٍ يقال له غارُ رَخْمان ، فقالت ريطةُ أخته وهي يومئذٍ متزوّجة في بني الدِّيل : [من الرجز]

نِعْـم الفَتـى غادَرتُـم برُخْمانْ ثابـتٌ بـنُ جابِر بن سُفْيانْ

وقال مُرَّة بن خُلَيْف يَرْثِيه : [من البسيط]

إنّ العَزيمةَ والعَـزَّاءَ قـد ثَوَيـا أكفانَ ميت غدا في غار رُخْمانِ[2]
إلاّ يَكُـن كُرسفٌ كُفِّنتَ جَيِّدَه ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتَّانِ[3]
فإنّ حُـرّاً مـن الأنْساب ألبسه ريشَ الندى ، والنَّدى من خير أكفانِ
وليلـةٍ رأسُ أفعاهـا إلى حجرٍ ويـومِ أورٍ مـن الجوزاء رنَّانِ[4]
أمضيتَ أوَّلَ رهـطٍ عنـد آخره في إثـر عاديـةٍ أو إثـر فتيانِ

وقالت أمّ تأبَّطَ ترْثِيه : [من الرجز]

وابنـاهُ وابـنَ اللَّيْل

[مقتله]

قال أبو عمر الشَّيبانيّ : لا بل كان من شَأن تأبَّطَ وهو ثابتُ بن جابر بنِ سُفْيان ، وكان جريئاً شاعراً فاتِكاً أنّه خرَج من أهلِه بغارة من قومِه ، يُريدون بَني صاهلة بنِ كاهل بن الحارث بن سَعِيد بن هُذَيل ، وذلك في عقب شَهْر حرام مِمّا كان يُحرِّم أهلُ الجاهليّة ، حتى هبط صدر أدَم[5] ، وخفض عن جماعة بني صاهلة ، فاستَقْبل التّلاعة ، فوجد بها داراً من بني نُفاثة بن عدي ، ليس فيها إلاّ النساء ، غير رجل واحد ، فبصُر الرجل بتأبَّطَ وخَشِيَه ، وذلك

1 الحبضة : نبضة السهم عند انطلاقه .
2 العزّاء : السنة الشديدة .
3 الكرسف : القطن .
4 أور : جمع أوار بمعنى الحر الشديد .
5 أدم : اسم موضع .

في الضُّحى ، فقام الرجل إلى النساء ، فأمرهنّ فجعَلْن رؤوسهنّ جُمَماً وجعَلْن دروعهن أردِيَة ، وأخذن من بيوتهنّ عُمُداً كهيئة السيوف فجعَلن لها حَمائل ، ثم تأبطنها ثم نَهَض ونهضنَ معه يغريهنّ كما يُغرِي القوم ، وأمرهنّ أن لا يُبْرزن خدّاً ، وجعل هو يَبرُز للقوم ليَروه ، وطفق يُغرِي ويَصيح على القوم ، حتى أفزع تأبّطَ شرّاً وأصحابه وهو على ذلك يُغري في بقيّة ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام ، فنَهضوا في شِعب يقال له شِعْب وَشَل[1] ، وتأبّطَ يَنْهض في الشِّعب مع أصحابه ، ثم يقف في آخرهم ، ثم يقول : يا قوم لكأنّما يطردكم النساء ، فيصيح عليه أصحابه فيقولون : انجُ أدركك القوم ، وتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبّطَ في ذلك : [من الطويل]

أبعد النفّاثيين أزجر طائراً ... وآسى على شيء إذا هو أدبرا
أُنهنِه رِجلِي عنهم وإخالهم ... من الذّلّ يعراً بالتّلاعة أعفرا
ولو نالت الكَفّان أصحابَ نوفل ... بمَهْمَهَة من بين ظَرْءٍ وعرعرا

قال : ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بني قُرَيْم ذنب نمار[2] فظلّ يراقبهم حتى أمسَوْا ، وذلك البيت لساعدةَ بنِ سفيانَ أحدِ بني حارثةَ بنِ قُرَيْم ، فحصرهم تأبّطَ وأصحابُه حتى أمسَوْا . قال : وقد كانت قالت وليدةٌ لساعدةَ : إنّي قد رأيت اليومَ القَوم أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حَذِراً قائماً بسيفه بساحة أهله . وانتظر تأبّطَ وأصحابُه أن يغفلَ الشيخ ، وذلِك آخرَ ليلة من الشهر الحرام فلمّا خشُوا أن يفضَحهم الصبحُ ، ولم يقدروا على غِرّة مشَوْا إليه وغرُّوه ببقيّة الشهر الحرام ، وأعطَوْه من مواثيقهم ما أقنعه ، وشكَوْا إليه الجوع ، فلمّا اطمأنّ إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابناً له صغيراً حين مشى . قال : ومضى تأبّطَ شرّاً إلى ابنٍ له ذي ذؤابةٍ ، كان أبوه قد أمره فارتبأ[3] من وراء ماله ، يقال له : سُفيانُ بنُ ساعدةَ . فأقبل إليه تأبّطَ شرّاً مستتراً بِمَجنّة ، فلمّا خَشِي الغلام أن يناله تأبّط بسيفه وليس مع الغلام سَيْف ، وهو مُفَوِّق سهماً ، رمى مجنَّ تأبّطَ بحَجَر ، فظنّ تأبّط أنّه قد أرسل سهمه ، فرمى مِجَنّه عن يده ، ومشى إليه فأرسل الغلامُ سهمَه فلم يُخْطِ لَبّتَه حتى خرج منه السهم ، ووقع في البطحاء حَذْوَ القوم ، وأبوه ممسك ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أخاطئهُ سفيانُ ؟ فحرَدَ[4] القوم ، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ، ومات تأبّطَ .

1 وشل : اسم جبل .
2 نِمار : اسم جبل ، ونُمار : اسم واد .
3 ارتبأ : اختبأ وراء ربيئة ؛ هضبة مرتفعة .
4 حرد القوم : اعتزلوا .

فقالت أُمُّه ، وكانت امرأةً من بني القَيْن بن جَسْرِ بن قُضاعَة ، ترثيه : [من الوافر]

قَتِيلٌ ما قتِيلُ بنـي قُرَيْـمٍ ... إذا ضَنَّت جُمـادى بالقِطارِ

فتى فَهْـمٍ جميعـاً غادَرُوه ... مقيماً بالحُرَيْضَةِ مـن نُمارِ[1]

وقالت أُمُّه ترثيه [أيضاً] : [من الرجز]

ويلُ امِّ طِرف غادروا برُخْمانْ ... بثابت بـن جابـر بـن سفيانْ

يجدِّل القِرنَ ويُروِي النَّدمانْ ... ذو مأْقِطٍ يحمي وراء الإخوانْ[2]

وقالت ترثيه أيضاً : وابناه وابنَ اللَيلْ ، ليس بزُمَّيْلْ[3] ، شَرُوبٍ للقَيْلْ[4] ، رقودٍ باللَّيلْ ، وَواد ذي هَوْل ، أجزتَ باللَّيلْ ، تضرب بالذَّيْل ، بِرَجْلٍ[5] كالثَّوْلْ .

قال : وكان تأَبَّطَ شرّاً يقول قبل ذلك : [من مجزوء الكامل]

ولقـد علمـتُ لتعـدُوَنَّ ... م عـليَّ شتَّـمٌ كالحساكلْ[6]

يأكلـنَ أُوصـالاً ولحـ ... ـماً كالشَّكاعِـي غيرَ جازِلْ[7]

يـا طيـرُ كُلْـنَ فإنَّنـي ... سُمٌّ لَكُـنَّ وذو دَغـاوِلْ[8]

وقال قبل موته : [من الوافر]

لعلّـي ميـّتٌ كمـداً ولّمـا ... أطالـع أهـلَ ضيم فالكرابِ

وإن لم آتِ جمـع بني خُثيم ... وكاهلهـا برَجْـل كالضّبابِ

إذا وقعـتْ بكعـب أو قُرَيْمٍ ... وسيَّارٍ فيـا سَوْغَ الشَّرابِ

فأجابه شاعر من بني قريم : [من الوافر]

تأبَّطَ سَوْأَةً وحملْـتَ شرّاً ... لعلّك أن تكونَ من المُصابِ

---

1 الحريضة : موضع في بلاد هذيل .

2 المأقط : مكان الحرب .

3 الزُّميل : الجبان .

4 القيل : شراب اللبن في القيلولة .

5 الرجل : جمع راجل . والثّول : جماعة النحل .

6 الشتم : جمع شتيم ، وهو الأسد الكريه المنظر . والحساكل ، جمع حسكل وهو ما تطاير من شرر الحديد المحمّى .

7 الشكاعي : جمع شكاعة ، شوكة تملأ فم البعير ، غير جاذل : ما عظم من أصول الشجر .

8 الدغاول : الدواهي .

لعلّك أن تجــيءَ بك المنايا   تُساقُ لفتيــةٍ منّــا غِضابِ
فتُصْبِحَ في مَكَرِّهــمُ صريعاً   وتصبحَ طرفة الضّبُعِ السِّغابِ
فزلتم تهربــون ولو كرهتم   تسوقــون الحَرائــمَ بالنِّقابِ
وزال بأرضكم منّــا غــلامٌ   طليعــةُ فتْيَةٍ غُلْــبِ الرقابِ[1]

ونَذْكُر هاهنا بعد أخبار تأبّطَ شرّاً أخبار صاحِبيه عَمْرِو بن بَرّاق والشّنفرى ونبدأ بما يُغنّى فيه من شعريهما ، ونُتبِعُه بالأخبار .

فأمّا عمرو بنُ برّاقٍ فممّا يغنّى فيه من شعره قولُه : [من الطويل]

صوت

متى تَجْمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً   وأنفــاً حَمِيّــاً تجتنبْكَ المَظالِمُ[2]
وكنت إذا قومٌ غَزَوْني غَزَوتهم   فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالِمُ !
كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها   مراغمــةً مــا دام للسيف قائِمُ
ولا صُلْحَ حتى تعثُر الخَيلُ بالقَنا   وتُضرَبَ بالبِيضِ الرّقاقِ الجَماجِمُ

عروضه من الطويل ، الشعر لابن برّاق وقيل ابن برّاقة . والغِناء لمحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ عمرِو بنِ بَزِيعَ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

1 زال : نهض . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق : جمع أغلب .

2 القلب الذكي : المتوقد حماسة . والأنف الحمي : كناية عن الأنفة وإباء الضّيم .

[450] ـ عمرو بن برّاق

[يسلبه حريم ماله فيستردّه منه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفش قال : حدَّثنا السّكريُّ عن ابنِ حبيبَ قال : وأخبرنا الهَمدانيّ ثعلب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن المُفضَّل ، قالا : أغار رجل من هَمْدان يقال له حُرَيم على إبل لعمرو بن برّاقٍ وخيل ، فذهب بها ، فأتى عمرو امرأةً كان يتحدَّث إليها ويزورها فأخبرها أنّ حريماً أغار على إبله وخَيلِه فذهب بها ، وأنّه يريد الغارة عليه ، فقالت له المرأة : ويحك لا تَعْرِضْ لتَلَفات حُرَيم فإنّي أخافُه عليك ، قال : فخالفَها ، وأغار عليه ، فاستاق كلَّ شيء كان له ، فأتاه حُرَيم بعد ذلك يطلب إليه أن يردَّ عليه ما أخذه منه ، فقال : لا أفعل ، وأبى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك : [من الطويل]

تقــول سُلَيمى لا تعَــرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ

وكيف ينامُ الليلَ من جُــلّ مالِهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أبيضُ صارمُ

صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمعاً طوعُ اليَمِــينُ ملازمُ[1]

نقَدتُ بــه ألفاً وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ

ألَم تَعلمــي أنّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نــام الدَّثُــور المُسالِمُ[2]

إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراطِ هامٌ جواثمُ[3]

ومال بأصحاب الكرى غالباتُه ... فإنّي عــلى أمــر الغَوايــة حازمُ

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونهــا ... مُراغمــةً مــا دام للسيف قائمُ

تَحالفَ أقــوامٌ عــليّ ليسمَنُوا ... وجروا عليَّ الحَرْبَ إذا أنا سالِمُ[4]

أفالآن أُدْعــى للهَــوادة بعدما ... أُجيل على الحيّ المَذاكيّ الصَّلادمُ[5]

كأنّ حُريماً إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويُذْهِبَ مالي يا ابنةَ القوم حالِمُ

---

1 صموت : صفة للسيف .

2 الدثور : الرجل البطن الخامل النؤوم .

3 أدجت نجومه : غابت ، أو غطاها السحاب .

4 سالم : بمعنى مسالم .

5 الهوادة : الملاينة والمسالمة . المذاكي الصلادم : الجياد الشديدة الصلبة .

متى يجمعِ القلبَ الذّكِيَّ وصارِماً وأنفـــاً حَمِيّــاً تَجْتَنِبْك المظالِمُ
ومَن يَطلبِ المــالَ المُمَنَّع بالقَنا يَعِشْ ذا غِنًى أَو تَخْتَرِمْه المَخارِمُ[1]
وكنتُ إذا قــومٌ غَزوني غزَوْتُهم فهــل أنـــا في ذا يالَهمْدان ظالمُ
فــلا صُلْح حتى تعثرَ الخيل بالقنا وتُضْرب بالبِيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ

وأمّا الشنفرى فإنّه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد . وممّا يُغَنّى فيه من شِعره قولُه : [من الطويل]

صوت

أَلا أمُّ عَمْرو أزمعــت فاستقَلَّت وما ودَّعَت جيرانها إذ تولَّتِ[2]
فوانَدَما بانَـــت أُمامــةُ بعدمـا طَمِعتُ فهَبْها نِعْمَــةً قــد تولَّتِ
وقد أَعجبَتْني لا سَقُوطاً خِمارُها إذا ما مَشَت ولا بِــذاتِ تَلَفُّتِ[3]

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة .

1 تخترمه المخارم : تهلكه المهالك .
2 أزمعت : عزمت على الرحيل .
3 لا سقوط خمارها : يصفها بالتصوّن والتحشّم .

[451] ـ أَخبار الشَّنفرى ونسبه[1]

[نسبه ونشأته]

وأَخبرني بخبره الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال : حدَّثنا أَبو يحيى المُؤدّب وأَحمد بن أَبي المنهال المُهلّبيّ ، عن مؤرّج عن أَبي هشامٍ محمد بنِ هشامٍ النُّميريّ : أنّ الشَّنفرى كان من الأَواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابة بن فهم بنِ عمرٍو بن قيسِ بن عَيْلانَ ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بنِ مفرِّج بن عـوفِ بن ميدعان بن مالكِ بن الأزدِ رجلاً من فهم ، أحدَ بني شبابة فَفَدَته بنو شبابة بالشّنفرى قال : فكان الشّنفرى في بني سلامانَ بنِ مفرِّج لا تحسبه إلاّ أحدَهم حتى نازعتْه بنتُ الرجل الذي كان في حِجره ، وكان السُّلاميّ اتّخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشَّنفرى : اغسلي رأسي يا أُخيّة وهو لا يشكّ في أنّها أخته ؛ فأَنكرت أَن يكون أَخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشَّنفرى : اصدقني ممّن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أَمَا إنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني ، ثم إنّه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً ، وقال الشَّنفرى للجارية السّلاميّة التي لطمته وقالت : لست بأخي : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْـري والتّلَهّفُ ضَلّةٌ بما ضَربتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها[2]

ولو علمت قُعسوسُ أَنساب والدي ووالِدهـا ظَلّت تقاصَرُ دونها[3]

أَنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا وأُمي ابنةُ الأَحرار لَـوْ تعْرِفينها[4]

قال : ثم لزم الشَّنفرى دار فَهْم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تَبِعه من فَهْم ، وكان يغير وحده أكثر من ذلك ، وقال الشَّنفرى لبني سلامان : [من الطويل]

---

1 انظر أخباره في : الطرائف الأدبية 27 ، ومقصورة حازم للشريف الغرناطي 22/2 ونسخة المغتالين لابن حبيب وغ ج 21 ، والأنباري الرقمان 1 و20 وخ .

2 الهجين : اللئيم ، أو العربي الذي أُمّه أَمَة . وفي الديوان [الطرائف الأدبية] 41 :

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة بما لطمت كف الفتاة هجينها

3 في الديوان 41 :

ولو علمت تلك الفتـاة مناسبي ونسبتها ظلّت تقاصر دونهـا

والقعوس : اسم الفتاة .

4 وفي الديوان 41 :

أليس أبي خير الأواس وغيرها وأمي ابنة الخيرين لـو تعلمينها

وإنّي لأهوى أن أُلفَّ عجاجتي ... على ذي كساء من سَلامانَ أو بُردِ[1]
وأُصبحَ بالعضْداءِ أبغي سَراتَهم ... وأسلكَ خَلاً بين أرباع والسَّردِ[2]

[إحدى غاراته]

فكان يقتل بني سلامان بنِ مُفرّج حتى قعد له رَهْط من الغامديّين من بني الرّمداء فأعجزهم فأشلَوْا عليه كلباً لهم يقال له حُبَيش ولم يضعوا له شيئاً ، ومَرَّ وهو هارب بقرية يقال لها دَحِيس برجُلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال : [من الطويل]

قتيلَــيْ فِجــارٍ أنتُمــا إن قُتِلتُما ... بجوف دَحِيس أو تبالةَ يــا اسمعا[3]

يريد : يا هذان اسمعا ، وقال فيما كان يُطالب به بني سلامان :

فــإلاّ تــزرني حَتْفتي أو تُلاقني ... أُمشِّ بدَهْــرٍ أو عــذافَ فنوَّرا[4]
أمشي بأطراف الحمــاطِ وتــارةً ... تُنفِّضُ رجـلي بُسْبُطاً فَعَصَنْصَرا[5]
وأبغي بني صَعب بن مُرٍّ بلادَهم ... وسوف أُلاقيهـــم إنِ اللهُ يسّرا[6]
ويوماً بذاتِ الرَّأس أو بطن مِنجَلٍ ... هنالــك تَلْقــى القاصيَ المُتَغوّرا[7]

[مقتله]

قال : ثم قعد له بعد ذلك أُسَيْدُ بن جابر السلامانيّ وخازم الفهميّ بالناصف من أَبِيدةَ ومع أُسَيْد ابن أخيه ، فمرّ عليهم الشَّنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلاّ رماه كائناً ما كان ، فشكّ ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتكلّم ، فقال الشَّنفرى : إن كنتَ شيئاً فقد أصبتُك وإن لم تكن شيئاً فقد أمِنتُك ، وكان خازمٌ باطحاً : يعني مُنْبَطحاً بالطريق يرصده ، فنادى أُسيد : يا خازم أصِلت ، يعني اسْلُلْ سيفَك . فقال الشَّنفرى : لكلٍّ

---

1 في الديوان 34 : وإني زعيم . لفّ العجاجة : كناية عن الغارة .

2 في الديوان 34 :

وأمشي لدى العضداء أبغي سراتهم ... وأسلك خــلاً بـين أرفاع والسّردِ

والعضداء : أرض لبني سلامان .

3 دحيس ، وتبالة : مكانان .

4 في الديوان 35 : في عِداف بَنَوَّرا . وعِداف مكان وبَنَوَّر : جبل .

5 الحماط : ضرب من النبات . وبسبط ، وعصنصر : مكانان .

6 ورد البيت في الديوان 36 كما يأتي :

أُبغّي بني صعب بــن مُــرٍّ بلادَهم ... وسوف أُلاقيهـــم إنْ الله أخّــرا

7 ذات الرأس ومنجل : مكانان . تَلْقى في الديوان 36 : نبغي . المتغوّر : الموغل في الأرض ، أو الموغل في الغارة .

أَصلت ، فأَصلت الشَّنفرى . فقطع إصبعين من أصابع خازمٍ الخِنصَر والبِنصَر ، وضبطه خازمٌ حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة ، فأخذ أسيد سلاح الشَّنفرى وقد صرع الشَّنفرى خازماً وابنَ أخي أسيدٍ ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيدٌ برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رِجْل مَنْ هذه ؟ فقال الشَّنفرى : رِجْلي ، فقال ابن أخي أسيد : بل هي رِجلي يا عمّ فأسروا الشَّنفرى ، وأدّوْه إلى أهلهم ، وقالوا له : أنشدنا ، فقال : إنّما النشيد على المَسَرَّة[1] ، فذهبت مَثَلاً ، ثم ضربوا يدَه فتعرّضت ، أي اضطربت فقال الشَّنفرى في ذلك : [من الرجز]

لا تَبْعَدي إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ ... فرُبّ وادٍ نَفَرَتْ حَمامَهْ[2]

ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظامَهْ

ثم قال له السُّلاميّ : أأَطرِفُك[3] ؟ ثم رماه في عينه فقال الشَّنفرى له : كأنّ كُنّا نفعل أي كذلك كنّا نَفْعل ، وكان الشَّنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له : أأَطرِفُك ؟ ثم يرمي عينه . ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نَقبُرك ؟ فقال : [من الطويل]

لا تَقبُروني إنّ قَبري مُحرَّم ... عليكم ولكن أَبشري أُمَّ عامرِ[4]

إذا احْتَمَلَتْ رأسي وفي الرأسِ أكثَري ... وغُودِر عند المُلْتَقى ثَمَّ سائِري

هنالك لا أَرجو حياةً تَسُرُّني ... سَميرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[5]

[تأبّط شرّاً يرثيه]

وقال تأَبَّطَ شَرّاً يرثي الشَّنفرى : [من الطويل]

على الشَّنفرى ساري الغمام ورائحٌ ... غزيرُ الكُلى ، وَصَيِّبُ الماءِ باكرُ[6]

عليك جزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبا ... وقد أُرغِفتْ منك السُّيوفُ البواترُ[7]

---

1 مثل ورد في جمهرة الأمثال للعسكري 304/2 «النشيد مع المسرة» .

2 ذهبت في الديوان هلكْتِ . والشامة : شامة سوداء كانت في يده .

3 طرف العين : أدخل فيها ما جعلها تدمع .

4 انظر المثل في مجمع الأمثال للميداني 225/1 ، 238 ، 239 ، والدرة الفاخرة للأصفهانيّ 150/1 ، وجمهرة الأمثال للعسكري 411/1 ، 416 ، والمستقصى للزمخشري 71 وفصل المقال 187 والأمثال لأبي فيد 46 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام 126 .

5 سمير الليالي : طول الليالي . مبسلاً بالجرائر : مرهوناً بآثاري وجرائمي .

6 الكُلى : جمع كلوة ، وتطلق على أسفل السّحاب .

7 الجبا : مكان .

ويومِكَ يــومِ العَيْكَتَيْــنِ وعطفةٍ عطفتَ وقد مَسَّ القُلوبَ الحناجرُ[1]
تجول ببزّ المــوت فيهــم كأنّــهم بشوكتك الحُــدّى ضَئِينٌ نوافرُ[2]
فإنّك لــو لاقيتني بعدمــا ترى وهــل يُلقَيْن مَــنْ غَيَّبته المقابرُ
لألفيتني في غــارة أنتمي بهــا إليــك وإمّــا راجعــاً أنا ثائرُ[3]
وإن تَكُ مأسوراً وظلّت مُخَيِّماً وأبْليت حتــى مــا يكيدك واترُ
وحتى رماك الشَّيبُ في الرأس عانساً وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضرُ[4]
وأجملُ موتِ المرءِ إذ كان ميتاً ولا بدّ يومــاً مَوتُــه وهو صابرُ
فلا يَبعَدنّ الشّنفرى وسِلاحُه الْـ ـحَديــدُ وَشدٌّ خَطْــوُه متواتِرُ[5]
إذا راع رَوْعُ الموت راع وإن حَمى حَمى معــه حُــرٌّ كريــم مُصابِرُ

[رواية أخرى في مقتله]

قال : وقال غيره : لا بل كان من أمر الشّنفرى وسَببِ أسره ومقتله أنَّ الأزد قتلت الحارثَ بن السّائب الفَهْمــيّ ، فأبوا أن يبوءوا بقتله[6] ، فباء بقتله رَجُلٌ منهم يقال له حزام بن جابرْ قَبلَ ذلك ، فمات أخو الشّنفرى ، فأنشأت أُمّه تبكيه ، فقال الشّنفرى ، وكان أوّل ما قاله من الشعر : [من المتقارب]

ليس لوالــــدة هوءُ هــــا ولا قولُهــا لابنهــا دَعْدَعِ[7]
تُطيــفُ وتُحــدِثُ أحوالَــه وغيْــرُكِ أملــكُ بــالَمصْرَعِ

قال : فلمّا ترعرع الشّنفرى جعل يُغِير على الأزد مع فَهْم : فيقتل مَنْ أدرك منهم ، ثم قدم مِنًى وبها حزامُ بن جابر ، فقيل له : هذا قاتل أبيك ، فشَدَّ عليه فقتله ، ثم سبق الناسَ على رجليه فقال : [من الطويل]

---

1 العيكتان : جبلان .
2 البزّ : السلاح ، والحُدّى : مؤنّث الأحدّ بمعنى المرهف الحدّ . والضئين : جمع ضائن ، الضأن .
3 أنتمي في الديوان 83 : أعتزي .
4 العانس : الرجل السمين .
5 الشدّ : الحملة على الأعداء . ومتواتر : يتلو بعضه بعضاً .
6 باء بقتله : أقرّ به .
7 الهوء : الهمة والرأس . وفي الديوان 37 : همّها .

تتلستُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبِّدٍ ببطن مِنًى وسْط الحجيج المُصَوِّتِ[1]

قال : ثم إنّ رجلاً من الأزد أتى أُسيدَ بن جابر ، وهو أخو حزام المقتول فقال : تركتُ الشَّنفرى بسوق[2] حُباشة ، فقال أسيد بنُ جابر : والله لئن كنت صادقاً لا نرجع حتى نأكلَ من جَنى أليفِ أبيدة[3] ، فقعد له على الطريق هو وابنا حَزام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفَى وطأه ، فلمّا سمع الغلامان وطأه قالا : هذه الضَّبُع ، فقال أسيد : ليست الضَّبُعَ ، ولكنّه الشَّنفرى ، ليضَعْ كلّ واحد منكما نعلَه على مَقْتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّاً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أبصَرَنا ، فقال عمّهما : لا والله ما أبصركما ، ولكنّه أطرد ؛ لكيما تتبعاه ، فليضَعْ كلٌّ واحد منكما نعلَه على مقلته . فرماهم الشَّنفرى فخسق[4] في النعلِ ولم يتحرّك المَرْميّ . ثم رمى فانتظم ساقَيْ أُسيد ، فلمّا رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وَثاقاً ، ثم إنّهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتماروْا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلمّا رأى ذلك أُحدُ بني حزام ضربه ضربةً فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامةٌ سوداء ، فقال الشَّنفرى حين قُطِعتْ يده : [من الرجز]

لا تَبعَدي إمّا هلكت شامَهْ فربَّ خَرقٍ قَطَعتْ قتامَهْ
وربَّ قِرْنٍ فصَلت عظامَهْ

وقال تأبَّطَ شرّاً يرثيه : [من الطويل]

لا يبعَدنَّ الشَّنفرى وسلاحُه الـ ـحديدُ وشَدٌّ خَطْوُه مُتواترُ
إذا راع رَوْعَ الموتِ راعَ وإن حَمى حَمى معه حُرٌّ كريمٌ مُصابرُ

قال : وذُرِع خَطوُ الشَّنفرى ليلة قتل فوُجِد أوّل نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوةً ، ثم الثانية سبعَ عشرةَ خطوةً .

قال : وقال ظالم العامريّ في الشَّنفرى وغاراتِه على الأزد وعَجْزهم عنه ، ويَحْمَدُ أُسَيْدَ بن جابرٍ في قتله الشَّنفرى : [من الطويل]

1 حزاماً في المفضليات 111 : قتيلاً . مهدياً : مقدماً الهدي في الحجّ . ببطن في المفضليات : جمار . المصوّت : الذي يجهر بالدّعاء ونحوه .
2 سوق حباشة : سوق كانت معروفة عند العرب .
3 أبيدة : اسم مكان .
4 خسق في النعل : أصاب السّهم النعل ، وأخطأ الهدف .

نما لَكُم لم تدركوا رِجْلَ شنفرى   وأنتم خِفاف مثلُ أَجنحة الغُرْبِ[1]
تعاديتُم حتى إذا ما لحقتُم   تباطأْ عنكم طالبٌ وأَبو سَقْبِ[2]
لعمركَ لَلسَّاعي أُسَيدُ بن جابرٍ   أَحقُّ بها مِنْكم بَني عقبِ الكلبِ

قال : ولمّا قُتِل الشَّنفرى وطُرِح رأسُه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشَّنفرى بقدمه ، فعُقِرت قدمُه فمات منها ، فتَمَّت به المائةُ .

[من شعر الشنفرى]

وكان مِمّا قاله الشَّنفرى فيهم من الشعر وفي لطمة المرأة التي أَنكرته الذي ذكرتُه واستغني عن إعادته ممّا تقدّم ذكره من شعر الشَّنفرى ، وقال الشَّنفرى في قتله حزاماً قاتل أبيه :   [من الطويل]

أَرى أُمَّ عمرو أَجمعت فاستقلَّتِ   وما وَدَّعت جيرانَها إذْ تولَّتِ[3]
فقد سبقتنا أُمُّ عمرو بأَمرها   وقد كان أَعناقُ المَطيِّ أَظلَّتِ[4]
فواندَما على أُميمةَ بعدما   طمِعتُ فَهبْها نِعمةَ العيش ولَّتِ[5]
أُميمةُ لا يُخزِي نَثاها حلَيلها   إذا ذُكِر النسوان عَفَّت وجَلَّتِ[6]
يَحُلّ بمنجاةٍ من اللّوم بيتُها   إذا ما بُيوتٌ بالمَلامة حُلَّتِ[7]
فقد أعجبتني ، لا سَقُوطٌ قِناعُها   إذا ما مَشت ولا بذات تَلَفُّتِ
كأَنَّ لها في الأَرض نِسْياً تَقُصُّه   إذا ما مشت وإن تُحدِّثْك تَبْلتِ[8]

النِّسْيُ : الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو ؛ يصفها بالحياء ، وأنّها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تبرج . ويروى :

تقصه على أُمّها وإن تُكلِّمك

1 الغُرب : جمع غُراب .
2 طالب وأبو سقب : رجلان .
3 أرى في المفضليات 108 : ألا .
4 أظلت : إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل .
5 فواندما في المفضليات 108 : فواكبدا .
6 وجلّت في المفضليات 108 : زلّت . النثا : الحديث .
7 بالملامة في المفضليات 109 : بالمذمّة .
8 تبلت الكلام وتقطعه بما يعتريها من البهر .

نَدَقَّت وجلَّت واسْبَكرَّت وأُكملَتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسْن جُنَّتِ[1]
تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدي غَبُوبَها ... لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّتِ[2]

الغبوب : ما غبّ عندها من الطعام أي بات ويروى : غبوقها .

فبِتنا كأنَّ البيت حُجِّر حولنا ... بريحانةٍ راحت عِشاءً وطُلَّتِ
بريحانةٍ من بطن حلْيةَ أُمْرِعت ... لها أرجٌ مِنْ حَولِها غيْرُ مُسْنتِ
غدوتُ من الوادي الذي بين مِشْعَل ... وبين الجَبا هيهات أنْسَأتُ سُربتي[3]
أمشِّي على الأرض التي لن تضيرَني ... لأكسِبَ مالاً أو أُلاقيَ حُمَّتِي[4]
إذا ما أتتني حَتْفتي لم أُبالها ... ولم تُذْرِ خالاتي الدموع وعَمَّتي
وهُنِّىءَ بي قومٌ وما إن هنأْتُهم ... وأصبحت في قوم وليسوا بمنْبِتي
وأُمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم ... إذا أُطْعَمَتْهم أَو تَحَتْ وأقلَّتِ[5]
تخاف علينا الجوعَ إن هيَ أكثرت ... ونحن جياعٌ ، أيَّ أَلْيٍ تأَلَّتِ[6]
عُفاهيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها ... ولا تُرتَجى للبَيْت إن لم تُبَيَّتِ[7]
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً ... إذا ما رأَت أُولى العَديِّ اقْشَعَرَّتِ[8]
وتأْتي العَديَّ بارزاً نصفُ ساقِها ... كعَدْو حِمار العانةِ المتفلِّتِ[9]
إذا فُزِّعت طارت بأَبيضَ صارمٍ ... وراحت بما في جُفرها ثم سَلَّتِ[10]

1 اسبكرت : اعتدلت واستقامت .

2 غبُوبها في المفضليات 109 : غبوقها . والغبوق : ما يشرب بالعشي .

3 في المفضليات 110 رواية البيت كما يأتي :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعلٍ ... وبين الجَبا هيهاتَ أنشأت سربتي

مشعل والجبا : جبلان . والسّربة : الجماعة .

4 الشطر الثاني في المفضليات 110 : لأنكي قوماً أو أصادف حُمّتي . والحمّة : المنية .

5 أوتحت : قلّلت طعامهم .

6 الجوع في المفضليات 110 : العيل . والألتة : المجاعة .

7 عفاهية : ضخمة ، وفي المفضليات 111 مُصَعكِلة : أي صاحبة صعاليك فقراء .

8 رأت في المفضليات 111 : آنست . والوفضة : جعبة السهام . والسَّلجم : السهم العريض النّصل . العدي : جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه . واقشعرت : تهيأت للقتال .

9 كعدو حمار في المفضليات 111 : تجول كعير .

10 الجفر : جمع جفير بمعنى جعبة السّهام .

حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه ... جُرَازٍ من اقطار الحديد المنعَّتِ[1]
تَراها كأذناب المَطيّ صوادراً ... وقد نهلتْ مِنَ الدّماءِ وعلَّتِ[2]
سنجزى سَلامانَ بنَ مُفْرجَ قرضَهم ... بما قَدَّمت أيديهمُ وأَزَلَّتِ[3]
شفَيْنا بعبد الله بعضَ غليلنا ... وعوفٍ لدى المَعْدى أَوانَ استهلَّتِ[4]
قتلنا حزاماً مُهدِياً بمُلَبّدٍ ... محلّهما بين الحجيج المصوِّتِ
فإن تُقبلوا تُقبِل بِمَنْ نِيلَ منهمُ ... وإن تُدبروا فأُمّ مَنْ نِيلَ فُتّتِ
أَلا لا تزرني إن تشكّيت خلّتي ... كفاني بأعلى ذي الحُميرةِ عُدْوَتي[5]
وإنّي لحُلوٌ إن أُريدت حلاوتي ... ومُرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استمرَّتِ
أبيّ لما آبى وشيكٌ مَفيئتي ... إلى كُلِّ نفس تَنْتَحي بمودّتي[6]

وقال الشّنفرى أيضاً : [من الطويل]

ومرقبةٍ عَنْقاء يَقصُرُ دونها ... أخو الضَّرْوة الرّجْل الخفيُّ المخَفَّفُ[7]
نَميتُ إلى أَعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتفُّ الحديقةِ أَسدَفُ[8]
فبتُّ على حَدّ الذّراعين أحدباً ... كما يَتطَوَّى الأَرقمُ المُتَعطِّفُ[9]
قليلٌ جَهازي غيرُ نعلين أَسحقَت ... صُدورُهما مخصورةً لا تُخصَّفُ[10]
ومِلحَفَةٍ دَرْسٍ وجَرْدِ مُلاءَةٍ ... إذا أُنهجت من جانب لا تَكفَّفُ[11]

---

1 أقطار الحديد في المفضليات 111 : كأقطاع الغدير . والجراز : القاطع .
2 المطي في المفضليات 111 : الحسيل .
3 سلامان بن مفرج : قبيلة . أزلت : من الزلل .
4 عبد الله وعوف : قبيلتان . المعدى : مكان . واستهلت : برزت للقتال .
5 الشطر الثاني في المفضليات 112 : شفاني بأعلى ذي البُرَيقين عَدْوَتي . والخلة : الحاجة . ذو الحميرة : مكان .
6 مفيئتي في المفضليات 112 : سريع مباءتي .
7 مرقبة : مرتفع من الهضاب ونحوها ، عنقاء : طويلة العنق . الضّروة : من ضرا بمعنى استخفى . والرّجل : الساعي على رجليه . وفي الديوان 37 الرجل الحفيّ .
8 نميت في الديوان 37 : نعبت .
9 أحدبا في الديوان 37 : مجذياً .
10 قليل جهازي في الديوان 37 : وليس جهازي . أسحقت : بليت . مخصورة : دقيقة الوسط . لا تخصف : لا تقبل الخرز .
11 في الديوان 37 : وضنيّة جُردٍ وأخلاق رَيْطة
الجرد : البالي . أنهجت : بليتْ .

وأبيضُ مــن مـاء الحديــد مهنّدٌ مِجذٌّ لأَطـرافِ السّواعِدِ مِقطفُ[1]
وصفراءُ مـــن نبعٍ أَبيٍّ ظَهيرةٌ تُـرِنّ كإرنـان الشّجيّ وَتَهْتِفُ[2]
إذا طال فيها النّزعُ تأبى بعَجْسها وترمي بذَرْوَيْهـا بهــنّ فتَقْذِفُ[3]
كأَنَّ حفيفَ النَّبل من فوق عَجْسها عوازبُ نحلٍ أَخطأَ الغارَ مُطْنِفُ[4]
نــأَت أُمُّ قيسِ المرْبَعَــين كليهما وتحــذَر أَن يَنـأَى بهـا المتصيَّفُ
وإنّــك لو تَدرينَ أَنْ رُبَّ مشربٍ مخوفٍ كداء البطن أَو هو أَخوفُ
وردتُ بمأثورٍ ونبـلٍ وضالــةٍ تخيَّرتهـا مِمّـا أَريش وأَرصُفُ[5]
أُركّبهــا في كلّ أَحمــر عاتِــرٍ وأَقذف منهنّ الذي هو مقرِفُ[6]
وتابعتُ فيــه البَرْيَ حتــى تركتُه يَـزِفُّ إذا أَنفذتُــه ويزفزفُ[7]
بِكفَّــي منهـا للبغيض عُراضَــةٌ إذا بعــتُ خلاًّ ما له مُتَخَوَّفُ[8]
ووادٍ بعيـدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه بواطِنُــه للجنّ والأسْدِ مأْلَفُ[9]

---

1 مجذ : قطاع ، ومقطف : قطاع .

2 صفراءُ في الديوان 38 : وحمراء . وصفراء : قوس صفراء . النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسيّ . ظهيرة : معينة .

3 الشطر الأول في الديوان 38 : إذا آل فيها النّزع تأبى بعجزها . والعجس : مقبض القوس . ذروا القوس : طرفاها .

4 عجسها في الديوان 38 : عجزها . عوازب في الديوان 38 : غوارب . عوازب نحل : ذواهب نحل . مطنف : من الطنف .

5 المأثور : السيف المؤثر . الضالة : السلاح عامة ، أو السهام خاصة . رصف السهم : شدّ على مدخل سنخ نصله العقبة .

6 في الديوان 38 :

أركبهــا في كل أحمــر غائــرٍ وأنسج للولــدان ما هو مقرفُ

العاتر : الشديد ، المقرف ، غير الحسن .

7 يزف : يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه ، وبسط جناحيه ، والزفزفة : شدّة الجري ، أو تحريك الريح للعشب وصوتها فيه . وفي الديوان138 : يرنّ إذا أنزفته .

8 العراضة : الهدية .

9 في الديوان 38 :

ووادٍ بعيد العمق ضنكٍ جُماعــه مراصد أيم مَانت الرأس أخوف
وحوش موى زاد الذئاب مضلّة بواطنه للجــنّ والأسد مألـف

تعسَّفتُ منه بعدما سقط الندى ... غَماليلَ يخشى غِيلَها المُتعسِّفُ[1]
وإنّي إذا خامَ الجبانُ عن الرّدى ... فلي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَفُ[2]
وإن امــرءاً أَجار سعدَ بنَ مالكٍ ... عــليّ وأثــوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُفُ[3]

وقال الشَّنفرى أَيضاً : [من الطويل]

ومُستبسلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّــه ... بــأَزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعَــوِّجِ[4]
عليــه نُسارِيٌّ على خُــوطِ نَبْعةٍ ... وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجِ[5]
وقاربتُ من كفَّيَّ ثــم فَرَجتها ... بنزع إذا ما استُكرِه النزعُ مُخْلِجِ[6]
فصاحت بكفّي صيحةً ثم رجَّعَت ... أنينَ الأَميم ذي الجراح المُشجَّجِ[7]

وقد روى : فناحت بكفّي نوحة .

[رواية ثالثة في مقتله]

وقال غيره : لا بل كان من أَمر الشَّنفرى أَنّه سَبَتْ بنو سَلامان بنُ مُفَرِّج بنِ مالِك بنِ هَوازن بن كعب بن عبدِ الله بن مالكِ بن نصرِ بن الأزد الشَّنفرى ، وهو أحدُ بني ربيعةَ بن الحِجْرِ بن عمرانَ بن عمرو بن حارثةَ بن ثعلبةَ بن امرىء القيسِ بن مازنِ بن الأزدِ ، وهو غلام ، فجعله الذي سَباه في بَهْمة يرعاها مع ابنة له ، فلمّا خلا بها الشَّنفرى أهوى ليقبّلها ، فصكَّت وَجْهَه ، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليه ليقتلَه ، فوجده وهو يقول : [من الطويل]

أَلا هــل أَتى فِتيانَ قومــي جَماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها ؟
ولــو علمــتْ تلك الفتاةُ مَناسبي ... ونِسبتُها ظلَّــت تقاصَــرُ دونها

---

1 الغماليل : الدوابي . الغيل : الأشجار الكثيفة .

2 الشطر الأول في الديوان 39 :

وآب إذا أجرى الجبان وظنّه

خام : جبن وضعف . مخسف : من خسف الطريق بمعنى ذلّله وقطعه .

3 الأقيصر : صنم مقدس .

4 ضغت الشيء : لاكه بالأنياب والنواجذ .

5 نساري : ريش نسر الخوط . النبعة : شجرة صلبة تتّخذ منها السهام . الفوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه . والمحدرج : الأملس .

6 مخلج : من أخلج الشيء بمعنى انتزعه .

7 المشجج : مَن شجّ رأسه .

أَليس أَبي خيرَ الأَواسِ وغيرِهــا ... وأُمِّي ابنةُ الخَيْرِينَ لــو تَعلمينَها

إذا مــا أَرُومُ الــودَّ بيني وبينها ... يــؤمُّ بياضُ الوجــه منِّي يمينَها

قال : فلمّا سمع قوله سأله : مِمَّن هو ، فقال : أَنا الشَّنفرى ، أَخو بني الحارثِ بنِ ربيعةَ ، وكان من أقبح النّاس وجهاً ، فقال له : لولا أنـّي أخاف أن يقتلني بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتي . فقال : عليَّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم ، فأنكحه ابنته ، وخلّى سبيله ، فسار بها إلى قومه ، فشدّت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه ، فلمّا بلغه ذلك سكت ولم يُظهِر جزعاً عليه ، وطفق يصنع النبل ، ويجعل أَفواقَها من القُرون والعظام ، ثم إنّ امرأتَه بنتَ السلامانيّ قالت له ذات يوم : لقد خِسْتَ[1] بميثاق أَبي عليك ، فقال : [من الطويل]

كأَنْ قَدْ ، فلا يغْرُرْكِ منِّي تَمَكُّثي ، ... سلكتُ طريقاً بين يَرْبَغ فالسَّرْدِ

وإنِّــي زعيــمٌ أَن تثور عَجاجتي ... على ذي كِساءٍ من سَلامان أو بُردِ

هــمُ عرفــوني ناشئاً ذا مَخِيلة ... أُمشِّي خلال الدّار كالفرس الوَرْدِ[2]

كأَنـّي إذا لم يُمسِ في الحيّ مالك ... بتيهاء لا أُهدى السَّبِيلَ ولا أَهدي

قال : ثم غزاهم فجعل يقتُلهم ، ويعرفون نَبلَه بأفواقها في قَتْلاهم ، حتى قتلَ منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم غزاهم غزوة ، فنذَرُوا به ، فخرج هارباً ، وخرجوا في إثره ، فمرّ بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفَتْه ، فأطعمته أقِطاً ليزيد عَطَشاً ، ثم اسْتَسقى فسقته رائباً ، ثم غيّبت عنه الماء ، ثم خرج من عندها ، وجاءَها القوم فأَخبرتهم خبرَه ، ووصفت صفته وصِفَةَ نبله ، فعرفوه ، فرصدوه على رَكيٍّ لهم ، وهو ركيّ ليس لهم ماء غيره ، فلمّا جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء ، فلمّا دنا منه قال : إنّي أراكم ، وليس يرى أحداً إنّما يريـد بذلك أن يُخرِج رَصَداً إن كان ثمّ ، فأصاخ القوم وسكتوا . ورأى سواداً ، وقد كانوا أجمعوا قبلُ إن قُتِلَ منهم قتيل أن يُمسكَه الذي إلى جنبه لئـلاّ تكـون حركةٌ ، قال : فرمى لَمّا أبصر السواد ، فأصاب رجلاً فقتله ، فلم يتحرّك أحد ، فلمّا رأى ذلك أَمن في نفسه وأقبل إلى الرَّكيِّ ، فوضع سلاحه ، ثم انحدر فيه ، فلم يَرُعْه إلاّ بهم على رأْسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج . فضرب بعضهم شِماله فسقطت ، فأخذها فرمى بها كبد الرجل . فخرّ عنده في القليب[3] ، فوطىء على رقبته فدقّها . وقال في قطع شِماله : [من الرجز]

---

1 خست بالميثاق : لم تف به .

2 الفرس الورد : الأحمر .

3 القليب : البئر .

لا تبعَــدي إمّا ذهبتِ شامهْ فــرُبَّ وادٍ نَفَــرتْ حَمامَــهْ
وربّ قِــرْنٍ فَصَلَتْ عظامَــهْ وربَّ حـــيٍّ فرَّقَــت سَوامَــهْ

قال : ثم خرج إليهم ، فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل ، قال : فجاء رجل منهم كان غائباً ، فمرّ به وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت عليه فمات منها ، فكان ذلك الرجلُ هو تمام المائة .

صوت

[من المتقارب]

أَلا طرقَتْ في الدّجــى زينبُ وأحببْ بزينـــبَ إذ تَطْــرُقُ
عجبتُ لزينـــبَ أَنَّى سَرَت وزينــبُ مـــن ظلّها تَفــرَقُ[1]

عروضه من المتقارب ، الشعر لابن رُهَيْمة ، والغناء لخليل المعلّم رمل بالبنصر ، عن الهشاميّ وأبي أيوبَ المدنيّ .

1 تفرق : تخاف .

[452] ـ أخبار الخليل ونسبه

[نسبه]

هو الخليلُ بنُ عمرو ، مكّيٌّ ، مولى بني عامرِ بنِ لؤيٍّ ، مُقِلٌّ لا تُعرَف له صنعة غيرُ هذا الصوت .

[يشتري لهو الحديث]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم ، بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال : حدّثني القَطرانيّ المغنّي ، عن محمد بنِ حسين ، قال : كان خَلِيل المعلّم يلقّب خليلانَ ، وكان يؤدّب الصِّبيان ويلقنهم القرآن والخطّ ، ويعلّم الجواري الغِناء في موضع واحد ، فحدّثني مَنْ حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردّد على صبيّ يقرأ بين يديه ﴿ومن النَّاس مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الحَدِيثِ ليُضِلَّ عن سَبِيل الله بغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] ثم يلتفت إلى صَبِيّة بين يديه فيردّد عليها : [من السريع]

اعتــادَ هــذا القلبَ بلبالُهُ أن قُرِّبــتْ للبَيْــنِ أجمالُهُ

فضحِكتُ ضحكاً مفرِطاً لِمَا فعلَه ، فالتفت إليّ فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : أتنكر ضَحِكي ممّا تَفعَل ؟ والله ما سَبَقك إلى هذا أحد ! ثم قلت : انظر أيَّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن ، وأيَّ شيء هوذا تُلقي على الصبيّة ، والله إنّي لأظنّك مِمَّن يشتري لهو الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله ، فقال : أرجو ألاّ أكون كذلك إن شاء الله .

[يسيىء الأزدي فهم غنائه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثنا محمد بن يزيد المبرِّدُ قال : حدَّثني عبد الصمد بن المعذّل قال : كان خُلَيلانُ المعلّم أحسَن الناس غناءً ، وأفتاهم وأفصحهم ، فدخل يوماً على عُقبةَ بن سَلْم الأزديِّ الهنائيّ فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب ، وحانت منه التفاتة ، فرأى عوداً معلّقاً ، فعلِم أنّه عَرَّضَ له به ، فدعا به وأخذه فغنّاهم : [من الخفيف]

يا ابنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ مُستَهام عندهـا ما يُنِيبُ[2]

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبةَ بن سلم متغيّراً ، وقد ظنّ أنّه عرّض به ، ففطن لمّا أراد

1 سورة لقمان ، الآية : 6 .

2 ينيب : يرجع .

فغنّى : [من مجزوء الوافر]

ألا هَزِئَت بِنا قُرَشِـ ـيَّـة يهتـزُّ موكِبُها

فسُرِّي عن عقبةَ وشرب ، فلمّا فرغ وضع العود من حجره ، وحلف بالطلاق ثلاثاً أنّه لا يغنّي بعد يومه ذلك إلاّ لِمَن يجوز حكمُه عليه .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

يـا ابنةَ الأَزْدِيِّ قلبي كئيبُ مستهـام عندهـا مـا يُنِيبُ
ولقـد لاموا فقلتُ : دعوني إنّ مَنْ تَنهوْنَ عنـه حَبِيبُ
إنّما أَبـلى عِظامي وجِسْمي حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيبُ
أيـُّها العائِـبُ عندي هَواها أنتَ تَفدي مَـن أَراك تَعِيبُ

عروضه من المديد ، والشعر لعبد الرحمٰن بن أَبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاقَ ، وفيه لمالكٍ خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عنه ، وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسُبْه إسحاقُ إلى أحد ، ووجدتُه في روايات لا أثِق بها منسوباً إلى حُنَين ، وقد ذكر يُونس أنّ فيه لَحنين ولمالكٍ كلاهما ، ولعلّ هذا أحدهما ، وذكر حَبَش أنّ خفيف الرمل لابن سُرَيج ، وذكر الهِشاميّ وعليّ بن يحيى أنّ لحن مالك الآخر ثاني ثقيل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لطويسٍ هزجاً مطلقاً في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لمالك فيه ثقيلاً أوّل وخفيفه ، ولمعبد خفيف ثقيل آخر : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا هزِئـت بنا قُرَشيَّةٌ م يهتـزُّ موكِبُهـا
رأَت بـي شَيْبَةً في الـرأ سِ منّـي مـا أُغَيِّبُهـا
فقالت لي : ابنُ قَيْسٍ ذا ؟ وبَعـضُ الشيـب يُعجبها
لهـا بعـلٌ خَبيثُ النَّفْس يحصُرُهـا ويحْجُبُهـا
يـراني هكـذا أمشي فيُوعِدُهـا ويَضْرِبُهـا

عروضه من الوافر ، الشعرُ لابن قَيْس الرقيات ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفيه ليونُس ثقيل أوّل عن إسحاق بن إبراهيم والهشاميّ .

صوت

[من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ
أم هل كئيبٌ بكى لم يقضِ عبرتَهُ ... إثْر الأَحِبَّة يـــوم البين مَشْكومُ[1]
يَحملن أُترُجَّةً ، نَضْخُ العبير بها ... كأنَّ تَطيابَها في الأَنف مَشْمومُ
كأَنَّ فَـــأْرةَ مسكٍ في مفارقها ... للباسط المُتعاطي وَهْـــو مزكومُ
كأَنَّ إبريقَهم ظبـيٌ على شرف ... مُفَـــدَّمٌ بسَبا الكتّـــانِ ملثُومُ[2]
قد أَشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ ... والقومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ[3]

الشعر لعلقمة بن عَبَدَةَ ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان أحدهما في الأَوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والآخرُ رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأَربعة الأبيات الأُوَل المتوالية لمالك خفيفَ ثقيل بالوسطى ، وفيها ثقيل أوّل نسبه الهِشاميّ إلى الغَريض ، وذكر حَبَش أنَّ لحن الغَرِيض ثاني ثقِيل بالبنصر ، وذكر حبش أنّ في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج .

---

1 كئيب في شرح ديوان علقمة 33 : كبير . مشكوم : من شكيمة الفرس .

2 مفدّم : مسدود . وسبا الكتان : خرقة .

3 صدح في شرح ديوان علقمة 45 : رَنِمٌ . الخرطوم : السريعة الإسكار .

[453] ـ أخبار علقمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو علقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بنِ ناشرةَ بن قيس بن عُبَيد بن ربيعةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار .

[الملك ينتقم من زيد مناة]

وكان زيدُ مناةَ بن تميم وَفَد هو وبكر بن وائل ، وكانا لِدَةَ عصر واحد ، على بعض الملوك ، وكان زيدُ مناة حسوداً شرهاً طعَّاناً ، وكان بكر بن وائل خبيثاً منكراً داهياً فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقلَّ معها حظُّه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملك بثياب سفرك ، ولكن تأهَّبْ للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ، ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك ، فسأله عن بكر ، فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدّي لهنّ ، وقد حدّث نفسه بالتعرّض لبنت الملك ، فغاظه ذلك ، وأمسك عنه ، ونَمى الخبرُ إلى بكر بن وائل ، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ، وصَدَقه عنه ، واعتذر إليه ممّا قاله فيه عذراً قبله ، فلمّا كان من غد اجتمعا عند الملك ، فقال الملك لزيد مناة : ما تحبّ أن أفعل بك ، فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلاّ فعلتَ بي مثْلَيْه ، وكان بكر أعورَ العين اليمنى ، قد أصابها ماء فذهب بها ، فكان لا يعلم مَن رآه أنّه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له : ما تحبّ أن أفعل بك يا بكر ، قال : تفقأُ عيني اليمنى ، وتُضعفُ لزيد مناة ، فأمر بعينه العوراء ففُقِئت ، وأمر بعينَيْ زيدِ مناة ففقئتا ، فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

[سبب تسميته]

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة .

ويقال لعلقمة بنِ عَبَدة عَلْقَمَةُ الفَحل ، سُمِّي بذلك لأنّه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنّه أشعَر منه في صفة فرسه ، فطلّقها ، فخالفه عليها ، وما زالت العرب تسمِّيه بذلك ، وقال الفرزدق : [من الكامل]

والفحلُ عَلقمةُ الذي كانت له ... حُلَلُ الملوك كلامُــه يُتَنَحَّلُ

---

1 انظر أخباره في شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ـ رواية الأعلم الشنتمري تحقيق حنّا نصر الحتي دار الكاتب العربي 7–14 ، والشعر والشعراء 1 : 218–222 ، والمفضليات : المفضلية 119 ، والأنباري 762–765 ، والموشح 28–30 وطبقات ابن سلاّم 30 ، 31 والخزانة 1 : 565–566 .

[قصيدتاه سمطا الدهر]

أخبرني عَمِّي قال : حَدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال : حدَّثني أبو السوّار ، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى ، عن حَمَّادٍ الراويةِ قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردّوه منها كان مردوداً ، فَقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبَدة ، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم ... أم حَبْلُها أنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سِمطُ الدّهر ، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم : [من الطويل]

طحا بك قلب في الحِسان طروبُ ... بُعَيْد الشَّباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

[يسرقون شعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك ، عن حمّاد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذو الرُّمّة قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقَّتـه الجراثيمُ[1]

من قول العجّاج : [من الرجز]

إذا تلقَّتْـه العقاقيـلُ طفـا[2]

وسرقه العجّاج من علقَمَة بن عَبَدة في قوله : [من البسيط]

يطفو إذا مـا تلقتـه العقاقِيل

[أيهما أوصف للفرس هو أو امرؤ القيس]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن لَقيط ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال : حدَّثني أبو عُبيدة قال : كانت تحت امرىء القيس امرأةٌ من طيىء تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمةُ الفَحْل بن عَبَدة التَّمِيميّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشد امرؤ القيس قوله : [من الطويل]

خليليَّ مُـرَّا بي على أُمّ جُنْدُب

حتى مرَّ بقوله :

---

1 الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر .

2 العقاقيل : جمع عقال ، وهو داء يصيب رِجل الدابة .

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ ... وللزجر منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ[1]

ويروى : أَهوجَ مِنعَبِ[2] .

فأَنشدها علقمة قوله : [من الطويل]

ذَهَبْتَ من الهِجرانِ في غير مَذْهَب

حتى انتهى إلى قوله :

فأَدركه حتى ثنى من عِنانه ... يمُـرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّب[3]

فقالت له : علقمةُ أَشعرُ منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنّك زجرت فرسَك ، وحرَّكته بساقك ، وضربتَه بسوطك . وأنّه جاء هذا الصيد ، ثم أدركته ثانياً من عِنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنّك هَويتِه ، فطلّقها ، فتزوّجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفَحْل .

[ربيعة بن حذار يحكم له]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن لقيط قال : تحاكم علقمةُ بن عبدة التميميّ والزبرقانُ بن بَدْر السعديّ ، والمُخَبَّل ، وعمرو بن الأهتم ، إلى ربيعة بن حُذار الأَسديّ ، فقال : أما أنت يا زبرقان فإنّ شعرك كلحم لا أُنضِج فيُؤْكَلَ ، ولا تُرِك نَيِّئاً فيُنتفعَ به ، وأمّا أنت يا عمرو فإنّ شعرك كبُرْد حبَرة يتلألأ في البصر ، فكلّما أعدّته فيه نقص ، وأمّا أَنت يا مُخبّل فإنّك قصّرت عن الجاهليّة ولم تدرك الإسلام ، وأمّا أنت يا علقمة فإنّ شعرك كمزادة[4] قد أُحكِم خَرْزُها فليس يَقْطر منها شيء .

[عمر يجلد من تمثل بشعره]

أَخبرني محمدُ بن الحسنِ بن دُريد قال : حدَّثني عمِّي ، عن العبّاس بن هشام ، عن أَبيه قال : مرَّ رجل من مُزينَة على باب رجل من الأنصار ، وكان يُتَّهم بامرأته ، فلمّا حاذى بابَه تنفَّس ثم تمثَّل : [من البسيط]

1 الألهوب : اجتهاد الفرس في العدو . الدرة : حث الفرس على العدو . الأخرج : ما خالط بياضه سواده . مهذب : مسرع .

2 مِنْعَب : الجواد يمدّ عنقه عند عدوه كالغراب .

3 في شرح ديوان علقمة 62 :

فأدركهن ثانياً من عنانه ... يمر كمرّ الرائح المتحلّب

4 المزادة : إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء .

هل ما علمتَ وما استُوْدِعْتَ مكتومُ   أَم حبلُها إذ نأَتك اليوم مصرومُ ؟

قال : فتعلَّق به الرجل : فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه ، فاستعداه عليه ، فقال له المُتمثِّل : وما عليّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تُنْشِده قبل أن تبلغ بابه ؟ ولكنّك عَرَّضت به مع ما تعلم من القالَة فيه ، ثم أمر به فضُرِب عِشْرين سَوْطاً .

صوت

[من الطويل]

فـوالله لا أَنسى قتِيـلاً رُزِيتُـه   بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرضِ[1]

بـلى إنّهـا تَعْفُو الكلُـومُ وإنّما   نُوكَّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمضي[2]

ولم أَدرِ مَـن أَلْقى عليـه رداءه   ولكنّـه قـد بُـزَّ عن ماجدٍ محضِ

الشعر لأَبي خراش الهذليّ ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكّيّ أنّه لابن مسجح وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ ، نحله ابن مسجح ، وفي أخبار معبد أن له فيه لحناً .

1 قَوسى : بلدة بالسراة وبها قتل عروة أخو أبي خراش .

2 تعفو الكلوم : تندمل .

[454] ـ ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره[1]

[نسبه]

أَبو خراش اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة ، أَحدُ بني قِرْد ، واسمُ قرد عمرو بن معاوية بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء ، مخضرم ، أَدرك الجاهلية والإسلامَ فأَسْلَم وعاش بعد النبيّ ﷺ مدّة ، ومات في خلافةِ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، نَهَشَتْه أُفعى فمات ، وكان مِمّن يَعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم .

أَخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي والحسن بن عليٍّ قالوا : حدَّثَنا عبدُ الله بن أَبي سعد قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عُمَيْر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حدَّثني أَبو بركة الأشجعيُّ من أنفُسهم قال : خرج أبو خِراش الهُذليّ من أرض هُذَيل يريد مكّة ، فقال لزوجته أمّ خِراش : ويحك إنّي أُريد مكّة لبعض الحاجة ، وإنّك من أَفَكّ[2] النساء ، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بتراتٍ فإيّاكِ وأَنْ تذكُريني لأَحد من أَهل مكّة حتى نصدر منها ! قالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكّة وأنا أعرف السبب .

[يتربصون به فيفلت منهم]

قال : فخرج بأُمّ خراش وكَمَن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتريَ عِطْراً أَو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ ، فجلستْ إلى عطّار فمرّ بها فتيانٌ من بني الدِّيل ، فقال أَحدُهما لصاحبه : أُمّ خِراش ورَبِّ الكعبة وإنّها لَمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه ، قال : فوقفا عليها فسلّما وأَحْفيا[3] المسألة والسلام ، فقالت : مَن أَنتما بأبي أنتما ؟ فقالا : رجلان من أهلِكِ من هذيل ، قالت : بأبي أَنتما . فإنّ أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشيَّة ، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلَدٌ وكان من أجود الرجال عَدْواً ، فكمنوا في عَقَبة على

1 انظر أخباره في الاشتقاق 11 والكامل للمبرد 528-530 ، 1186 وفي الشعر والشعراء 663-664 ، وفي الاستيعاب 659-661 وأسد الغابة 5 : 178-179 والإصابة 2 : 152 واللآلي 216-217 والخزانة 1 : 211-212 .

2 أفك النساء : أكذبهنّ .

3 أحفيا : أبديا الحفاوة .

طريقة ، فلمّا رآهم قد لاقوْه في عين الشمس قال لها : قَتَلْتني وربِّ الكعبة لِمَنْ ذكرتني ؟ فقالت : والله ما ذكرتك لأحد إلاّ لِفَتَيَيْنِ من هذيل ، فقال لها : والله ما هما من هذيل ولكنّهما من بني الدِّيل وقد جلسا لي وجمعا عليَّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جُزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لكِ لئلاّ أَسْتَوحِشَ فأفوتَهم ، فاركُضي بعيرَكِ ، وضعي عليه العَصا ، والنجاءَ النجاءَ .

قال : [فانطلقَت] وهي على قَعُودٍ عُقَيْلي يسابق الريح ، فلمّا دَنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمْراً على طريقه على كساء ، فوقف قليلاً كأنّه يُصلِحُ شيئاً ، وجازت بهم أُمّ خِراش فلم يَعرِضُوا لها لئلاّ ينفِرَ منهم ، ووضعت العصا إلى قعودها ، وتواثبوا إليه ووثب يعدُو .

قال : فزاحمه على المحجَّةِ[1] التي يَسْلُكُ فيها على العقبة ظَبْيٌ ، فسبقه أبو خراش ، وتصايح القومُ : يا مخلد أَخْذاً أَخْذاً .

قال : ففات الأخذ . فقالوا : ضرباً ضرباً ، فسبق الضرب ، فصاحوا : رَمْياً رَمْياً فسبق الرمي ، وسَبَقَت أُمُّ خراش إلى الحيِّ فنادت : أَلا إنَّ أَبا خراش قد قُتِل ، فقام أهلُ الحيِّ إليها ، وقام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصَّتُه ، فقالت : إنّ بني الدِّيْل عرضوا له الساعة في العقبة ، قال : فما رأيتِ ، أو ما سمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون : يا مخلد أخذاً أخذاً ، قال : ثم سمعْتِ ماذا ؟ قالت : ثم سمعتُهم يقولون : ضرباً ضرباً ، قال : ثم سمعت ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون : رمياً رمياً ، قال : فإن كنتِ سمعتِ رمياً رمياً فقد أفلت ، وهو منّا قريب ، ثم صاح : يا أبا خراش ، فقال أبو خراش : يا لبَّيْكَ ، وإذا هو قد وافاهم على أثرها . وقال أبو خراش في ذلك : [من الطويل]

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ ... فقلت وأنكرتُ الوجوهَ همُ همُ[2]

رَفَوْني بالفاء : سكّنوني وقالوا : لا بأس عليك .

فغارَرْتُ شيئاً والدّريسُ كأنّما ... يزعزعُه وعْكٌ من المُومِ مُرْدِمُ[3]

غاررت : تلبثت . والدّريس : الخَلَق من الثياب ، ومثلُه الجرْدُ والسَّحق والحَشيف . ومُرْدِم : لازم .

---

1 المحجّة : الطريق .

2 لم تُرَعْ في ديوان الهذليين 144/2 : لا تُرَعْ .

3 فغاررْت في ديوان الهذليين : 144/2 : فعدّيت . الوعك : أذى الحمى ، وعكٌ في ديوان الهذليين 144/2 : ورْدٌ . والموم : الحمى الشديدة .

تذكّـرتُ مـــا أينَ المفـرُّ وإنّني بحبلِ الذي يُنْجي من الموتِ مُعْصِمُ[1]

فواللهِ مـــا ربْداءُ أو عِلْجُ عانَةٍ أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ[2]

بأسرعَ منّي إذ عرفـت عَدِيَّهُم كأنّي لأولاهُمْ من القُرْبِ تَوْأَمُ[3]

وأجودَ مِنّي حينَ وافَيْتُ ساعِياً وأخطـأني خلْـف الثَّنِيَّةِ أسهُمُ[4]

أُوائِــلُ بالشَّدِّ الذَّلِيــقِ وحَثَّني لدى المتن مشبوح الذراعين خَلْجَمُ[5]

تَذَكَّرَ ذَحْـلاً عندنا وهْو فاتكٌ من القومِ يَعرُوه اجتراءٌ ومَأثمُ

تقول ابنتي لَمّـــا رأتني عشيَّةً : سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلمُ

فقلتُ وقد جاوزت صارَى عشيَّةً : أجاوزتُ أُولى القوم أم أنا أحلمُ[6]

فلـولا دِراكُ الشدّ آضتْ حليلَتي تخيَّر في خُطَّابِهـا وَهْـــيَ أيِّمُ[7]

فتسخَطُ أو ترضى مكاني خليفةً وكادَ خِـراشٌ عنـد ذلك يَيْتَمُ[8]

[يسبق الخيل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا : حدَّثنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : حدَّثني رجل من هذيل قال : دخل أبو خراش الهُذَلِيُّ مكّةَ وللوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسانِ يريد أن يُرسِلَهُما ، في الحلْبة ، فقال للوليد : ما تجعلُ لي إنْ سبقتُهما ؟ قال : إن فعلت ، فهما لك ، فأُرسِلا ، وعَدا بينهما فسبقهما فأخذهما .

قال الأصمعيّ : إذا فاتك الهُذليُّ أن يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه .

وأخبرني بما أذكُره من مجموع أخبار أبي خراش عليُّ بن سُلَيْمان الأخفش ، عن أبي سعيد

1 تذكرت في ديوان الهذليين 144/2 : تذكرَ ما . بحبل : في ديوان الهذليين 144/2 : بِغُرْزِ . مُعْصِم : مستمسك .

2 العلج : حمار الوحش . أقب : دقيق الخصر ضامر البطن ؛ رَمْلٍ في ديوان الهذليين 145/2 : رَبْلٍ وهو ضرب من الشجر . مصمم : جاد في سيره .

3 لأولاهم : لأولى سراياهم .

4 في ديوان الهذليين 147/2 : يوم كَفَتُّ عادياً .

5 واءل : طلب النجاة . الشد الذليق : الجري السريع . مشبوح الذراعين : عظيمها . الخلجم : الجسم العظيم .

6 صارى : جبل جنوبي المدينة .

7 آضت في ديوان الهذليين 148/2 : قاظتْ ، أي أتتْ عليها قيظة أي صَيْفة .

8 فتسخط وعند في ديوان الهذليين 148/2 : على التوالي : فتقعد ، يوم .

السكريّ ، وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكره أبو سعيد ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وعن ابن حبيبَ عن أبي عمرو .

[يمدح دبية حياً ويرثيه ميتاً]

وأخبرني ببعْضه محمدُ بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، وقد ذكرتُ ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كلّ واحد منهم عن أصحابه في مواضعه ، قال السكريّ : فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال : نزل أبو خِراش الهذليّ على دُبَيَّةَ السُّلميّ ، وكان صاحبَ العُزَّى التي في غطفان وكان يَسْدُنها ، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لّما بعثه رسول الله ﷺ إليها فهدَمَها وكسرها وقتل دُبَيَّةَ السُّلميِّ ، قال : فلمّا نزل عليه أبو خراش أحسَنَ ضيافَتَه . ورأى في رجله نَعْلين قد أخلقتا ، فأعطاه نعلين من حذاء السِّبْت[1] فقال أبو خراش يمدحه : [من الوافر]

حذانيَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّةُ إنَّه نِعمَ الخليلُ[2]

مُقابَلَتين من صَلَوي مُشِبٍّ ... من الثيرانِ وصلُهما جميلُ[3]

بمِثِلِهما يروح المرءُ لَهواً ... ويقْضي الهمَّ ذو الأَربِ الرَّجيلُ[4]

فنعم مُعرَّسُ الأضياف تُذْحي ... رحالَهُم شآميَّةٌ بَلِيلُ[5]

يُقاتِل جوعَهم بمكلَّلاتٍ ... من الفُرْنيِّ يَرْعَبُها الجميلُ[6]

قال أبو عمرو : الجَميلُ : الإهالة ، ولا يقال لها جميل حتى تُذاب إهالَةً كانت أو شَحْماً . وقال أبو عمرو : ولّما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم عُزَّى غطفان ، وكانت ببطن نَخْلَة ، نَصَبَها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرّة وقتل دُبَيَّة فقال أبو خراش الهذليّ يرثيه : [من البسيط]

---

1 السِّبْت : الجلد المدبوغ .

2 خَذِم الحذاء : انقطع .

3 مقابلتين في ديوان الهذليين 140/2 : بموركتين ، أي من الورك . الصَّلوان : ما فوق الذنب من الوركين ، وهو تثنية صلا ، والصّلا : الظّهر . من الثيران وصلهما جميل : في ديوان الهذليين 140/2 : بصرّافين عقدهما جميل أي بشراكين يصرفان ، أي يصوّتان .

4 ورد البيت في ديوان الهذليين 140/2 :

بمثلهما نروح نريد لهواً ... ويقضي حاجة الرّجل الرّجيل

والرجيل : القوي على المشي .

5 الشآمية البليل : الريح التي تهبّ من جهة الشام رطبة ليّنة . تُذحي : تسوق وتطرد وفي الديوان تَذْحى .

6 مكلّلات : مملوءات ، الفرنيّ : نوع من الخبز . يرعبها : يملؤها . الجميل : الإهالة ، وهي الشَّحم .

مـا لِدُبَيَّـةَ منـذُ اليـوم لم أَرَهُ وسْطَ الشُّرُوبِ ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ[1]

لـو كان حيّـاً لغاداهـم بمُترعَةٍ فيها الرّواوِيق من شِيزى بني الهَطِفِ[2]

بنو الهَطِفِ : قوم من بني أَسد يَعْملون الجِفان .

كابـي الرمـاد عظيـمُ القِدْرِ جَفْنَتُه حين الشتاء كحَوْضِ المُنْهَلِ اللَّقِفِ[3]

المنهلُ : الذي إبله عطاش . واللقِفُ : الذي يضربُ الماءُ أَسفلَه فيتساقط وهو ملآن .

أَمسى سَقامٌ خَـلاءً لا أَنيسَ به إلاّ السّباعُ ومَـرُّ الريح بالغَرَفِ[4]

[يرثي زهير بن العجوة]

وقال الأَصمعيّ وأَبو عمرو في روايتهما جميعاً : أُخِذ أَصحابُ رسول الله ﷺ في يوم حُنَين أُسارى ، وكان فيهم زهيرٌ بن العَجْوَةِ أخو بني عمرو بن الحارث ، فمرَّ به جميلُ بنُ مَعْمَرِ بن حبيبِ بنِ وهبِ بن حُذافةَ بن جُمَحَ ، وهو مربوطٌ في الأسرى ، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهليّة ، فضرب عُنقَه ، فقال أبو خراش يرثيه : [من الطويل]

فَجَّع أَصحابي جميلُ بـن معْمَر بذي فَجَـرٍ تأوي إليه الأَرامِلُ[5]،

طويلُ نِجادِ السيف ليس بجَيْدَرٍ إذا قام واستَنَّت عليـه الحمائِلُ[6]،

إلى بَيْتِهِ يـأْوِي الغريبُ إذا شتا ومُهتَلِكٌ بـالي الدّريسَيْن عائِلُ[7]،

تروَّحَ مقروراً وراحـت عشيّة لهـا حَـدَبٌ تحتُّـه فيُوائِلُ[8]،

تكـاد يـداه تُسْلِمـان رداءَه من القُرِّ لمّـا استقبلتْه الشمائلُ[9]،

---

1 الشُّروب : القوم الذين يشربون . ودبيّة : كان سادناً لبعض الأصنام فضرب خالد بن الوليد عنقه .

2 الرواويق : جمع الراووق وهو الخمر وإناؤها ، وقيل المصافي . والشيزى : الجفنة . بنو الهطف : بنو أسد بن خزيمة ، كانوا حلفاء لبني كنانة ، وكانوا يعملون الجفان .

3 كابي الرماد : عظيم الرماد .

4 سَقام : وادٍ بالحجاز ، والغَرف : الشجر .

5 أصحابي في ديوان الهذليين 148/2 : أضيافي .

6 في ديوان الهذليين 149/2 :

طويـل نجـاد البزّ ليس بجيـدرٍ إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائلُ

البزّ : السيف ، والجيدر : القصير . والحيدر : الغليظ السمين ، واستنت : اهتزّت .

7 المهتلك : لا همّ له إلاّ أن يتضيّفه الناس . والدريسان : مثنّى دريس ، وهو الثوب الخلق .

8 الحدب : شدّة البرد . تحتّه : تسرع به ، يوائل : يطلب النجاة .

9 القر في ديوان الهذليين 149/2 : الجود .

فما بالُ أَهلِ الدّار لم يتصدَّعوا　　وقد خفَّ منها اللّوذعيُّ الحُلاحلُ[1]

فأُقسِمُ لـــو لاقيتَـــه غيرَ موثَقٍ　　لآبك بالجِزْع الضّباعُ النّواهِلُ[2]

لظلّ جميـــلٌ أَسوأ القـــوم تَلَّةً　　ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغلُ[3]

فليس كعهدِ الدّار يـــا أُمَّ مالكٍ　　ولكنْ أَحاطت بالرِّقاب السلاسلُ

وعاد الفتى كالكهـل ليس بقائلٍ　　سوى الحقِّ شيئاً فاستراح العواذلُ

ولم أَنْسَ أَيّامـــاً لنـــا ولياليـــاً　　بِحَلْيَةَ إذ نلقـــى بهـــا ما نحاولُ[4]

وقال أَيضاً يرثيه : [من الطويل]

أَفي كلِّ مَمْسى ليلـــةٍ أَنا قائل　　من الدَّهـــرِ لا يبعَدْ قتيلُ جميلِ

فما كنتُ أَخشى أَن تصيبَ دماءَنا　　قريشٌ ولمـــــا يقتلـــوا بقتيلِ

فأَبـــرحُ مـــا أُمِّرْتُمُ وعَمَرْتُمُ　　مدى الدّهـــرِ حتى تُقْتَلُوا بِغَلِيلِ[5]

[يستنقذ أسرى بني ليث]

وقال أَبو عمرو في خبره خاصة : أَقبل أَبو خراش وأَخوه عروة وصهيب القِرْديّ في بضعةَ عشر رجلاً من بني قِرْد يطلبون الصيد فبينا هم بالمجمعةِ من نخلة لم يَرُعْهم إلاّ قومٌ قريبٌ من عدّتهم فظنّهم القِرْدِيُّون قوماً من بني ذُؤَيبة أحدِ بني سعدِ بن بكرِ بن هوازنَ أَو من بني حبيب أحدِ بني نصرٍ ، فعدا الهذليُّون إليهم يطلبونَهم وطَمِعُوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعاً ، وإذا هم قومٌ من بني لَيْثِ بنِ بكرٍ ، فيهم ابنا شَعوب أسرهما صُهَيْبٌ القِرديّ ، فهمَّ بقتلهما ، وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعاً من أصحابه وأَطلقَهم ، فقال أبو خراش في ذلك يمُنُّ على ابنَي شَعُوبَ أحد بني شِجْعٍ بنِ عامر بنِ ليث فعلَه بهما : [من الوافر]

عدونـــا عـــدوةً لا شكَّ فيها　　وخِلناهـــمْ ذُؤَيبـــةَ أَو حَبيبا[6]

---

1 يتصدّعوا في ديوان الهذليين 149/2 : يتحمّلوا . اللوذعي : الخفيف الذكيّ ، أو الحديد الفؤاد والنفس ، أو اللسن الفصيح . الحلاحل : السيد في قومه ، أو الكريم الجواد .

2 الجزع : منعطف الوادي .

3 تلّة : صرعة .

4 حلية : مكان .

5 وعمَرتم في ديوان الهذليين 157/2 : وملكتم .

6 ذؤيبة وحبيب : قبيلتان .

فنُغــرِي الثائريــن بهم وقلنا شفاءُ النفس أنْ بَعَثوا الحروبا
مَنَعْنا مــن عديٍّ بني حُنَيفٍ صِحابَ مضرّسٍ وابني شَعوبا[1]
فأثْنُوا يـــا بنــي شِجْعٍ علَيْنا وحقٌّ ابني شَعُوب أنْ يُثِيبا
وسائلْ سَبرةَ الشِّجعِــيَّ عنّا غــداة نخالهم نَجْــواً جَنيبا[2]
بــأنَّ السابقَ القِرْديَّ ألقــى عليـــه الثوبَ إذ ولّى دبيبا
ولــولا ذاكَ أرهقَــه صُهيبٌ حسامَ الحَدِّ مطروراً خشيبا[3]

[يزهد زهد الهنود]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ : قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : أقفر أبو خراش الهذليّ من الزّادِ أيّاماً ، ثم مرَّ بامرأةٍ من هذيل جزلةٍ شريفةٍ ، فأمرت له بشاة فَذُبِحَت وشُوِيَتْ ، فلمّا وَجَدَ بطنه ريحَ الطّعام قرقر[4] ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنّكَ لتقرقر لرائحة الطعام ، والله لا طعِمْتَ منه شيئاً ثم قال : يا ربّة البيت ، هل عندك شيء من صَبِرٍ أو مُرٍّ ؟ قالـت : تصنع بـه مـاذا ؟ قـال : أريدُه ، فأتَتْه منـه بشيء فاقتمحَه ، ثـم أهوى إلى بعيرِه فركِبَه ، فناشدتْه المرأةُ فأبَى ، فقالتْ له : يا هذا ، هل رأيتَ بأساً أو أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ، ثم مضى وأنشأ يقول : [من الطويل]

وإنّي لاثْوِي الجوعَ حتى يملَّني فأحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جِرمي[5]
وأَصْطَبح المــاءَ القَراحَ فأكتفي إذا الزادُ أُضحى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ[6]
أردُّ شجاعَ البطــن قــد تَعلمِينه وأُوثر غيري من عِيالكِ بالطُّعْمِ[7]

---

1 عدي بني حنيف : جماعة العادين منهم . ومضرس : اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم . وشعوب : اسم رجل .

2 نخالهم في ديوان الهذليين 134/2 : تخالنا . النجو : ما أُهمل من قطع الخشب ، أو ما خرج من البطن . والجنيب : المبعد .

3 ذاك في ديوان الهذليين 135/2 نحن . مطروراً : مسنوناً . خشيباً : مسلولاً .

4 قرقر بطنه : صوّت من الجوع

5 لأثوي الجوع : أطيل حبسه عندي حتى يملّني . الجرم : الجسد .

6 صدر البيت في ديوان الهذليين 127/2 :

وأغتبق الماءَ القراح فأنتهي

المزلّج : الرجل الذي لا قدرة له على احتمال المكروه .

7 الشجاع : الثعبان .

مخافةَ أَن أَحيــا برَغــمٍ وذلَّةٍ فلَلْمَوْتُ خيرٌ مــن حياةٍ على رَغْمِ

[يفتدي أخاه عروة فيلطمه]

وأخبرني عمّي عن هارون بن محمد الزيّات ، عن أحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ بنحو مما رواه الأصمعيُّ ، وقال أبو عمرو : أسرتْ فَهْمٌ عروة بن مرّة أخا أبي خراش ، وقال غيره : بل بنو كنانة أسرتْه ، فلمّا دخلتْ الأشهرُ الحرمُ ، مضى أبو خِراش إليهم ومعه ابنُهُ خراش ، فنَزل بسيّد من ساداتهم ولم يعرِّفْهُ نَفْسَه ولكنّه استضافه فأنْزله وأحسن قِراه ، فلمّا تحرَّم به انتسب له ، وأخبره خبرَ أخيه ، وسأله معاونتَه حتى يشتريَهُ منهم ، فوعده بذلك ، وغدا على القوم مع ذلك الرجل ، فسألهُمْ في الأسير أن يهبُوه له ، فما فعلوا ، فقال لهم : فبيعُونِيهِ ، فقالوا : أما هذا فنعم ، فلم يزل يساومُهُم حتى رضُوا بما بذله لهم ، فدفع أبو خراش إليهم ابنَه خِراشاً رهينَةً ، وأطلق أخاه عُروةَ ومضيا ، حتى أخذ أبو خراش فِكاكَ أخيه ، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إيّاه وأخذ ابنه . فبينما أبو خراش ذات يوم في بيتِه إذ جاءَه عبدٌ له فقال : إنّ أخاك عروةَ جاءَني وأخذ شاة من غنمِك ، فذبحها ، ولطمني لمّا منعتُه منها ، فقال له : دعْه ، فلمّا كان بعد أيّام عاد ، فقال له : قد أخذ أخرى : فذبحها ، فقال : دعه ؛ فلمّا أمسى قال له : إنّ أخاك اجتمع مع شَرْب من قومه ، فلمّا انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلِك ، لينحرَها لهم فعاجِلْه ، فوثب أبو خراش إليه ، فوجده قد أخذ الناقة ، لينحرَها ، فطردها أبو خِراش ، فوثب أخوه عروةُ إليه فلَطم وجهه ، وأخذ الناقةَ ، فعقَرها ، وانصرف أبو خِراش ، فلمّا كان من غدٍ لامه قومُه ، وقالوا لـه : بئست لعمـرُ الله المكافأة ، كانت منك لأخيك ؛ رهَنَ ابنَه فيك ، وفداك بماله . ففعلتَ به ما فعلتَ ، فجاء عروة يَعْتذر إليه ، فقال أبو خِراش : [من الوافر]

لَعلَّكَ نافعــي يـــا عُروَ يوماً إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبورِ
أَخذتَ خُفارَتي ولطمتَ عَيْني وكيف تُثِيبُ بالمـنِّ الكبيرِ[1]
ويومٍ قد صبرْتُ عليكَ نفسي لدى الأَشْهاد مُرْتَديَ الحرورِ[2]
إذا مـا كان كَسُّ القوم رَوْقاً وجالت مقلتا الرجل البصيرِ[3]
بمـا يممتُه وتركْــتُ بِكْري وما أُطْعِمتَ من لحم الجَزُورِ[4]

قال معنى قوله بِكري أي بِكرُ ولدي أي أوَّلُهم .

---

1 خُفارتي : المال الذي أحرسه .

2 الأشهاد : جمع شهد ، وشهد جمع شاهد . ومرتدي الحرور : لابساً الحرّ .

3 الكس : الدق الشديد . روقاً : زائداً .

4 بما يممته : بما قصدته من إحساني إليك .

[خبر أخويه الأسود وأبي جندب]

وقال الأصمعيُّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابنُ الأعرابيّ : كان بنو مرّة عَشَرة ، أبو خراش ، وأبو جُندَب ، وعروة ، والأبحّ ، والأسوَد ، وأبو الأسود ، وعمرو ، وزهير ، وجنّاد ، وسفيان ، وكانوا جميعاً شعراءَ دهاة سِراعاً لا يُدْرَكُونَ عَدْواً ، فأمّا الأسود بن مرّة فإنّه كان على ماءٍ من داءَة[1] وهو غلام شابّ ، فوردت عليه إبلُ رِئاب بن ناضِرَة بن المؤمَّل من بني لَحيان ، ورئابٌ شيخ كبير ، فرمى الأسودُ ضَرْعَ ناقة من الإبل فعقرها ، فغَضِب رئابٌ ، فضربه بالسيف ، فقتله ، وكان أشدَّهم أبو جندب ، فعرف خبر أخيه ، فغضب غضباً شديداً ، وأسف ، فاجتمعت رجالُ هذيل إليه يكلّمونه وقالوا : خذ عَقْل[2] أخيك ، واستبقِ ابنَ عمّك ، فلم يزالوا به حتى قال : نعم ، اجْمَعُوا العقل ، فجاءُوه به في مرَّة واحدة ، فلمّا أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا لَهُ ، أرِحنا : اقبضْه منّا ، فقال : إنّي أريد أن أعتمِر فاحبسُوه حتى أرجع ، فإن هلِكت فَلأمٍّ[3] ما أنتم ، هذه لغة هذيل يقولون : إمّ بالكسر ، ولا يستعملون الضمّ ، وإن عشتُ فسوف ترون أمْري ، وولّى ذاهباً نحو الحَرَم ، فدَعا عليه رجال من هذيل ، وقالوا : اللهمّ لا تَرُدَّه ، فخرج فقدم مكّة فواعَدَ كلَّ خَلِيع وفاتِك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيبَ بهم قومه ، فخرج صادراً ، حتى أخذتْهُ الذُّبحة في جانبِ الحرم ، فمات قبل أن يرجع ، فكان ذلك خبره .

[خبر أخيه زهير]

قالوا : وأمّا زهيرٌ بن مرّة فخرج معتمراً قد جعل على جسده من لحاء الحَرَم حتى ورد ذاتَ الأُقَيْر[4] من نعمان ، فبينا هو يسقي إبلاً له إذ ورد عليه قوم من ثُمالة ، فقتلوه ، فله يقول أبو خراش ، وقد انبعث يغزو ثُمالَة ويُغِير عليهم ، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارَيْنِ ، أي حِلَّتين من ثُمالة : [من الطويل]

خذوا ذلكم بالصُّلْحِ إنّي رأيتُكُم قتلتم زُهيراً وهو مهْدٍ ومُهْمِلُ

مهدٍ أي أهدى هدياً للكعبة . ومهمَل : قد أهمَلَ إبلَه في مراعيها .

قتلتم فتى لا يفجُرُ اللهَ عامداً ولا يجتويه جارُه عامَ يُمْحِلُ[5]

---

1 داءَة : موضع لهذيل .

2 العقل : الدية .

3 فلأمٍّ ما أنتم : أنتم تنتمون إلى أصل عظيم .

4 ذات الأقير : جبل بنعمان .

5 لا يفجر الله : لا يفجر بالله .

ولهم يقول أبو خِراش : [من الرجز]

إنّــي امــرؤٌ أسْأَلُ كيما أَعلَما مَنْ شَرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِما ؟

وجدتُهــم ثُمالــةَ بنَ أُسلما

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول : [من الرجز]

إليــكِ أُمَّ ذِبَّــان مـا ذاكِ من حلْبِ الضّأنْ

لكــن مِصــاع الفِتيـانْ بكــلّ لِيْــنٍ حَــرَّانْ

[خبر أخيه عروة وابنه خراش]

قال : وأمّا عروةُ بنُ مرّة وخراشُ بن أَبي خراشٍ فأُخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال ، وكانوا متجاورين ، فخرج عروة بن مرّة وابن أبي خراش أخيه مغيرَيْنِ عليهم طمعاً في أن يظفروا من أموالهم بشيءٍ ، فظفِرَ بهما الثماليون ، فأمّا بنو رِزام فنهوْا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلاّ قتلَهما ، حتى كاد يكون بينهم شرّ ، فألقى رجل من القوم ثوبَه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عروة ، ثم قال له : انجُ ، وانحرَفَ القومُ بعد قتلهم عروة إلى الرجل ، وكانوا أسلموه إليه ، فقالوا : أيْنَ خِراش ؟ فقال : أفلتَ منّي فذهب ، فسعى القوم في أثره ، فأعجزهم ، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عُروةَ ، ويذكر خَلاصَ ابنه : [من الطويل]

حمدتُ إلَهي بعـد عُـروةَ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بعضِ

فــواللهِ لا أنسى قتيــلاً رُزِيتــه بجانب قَوْسَي ما حييتُ على الأرضِ[1]

بــلى إنّهــا تَعفــو الكلـومُ وإنّما نُوكَّلُ بالأدْنى وإن جلَّ مـا يَمضي

ولم أدرِ مَــن أَلْقــى عليــه رداءَهُ سوى أنّه قـد سُلَّ عن ماجِد محضِ[2]

ولم يَــكُ مثلــوجَ الفـؤاد مهبَّلاً أضاع الشبابَ في الرَّبِيلَةِ والخفضِ[3]

ولكنّــهُ قــد نازعتــه مَجاوِع عـلى أنّه ذو مـرّة صادق النهضِ[4]

قال : ثم إنّ أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيّاً من هذيل يقال لهم بنو زُلَيْفَة بن صَبيح ليغزوا ثُمالَة بهم طالبَين بثأر أخيهما ، فلمّا دَنوَا من ثمالة أصاب عروةَ وِرْدُ حُمَّى ، وكانت به

---

1 حييت في ديوان الهذليين 158/2 : ما مشيت .

2 أنه في ديوان الهذليين 158/2 : ولكنّه .

3 مهبلاً في ديوان الهذليين 158/2 مهبّجاً والمهبَّج : المثقل . والمهبّل من القول : هبَلتك أُمّك أي ثكلتك . ومثلوج الفؤاد : ضعيف الفؤاد . الربيلة والخفض : معناهما واحد أي الدعة ؛ والربيلة ، كثرة اللحم وتمامه .

4 مجاوع في ديوان الهذليين 158/2 مخامص .

حُمَّى[1] الرِّبْع فجعل عروة يقول : [من الرجز]

أَصبحتُ مـوروداً فقرّبـوني ... إلى سواد الحـيِّ يَدْفِنـوني

إنَّ زهيـراً وسطَهـم يَدعـوني ... رَبَّ المخـاض واللِّقاحِ الجُونِ

فلبِثوا إلى أن سكنتْ الحمّى ، ثم بَيَّتوا ثُمالةَ ، فوجدوهم خُلُوفاً ليس فيهم رجال ، فقتلوا مَن وجدوا من الرجال ، وساقوا النساء والذراريَّ والأموال ، وجاء الصائح إلى ثُمالةَ عشاء ، فلحقوهم ، وانهزم أبو خراش وأصحابُه ، وانقطعت بنو زُليفة ، فنظر الأَكنَعُ الثُّماليّ ، وكان مقطوعَ الأصبع ، إلى عروة فقال : يا قوم ، ذلك والله عروة ، وأنا والله رام بنفسي عليه ، حتى يموت أحدنا ، وخرج يمعج[2] نحو عروةَ ، فصاح عروة بأبي خراش أخيه : أي أبا خراش ، هذا والله الأَكنعُ وهو قاتِلي ، فقال أبو خراش : أُمضِه[3] ، وقعد له على طريقه ، ومرّ به الأَكنع مصمّماً على عروة ، وهو لا يَعْلَم بموضع أبي خراش ، فوثب عليه أبو خراش ، فضربه على حبْل عاتقه حتى بلغت الضَّرْبة سَحَرَه[4] ، وانهزمت ثُمالةُ ، ونجا أبو خراش وعروة . وقال أبو خراش يرثي أخاه ومَن قتلته ثمالةُ وكنانةُ من أهله ، وكان الأصمعيّ يفضّلها : [من الطويل]

فَقَدْتُ بنـي لُبْنى فلمّـا فقدتُهم ... صبَرتُ فلم أَقطعْ عليهم أَباجلي[5]

الأَبجَل : عرق في الرّجل .

رماحٌ مـن الخطّيِّ زُرْقٌ نِصالُها ... جِـدادٌ أَعاليهـا شِدادُ الأَسافلِ

فلَهفي على عمرٍو بن مُـرَّة لهفةً ... ولهْفي على مَيْـتٍ بقَوسى المعاقلِ

حِسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجُزاتُهُم ... كريمٌ نَثاهم غيرُ لُـفٍّ مَعازِلِ[6]

قتلـتَ قتيـلاً لا يُحالِفُ غَدْرَةً ... ولا سُبَّةً لا زِلـتَ أَسفلَ سافلِ

وقـد أَمِنُوني واطمأنَّت نفوسُهم ... ولم يعلموا كلَّ الذي هـو داخلي

---

1 حمّى الربع : التي تُصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع .

2 يمعج : يسرع .

3 أمضه : اجعله يمضي خلفك .

4 السّحر : ما اتصل بالحلقوم من رئة وغيرها .

5 بني لُبنى : إخوته لأنّ اسم أمهم جميعاً لبنى ما عدا سفيان .

6 حُجزات : جمع حُجزة وهي موضع التكة من السراويل . والنثا : الحديث . لف : جمع ألف ، وهو الثقيل البطيء ، أو ألفه العييّ ، المعازل ، المجردون من السلاح .

فمَن كان يرجو الصلْحَ مِنّي فإنّه ... كأحمرِ عادٍ أو كُلَيْبِ بنِ وائلِ
أُصيبتْ هُذيلٌ يا ابن لُبْنى وجُدِّعت ... أنوفُهُمُ باللَّوْذعيِّ الحُلاحِلِ
رأيتُ بني العَلاَّتِ لَمّا تضافروا ... يَحوزون سَهْمي دونَهمْ بالشَّمائلِ

[أخبار إخوته]

قالوا : وأمّا أبو الأسود فقتلته فَهْمٌ بَياتاً تحت الليل ، وأمّا الأبَحُّ فكان شاعراً ، فأمسى بدار بَعْرعَرَ من ضِيمٍ ، فذكر لسارية بن زنيمٍ العبديّ أحدِ بني عبد بن عَديٍّ بن الدِّيل ، فخرج بقوم من عشيرته يريده ومَن معه ، فوجدوهم قد ظعنوا . وكان بينَ بني عبدِ بن عديّ بن الدِّيل وبينهم حرب ، فقال الأبَحُّ في ذلك : [من الوافر]

لعمرُكَ ساريَ بْنَ أبي زُنَيْمٍ ... لأَنْتَ بعَرْعَرَ الثأرُ المنيمُ[1]
تركتَ بني معاوية بنِ صخرٍ ... وأنت بمربَعٍ وهُمُ بضِيمِ
تُساقيهمْ على رَصَفٍ وظُرٍّ ... كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ[2]

رَصَفٌ وظُرٌّ : ماءان ، ومربع وضِيم ، موضعان .

فلم نتركهُمُ قصداً ولكنْ ... فرِقْتَ من المصالِتِ كالنّجومِ
رأيتَهمُ فوارسَ غيرَ عُزْلٍ ... إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالكُلومِ

فأجابه سارية ، فقال : [من الوافر]

لعلّك يا أبَحُّ حسِبْتَ أنّي ... قتلتُ الأسودَ الحسَن الكريما
أخذتُمْ عقلَه وتركتُموه ... يسوق الظُّمْيَ وَسْطَ بني تميما[3]

عيَّرهم بأخذ دية الأسود بن مرّة أخيهم ، وأنّهم لم يدركوا بثأره ، وبنو تميم من هذيل .

قالوا : وأمّا جُنادة وسفيان فماتا ، وقتل عمرو ، ولم يُسَمَّ قاتِلُه . قالوا : وأمّهم جميعاً لُبْنى إلاّ سُفيان بن مرّة ، فإنّ أمّه أمّ عمرو القِرْدِيَّة ، وكان أيْسَرَ القوم وأكثرَهم مالاً .

وقال أبو عمرو : وغزا أبو خراش فهماً ، فأصاب منهم عجوزاً ، وأتى بها منزل قومه ،

---

1 ساري : ترخيم سارية . عرعر : مكان . الثأر المنيم : الثأر الذي أدركه أهله استراحوا وناموا . في هذا البيت والثالث إقواء .

2 المساقاة : المسالمة والمصافاة . وحلم : أصابته الحلمة وهي دودة تأكل الجلد ، فإذا دبغ وهي موضع الأكل . وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 150/2 وجمهرة الأمثال للعسكري 35/2 ، 158 ، والمستقصى للزمخشري 216 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 343 .

3 عقله : ديته . الظُّمي : جمع ظمياء ، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين .

فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيَك ، وانطلق لحاجته ، فأدخلتْهُ بيتاً صغيراً ، وأغلقت عليه ، وانطلقت ، فجاء أبو خراش ، وقد ذهبت ، فقال : [من الطويل]

سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثُمَّ يَمَّمتَ بني فالج بالليث أَهلَ الخزائمِ

الدولج : بيت صغير يكون للبُهْم ، والليث : ماء لهم ، والخزائم البقر واحدتها خَزُومَة .

وقالت له : دَنِّخْ مكانَكَ إنّني سأَلقاكَ إن وافيتَ أَهلَ المواسمِ

يقال : دَنَّخَ الرجلُ ودَمَّخَ إذا أَكبَّ على وجهه ويديه .

وقال أَبو عمرو : دخلت أُميمةُ امرأةُ عروَة بن مرّة على أَبي خِراش وهو يلاعب ابنه فقالت له : يا أَبا خراش تناسَيْتَ عُروةَ ، وتركت الطلبَ بثأرِه ، ولهوتَ مع ابنك ، أَما والله لو كنتَ المقتول ما غَفل عنك ، ولطلب قاتلكَ حتى يقتلَه ، فبكى أَبو خِراش ، وأَنشأ يقول : [من الطويل]

لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتي وإنّ ثَوائـي عندهـا لقليـلُ
وقالـت : أُراه بعد عُـرْوة لاهِياً وذلك رُزْءٌ لـو علمْـت جليلُ
فـلا تحسبي أَنّي تناسيْتُ فقْدَهُ ولكـنَّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ[1]
أَلم تعلمي أَنْ قَـدْ تفرّق قبلَنا نديمـاً صفـاءٍ مالكٌ وعَقيلُ[2]
أَبى الصبرَ أَنّي لا يزال يَهيجُني مبيتٌ لنـا فيمـا خـلا ومَقيلُ
وأَنّي إذا ما الصُّبحُ آنَسْتُ ضوءَه يعـاودني قُطْـعٌ عـليّ ثقيلُ[3]

قال أَبو عمرو : فأَمّا أَبو جُندب أخو أَبي خراشٍ فإنّه كان جاور بني نُفاثةَ بن عديّ بن الدِّيل حيناً من الدهر ، ثم إنّهم همُّوا بأن يغدِروا به ، وكانت له إبل كثيرة فيها أُخوه جنادة ، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة ، وإذا به كُلُومٌ ، فقال له أبو جندب : ما لك ؟ فقال : ضربني رجل من جيرانك ، فأقبل أبو جندب ، حتى أتى جيرانَه من بني نفاثة ، فقال لهم : يا قوم ، ما هذا الجِوار ؟ لقد كنت أرجو من جوارِكم خيراً من هذا ، أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا ؟ .

فقالوا : أَو لم يكن بنو لحيان ، يقتلوننا ، فواللهِ ما قَرتْ دماؤنا ، وما زالت تَغلي ، والله إنّك

---

1 صدر البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : ولا تحسبي أنّي تناسيت عهده

2 عجز البيت في ديوان الهذليين 2 : 116 : خليـلا صفـاء مالكٌ وعقيل
ومالك وعقيل هما نديما جذيمة الأبرش .

3 القُطع : انقطاع النفس وضيقه .

للثّأر المُنيم ، فقال : أما إنّه لم يُصِبْ أخي إلاّ خَيْر ، ولكنّما هذه معاتبة لكم ، وفَطِن للذي يريد القومُ من الغدر به ، وكان بأسفل دفاق[1] ، فأصبحوا ظاعنين ، وتواعَدُوا ماء ظَرٍّ[2] ، فنفَذ الرجالُ إلى الماء ، وأخرّوا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا ، واتّخذوا الحِياضَ للإبل ، فأمر أبو جندب أخاه جُنادةَ وقال له : اسْرَح مع نَعَم القوم .

ثم توقَّفْ ، وتأخَّرْ ، حتى تمرّ عليك النَّعَم كلُّها ، وأنت في آخرها سارحٌ بإبلك ، واتركها متفرقة في المرعى ، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك ، واطرُدها نحو أرضنا ، ومَوعدُك نجد ألْوذَنِيّة ، في طريق بلاده ، وقال لامرأته أُمّ زِنباع وهي من بني كلب بن عوف : اظعَني وتمكَّثي ، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء .

ثم تَوجَّهي ، فموعدُك ثَنيَّة يَدعانَ من جانب النخلة ، وأخذ أبو جندب دَلوه ، ووَرد مع الرجال ، فاتّخذ القومُ الحياض ، واتّخذ أبو جندب حوضاً ، فملأه ماء ، ثم قعد عنده ، فمرّت به إبل ثمّ إبل ، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون : قد بلغتْ ، تركناها بالضَّجْن[3] .

ثم قدمت النساء كلّما قدمت ظعينة سألها عن أهله ، فيقولون : بَلَغَتْكَ تركناها تظعن ، حتى إذا وَرد آخرُ النَّعم وآخرُ الظّعن قال : والله لقد حَبَس أهلي حابسٌ ، أبصِرْ يا فلان ، حتى أستأنِس أهلي وإبلي ، وطرح دلوه على الحوض . ثم ولّى ، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم ، فقال أبو جندب في ذلك : [من الوافر]

أقولُ لأُمِّ زِنْباعٍ أقيمي ... صُدورَ العِيسِ شطرَ بني تميمِ
وغَرَّبْتُ الدّعاءَ وأيْنَ منِّي ... أُناسٌ بين مرَّ وذي يَدومِ

غربت الدُّعاء : دعوت من بعيد .

وَحَيٍّ بالمناقب قد حَمَوْها ... لدى قُرّانَ حتى بطنِ ضِيمِ
وأحياءٍ لدى سعْدِ بن بكر ... بأملاحٍ فظاهرةِ الأديمِ[4]
أولئِكَ معشري وهُمُ أرومي ... وبعض القوم ليس بذي أُرومِ[5]
هنالِكَ لو دَعَوْت أتاك منهم ... رجالٌ مثل أرمِيةِ الحميمِ

الأَرْمِيَةُ : السحاب الشديد الوقع ، واحدها رَمِيّ ، والحميم : مطر القيظ .

---

1 دفاق : مكان .

2 ظرّ : ماء .

3 الضجن : واد في بلاد هذيل بتهامة .

4 المناقب ، وقُرّان ، وبطن ضيم ، وأملاح ، وظاهرة الأديم : أمكنة بها آله وأنصاره .

5 الأروم : أصل الشجرة .

أَقَــلَّ اللهُ خَيْرَهُــم أَلَمّــا ... يَدَعْهُم بعضُ شرِّهُــم القديمِ
أَلَمّـــا يَسلم الجيرانُ منهــم ... وقد سال الفِجاج من الغميمِ[1]
غــداةَ كأنَّ جنّادَ بــن لُبنى ... بــه نضخُ العبيرِ من الكُلومِ[2]
دعــا حَوْلي نُفاثةُ ثم قالوا : ... لعلّـــك لسْتَ بالثّــأرِ المنيمِ

المنيم : الذي إذا أُدْرِكَ استراح أهله وناموا .

نعْوا مَـــنْ قَتَّلَتْ لِحَيانُ منهم ... ومـــن يغترُّ بالحـــرْبِ القرومِ

قالوا جميعاً : وكان أبو جندب ذا شرٍّ وبأْس ، وكان قومه يسمّونه المشئوم ، فاشتكى شكوى شديـدة ، وكان له جار من خزاعة يقالُ له حاطِم ، فوقعت به بنو لحيان ، فقتلُوه قبلَ أن يَسْتَبِلَّ[3] أبو جندب من مرضه ، واستاقوا أموالَه ، وقتلوا امرأته ، وقد كانَ أبو جُنْدب كلّم قومَـه ، فجمعوا لجاره غنماً ، فلمّا أفاق ابو جندب من مرضه خرج من أهله ، حتى قدِم مكّة ، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن ، وقد شقَّ ثوبَه عن اسْته ، فعرف النّاس أنّه يريد شرّاً ، فجعلَ يصيح ويقول : [من الرجز]

إنّي امــرؤٌ أبكي على جارِيَّـهْ ... أَبكـــي على الكعبيِّ والكعبيَّهْ
ولـــو هَلكـــتُ بَكَيــا عليَّهْ ... كانا مكانَ الثوب من حَقْوِيَّهْ[4]

فلمّا فرغ من طوافه ، وقضى حاجتَه من مكّة خرج في الخُلَعاء من بكر وخزاعة ، فاستجاشهم على بني لحيانَ ، فقتل منهم قتلى ، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبايا ، وقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد أُمسى بنو لِحْيان منّي ... بحمــد الله في خِــزْيٍ مُبــينِ
تركتهمُ على الرّكَباتِ صُعْراً ... يُشيبُون الذّوائـــب بــالأنينِ

[يشكو إلى عمر فراق ابنه]

أُخبرني هاشِم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثني عبد الرحمن ابنُ أَخي الأَصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : هاجر خِراشُ بن أَبي خراش الهذليّ في أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدوّ ، فقدِم أبو خراش المدينة ، فجلس ين يدي عمر ،

1 الغميم : نوع من اللبن ، أو من النبات .
2 العبير : الكثير .
3 يستبل : يتم شفاؤه .
4 الحقو : الخصر .

وشكا إليه شوقَه إلى ابنه ، وأنّه رجل قد انقرضَ أهلُه ، وقُتِل إخوته ، ولم يبقَ له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش ، وقد غزا وتركه ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي خِراشاً ... وقد يأْتيك بالنّبأ البعيدُ
وقد يأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاءِ ولا تُزِيدُ

تُزيد وتُزوِّد واحد ، من الزاد .

يُناديه ليَغْبِقَه كَلِيبٌ ... ولا يأتي ، لقد سَفُه الوليدُ[1]
فردَّ إناءه لا شيءَ فيه ... كأنّ دموعَ عينيه الفَريدُ[2]
وأَصبحَ دون غابِقِه وأمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُودُ
أَلا فاعلم خِراشُ بأنَّ خيرَ المها ... جِر بعد هجرته زهيدُ
رَأيتكَ وابتغاءَ البرِّ دوني ... كمحصور اللَّبان ولا يصيدُ[3]

قال : فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقْبِل خراش إلى أبيه ، وألاّ يغزوَ مَن كان له أب شيخ إلاّ بعد أن يأذَنَ له .

[مصرعه]

أَخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّةَ : قال : حدَّثنا الأَصمعيّ ، وأَخبرني حبيبُ بن نصر ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصبّاح ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه .

وأَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أَبو غسّانَ دَماذُ : قال أَبو عبيدة : وأَخبرني أَيضاً هاشم ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأَصمعيّ ، عن عمِّه ، وذكره أبو سعيد السكريّ في رواية الأَخفش عنه عن أصحابه ، قالوا جميعاً : أسلم أبو خراش فحسُن إسلامه ، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدِمُوا حُجَّاجاً ، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد ، فقال : يا بني عمِّي ، ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه شاة وبُرمة وقِربة ، فرِدُوا الماء ، وكلوا شاتكم ، ثم دَعُوا بُرْمَتَنا وقِربتنا على الماءِ ، حتى نأخذها ، قالوا : والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه ،

---

1 يغبقه : يسقيه الماء .

2 الفريد : اللؤلؤ .

3 في ديوان الهذليين 171/2 :

فإنك وابتغاء البر بعدي ... كمخضوب اللبان ولا يصيد

واللّبان : الصدر . والمحصور : المشدود .

وما نحن ببارحين حيث أُمسينا ، فلمّا رأى ذلك أبو خراش أَخذ قربته ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى اسْتَقى ، ثم أقبل صادراً ، فنهشتْه حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبلَ مُسْرِعاً حتى أُعطاهم الماء ، وقال : اطْبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلِمهم بما أُصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأُصبح أبو خراش في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، وقال وهو يعالج الموت : [من الوافر]

لعمـــرُكَ والمنايـــا غالبـاتٌ على الإنسانِ تطلُع كلَّ نجدِ
لقد أهلكْتِ حيّـــةَ بطنِ أَنفٍ على الأَصحابِ ساقاً ذاتَ فقدِ[1]

وقال أَيضاً : [من الوافر]

لقد أَهلكتِ حيّةَ بطن أَنفٍ على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فضلِ
فما تركتْ عدوّاً بين بُصْرى إلى صنعـــاءَ يطلبُـهُ بذَحْلِ[2]

قال : فبلغ عُمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه خَبرُه ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : لولا أَن تكون سُنَّة لأَمَرْتُ ألاّ يُضافَ يمانٍ أبداً ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إنّ الرجل لَيَضيف أُحدَهم ، فيبذل مجهودَه فيسخطُهُ ولا يقبله منه ، ويطالبُه بما لا يقدر عليه ، كأنّه يطالبه بدين ، أو يتعَنّته ليفضَحَه ، فهو يكلفه التكاليف ، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً ، وقتله ، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغَرِّمَهم دِيَتَه ، ويؤدِّبهم بعد ذلك بعقوبة تمسّهم جزاءً لأعمالهم .

صوت

[من الطويل]

تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى سواها ولا يُنسيك نَـأْيٌ ولا شُغلُ
كبيضةِ أُدحـــيٍّ بِميثٍ خميلةٍ يحفِّفهـا جَـوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ[3]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والغناء لابن محرز ثقيل أَوّل بالوسطى ، عن ابن المكّيّ .

---

1 أنف : مكان . وفي ديوان الهذليين 2 : 172 : ساقاً بعد فقد .
2 الذَّحل : الثأر .
3 الأدحي : مبيض النعام . وميث خميلة : خميلة ممطورة . والصعل : الطويل .

[455] ـ أخبار ابن داره ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن مُسافِع بن دارة ، وقيل : بل هو عبد الرحمن بن رِبْعيّ بن مسافع بن دارة ، وأخوه مسافع بن دارة ، وكلاهما شاعر ، وفي شعريهما جميعاً غناء يُذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضاً وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين . فأمّا سالم فمخضرم قد أدرك الجاهليّة والإسلام . وأمّا هذان فمن شعراء الإسلام ، ودارة لقب غلب على جدّهم ، ومسافع أبوهم ، وهو ابن شُرَيْح بن يربوع الملقّب بدارةَ بنِ كعب بن عديّ بن جُشَمَ بن عوف بن بُهْثَةَ بن عبد الله بن غطفان بن سعيد بن قيس عيلان بن مضر . وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللصّ وقتلِه وكان نديماً له وأخاً .

[يستعدي قومه على بني أسد]

أخبرني بخبره هاشمُ بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا أبو غسانَ دماذٌ ، عن أبي عبيدة قال : لمّا أُخِذ السمهريّ العكليّ وحُبِس وقُتِل ، وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن بن مسافع ابن دارة ، فقُتِل بعد طول حبس ، فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويُحرّض عليهم عُكْلاً .

صوت

[من الطويل]

إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى ... لعينيكَ من طولِ البكاء على جُمْلِ
تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تُسْلى بنأيٍ ولا شُغلِ
كبيضة أدحيٍّ بميْثٍ خميلةٍ ... يُحَفِّفها جَوْن بجؤجؤه الصَّعلِ
وما الشمسُ تبدو يومَ غيم فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاء فالنِّير فالذبلِ[2]
بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمْلِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 401-403 ، والمؤتلف : 116 والحماسة 1 : 366-372 ، والإصابة 3 : 161-162 والخزانة 1 : 289-294 ، 557-558 .

2 الشامة : أرض بها علامة سوداء ، وعنقاء : طويلة العنق . النير والذّبل : من جبال ضرية .

يقولـون : إزْلٌ حُبُّ جُمْـلٍ وقُرْبُها   وقـد كذبوا مـا في المودّة من إزلِ
إذا شحَطتْ عنّـي وجـدتُ حرارة   على كَبِدي كادت بهـا كَمداً تغلي
ولم أرَ محزونـيـنَ أجمـلَ لوعـةً   على نائبات الدَّهرِ مِنّي ومن جُملِ
كلانا يـذود النفسَ وهْـي حزينـة   ويُضمِرُ وجـداً كالنوافـذِ بالنبلِ[1]
وإنّي لُمبلِـي اليأسِ من حُبِّ غيرها   فأمّا على جُمْـلٍ فإنّـيَ لا أُبلي[2]
وإنَّ شفاءَ النفسِ لو تُسْعِفُ المنى   ذواتُ الثنايا الغُـرّ والحَـدَقِ النُّجلِ
أُولئـك إن يَمْنَعْـنَ فالمنعُ شِيمـةٌ   لهنَّ وإنْ يُعْطِـينَ يُحْمـدن بالبذلِ
سأمسِك بالوصلِ الذي كان بيننا   وهل تركَ الواشون والنأْيُ من وصلِ
ألا سَقِّيـاني قهـوةً فارسيّـةً   من الأَوّل المختوم ليست من الفضلِ[3]
تُنسّي ذوي الأحلامِ واللبِّ حلمَهم   إذا أزبدت في دَنّهـا زَبـدَ الفحلِ
ويـا راكبـاً إمّـا عرضت فبلِّغَنْ   عَلى نأْيهـم منّـي القبائلَ من عُكْلِ
بـأنَّ الذي أُمست تجمجم فقعَسٌ   إسارٌ بـلا أسْرٍ وقتـلٌ بـلا قتلِ
وكيف تنـام الليلَ عُكلٌ ولم تَنَل   رِضى قَودٍ بالسمْهريِّ ولا عقلِ ؟[4]
فلا صلحَ حتى تَنْحِط الخيلُ في القنا   وتوقدَ نارُ الحربِ بالحطب الجزلِ[5]
وَجُـرْدٍ تَعـادى بالكمـاة كأنّهـا   تُلاحِـظ مـن غيظٍ بأعينَها القُبْلِ[6]
عليهـا رجـال جالدوا يوم مَنْعِجٍ   ذوي التاج ضرّاً والملوكِ على الوَهْلِ[7]
بضربٍ يُزيـل الهامَ عن مستقرِّه   وطعـنٍ كأفـواه المفرّجة الهُدْلِ[8]
عـلامَ تُمشّي فقعسٌ بدمائكـم   وما هي بالفَرع المُنيفِ ولا الأصلِ ؟[9]

---

1 النوافذ : السهام النوافذ .
2 إبلاء اليأس يعني الرجاء .
3 الأوّل المختوم : الدنّ المعتق .
4 عكل : قبيلة . والعقل : الدية .
5 نحطت الخيل : زفرت وصاتت من الإعياء .
6 القُبْل : الحول .
7 الوهل : الفزع .
8 المفرجة الهدل : القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها .
9 نمشي بدمائكم : نذهب بها بلا قود . المنيف : العالي المرتفع .

وكنّـا حسِبنا فقعساً قبل هـذه أذلَّ على وقـع الهـوان من النَّعلِ
فقـد نظرتْ نحو السماء وسلَّمَتْ على النّاس واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ
رمى الله في أكبادكم أن نجت بهـا شِعابُ القِنان من ضعيفٍ ومن وَغْلٍ[1]
وإن أنتـمُ لم تثـأروا بأخيكـم فكونـوا نِساءً للخَلوقِ وللكُحْلِ[2]
وبيعـوا الرّدينياتِ بالحَلْـي واقْعدُوا على الذلّ وابتاعـوا المغـازل بالنّبلِ
ألا حبّذا مـن عندَهُ القلبُ في كَبْلٍ ومَنْ حُبّـه داءٌ وخَبْـلٌ من الخبلِ
ومَن هـو لا يُنسى ومَـنْ كلُّ قَولِه لدينا كطعم الراح أو كجَنى النّحلِ
ومن إن نـأى لم يحدث النأيُ بُغْضَه ومن إن دنا في الدارِ أُرْصِدَ بالبَذْلِ[3]

[خبر السمهريّ مع نديمه ومصرعه]

وأمّا خبر السمهريّ ومقتلُه فإنّ عليَّ بنَ سليمانَ الأخفشَ أخبرني به قال : حدَّثنا أبو سعيد السّكَّريُّ قال : حدَّثنا محمدُ بن حبيبٍ ، عن أبي عمْرِو الشيبانيِّ قال : لقِي السّمهريُّ بن بشر بن أُقَيْشَ بن مالك بن الحارث بن أقيشَ العكليّ ويكنى أبا الديل هو وبهدلٌ ومَروانُ بن قرفة الطائيان عونَ بن جعدةَ بن هبيرة بن أبي وَهْبِ بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ومعه خالُه : أحدُ بني حارثةَ بن لأم من طيىء بالثعلبيّة ، وهو يريد الحجّ من الكوفة ، أو يريد المدينة ، وزعم آخرون أنّهم لقُوه بين نخل والمدينة ، فقالوا له : العُراضة ، أي مر لنا بشيء فقال : يا غلامُ ، جَفِّنْ لهم[4] ، فقالوا : لا والله ، ما الطعام نريد ، فقال : عرِّضْهم[5] ، فقالوا : ولا ذلك نريد ، فارتاب بهم ، فأخذ السيف فشدّ عليهم ، وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا ، فهربوا ، ولم يأخذوا إبلَه ، فتفرّقت إبلُهُ ، ونجا خالُه الطائيّ ، إمّا عرفوه فكفّوا عن قتله ، وإمّا هرب ولم يعرف القَتَلة ، فوجد بعضَ إبله في يدي شافع بن واتر الأسديّ .

وبلغ عبدَ الملك بن مروانَ الخبرُ فكتب إلى الحجّاج بن يوسف ، وهو عاملُه على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتَلَة عَوْن ،

1 القِنان : جمع قُنّة . والوغل : النذل الساقط .
2 الخلوق : نوع من الطيب .
3 أرصد بالبذل : كوفيء . ببذل الود ونحوه .
4 جفّن لهم : املأ الجفنة لهم طعاماً .
5 عرضهم : من العراضة بمعنى الهدية .

ويبالغوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُّعاة به أشدّ أخذ ، ويجعلوا لِمَن دَلَّ عليهم جُعلَه ، وانْشام[1] السمهريّ في بلادِ غطفان ما شاء الله .

ثم مرّ بنخلٍ ، فقالت عجوز من بني فزارة : أظنّ والله هذا العكليَّ الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه ، فأخذوه ، ومرَّ أيّوب بن سلمة المخزوميّ بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العُكليّ قاتل عون ابن عمِّك ، فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزوميّ عاملَ عبد الملك على المدينة ، فجحد وأبى أن يقرّ ، فرفعه إلى السجن فحبسه .

وزعم آخرون أنّ بني عُذرة أخذوه فلمّا عُرِفت إبلُ عون في يدي شافع بن واترٍ اتّهموه بقتله ، فأخذوه ، وقالوا : أنت قِرفتُنا[2] ، قتلتَ عوناً ، وحبسوه بصلّ : ماء لبني أسد ، وجَحَد ، وقد كان عرف مَنْ قتله ، إمّا أن يكون كان معهم ، فورّى عنهم ، وبرأ نفسه ، وإمّا أن يكون أودعوها إيّاه ، أو باعوها منه ، فقال شافِعٌ : [من الطويل]

فإنَّ سرَّكم أن تعلموا أين ثأرُكم ... فسلمى معانٌ وابن قِرفة ظالِمُ
وفي السجن عُكْليٌّ شَريك لبهدل ... فولُّوا ذُبابَ السّيفِ مَن هو حازمُ
فوالله ما كنّا جُناةً ولا بنا ... تأوّب عوناً حتفُه وهو صائمُ[3]

فعرفوا مَن قتَلَه ، فألحُّوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهريّ في القيود والسجن ، وجَحَد ، فلمّا كان ذلك من إلحاحهم على السمهريّ أيقنت نفسُه أنّه غير ناج ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلمّا كان يوم الجمعة والإمام يخطب ، وقد شُغِل النّاس بالصلاة فكَّ إحدى حلقَتَيْ قيده ، ورمى بنفسه من فوق السجن ، والنّاس في صلاتهم ، فقصد نحو الحرّة ، فولج غاراً من الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه ، وغلقوا أبوابهم ، وقال لهم الأمير : اتّبعوه فقالوا : وكيف نتبعه وَحْدَنا ، فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأبُلّيِّين ؛ وهم حرس وأعوان من أهلِ الأُبُلّة ، فأعجزهم الطلبُ ، فلمّا أمسى كسر الحلقة الأُخرى ، ثم هَمَس[4] ليلته طَلَقا ، فأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينا هو يمضي إذ نَعب غراب عن شماله ، فتطيَّر ، فإذا الغراب على شجرة بانٍ يُنَشْنِش[5] ريشَه ، ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى ، وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقي راعياً

1 انشام في بلاد غطفان : دخل فيها .
2 القرفة : من تتهمه بشيء .
3 تأوّبه حتفه : أصابته منيته .
4 همس : سار بالليل بلا فتور .
5 نشنش الطائر ريشه : نتفه نتفاً خفيفاً بمنقاره .

في وجهه ذلك ، فسأله : مَن أَنت ؟ قال : رجل من لِهْب من أَزْد شنوءة أَنتجع أَهلي ، فقال له : هلْ عندَكَ شيءٌ من زَجْر قومِك ؟ فقال : إنّي لآنس من ذلك شيئاً أي لأبصر ، فقصّ عليه حاله غير أنّه وَرَّى الذَّنْبَ على غيره والعيافة ، وخبَّره عن الغراب والشجرة ، فقال اللّهبيّ : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يَطرحُ ريشه سَيُصْلَب ، فقال السمهريّ : بفيك الحجر ، فقال اللهبيّ : بل بفيك الحجر ، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضَب . ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة ، وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنّه توقّف يومه وليلته فيما يعمله ؛ وهل يعود من حيث جاء ثم سار . حتى أتى أرضَ عُذرةَ بنِ سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلِب الرعيان اللبنَ ، فيحلبون له ، ولَقِيَه عبدُ الله الأَحدب السعديّ : أَحدُ بني مخزوم من بني عبد شمس ، وكان أشدَّ منه وألصَّ ، فجنى جناية ، فَطلِبَ ، فتَرك بلادَ تميم ، ولحق ببلاد قضاعة ، وهو على نجيبة لا تُسايَرُ ، فبينا السمهريّ يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ، ويسأله السمهريُّ عن ذلك ، وإنّما يسأله عن أنْجاهُنَّ ليركبها ، فيهربَ بها ، لئلاّ يفارق الأحدب ، أشار له إلى ناقة ، فقال السمهريّ : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تجارى ، فتحَيّن الغفلة ، فلمّا غفل وثب عليها ، ثم صاح بها فخرجت تَطير به ، وذلك في آخر الليل ، فلمّا أَصبحوا فقدُوها ، وفقدوه ، فطلبوه في الأثر . وخرجا حتى إذا كان حَجْرٌ عن يسارهما ، وهو واد في جبل ، أو شِبه الثقب فيه استقبلتهما سَعَةٌ هي أوسع من الطريق ، فظنّا أنّ الطريق فيها ، فسارا مليّاً فيها ، ولا نجم يأْتمان به ، فلمّا عرفا أنّهما حائِدان ، والتفت عليهما الجبال أمامهما ، وجدَّ الطلبُ إثر بعيريْهِما ، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنّه سيرجع ، فقعدوا له بفم الثقب ثم كرّا راجعَين ، وجاءت الناقة ، وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامِها ، فلمّا أبصر القومَ همَّ أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ، ونزل الأحدب ، فقاتلهما القومُ ، حتى كادوا يغشَوْن السّمهريُّ فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم ، حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله : [من الطويل]

وما كنتُ مِحْياراً ولا فزِعَ السُّرى ... ولكن حِذا حجْرٍ بغيرِ دليلِ[1]

وقال الأَحدب في ذلك : [من الطويل]

لَمّا دعاني السمهريُّ أَجبتُه ... بأَبيضَ من ماءِ الحديد صقيلِ

وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيْفِ قبضتي ... لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي

وقال السمهريّ أيضاً : [من الطويل]

---

1 حذا حجر : مشيت بجانبه فأضلّني .

نجـوتُ ونفسي عنـد ليـلى رهينة وقـد غَمَّني داجٍ مـن الليل دامسُ
وغامسْتُ عـن نفسي بأَخلَقَ مِقصلٍ ولا خيرَ في نفس امرىءٍ لا تُغامِسُ[1]
ولـو أَنَّ ليـلى أَبصرتنيَ غـدوة ومَطْـوايَ والصفَّ الذيـن أُمارسُ
إذاً لبكـت ليلى عـليَّ وأَعولت وما نالـت الثـوبَ الذي أَنا لابسُ

فرجع إلى صحراء مَنعِج ، وهي إلى جنب أُضاخَ ، والحلّة قريب منها ، وفيها منازل عُكل ، فكان يتردّد ولا يقرب الحلّة ، وقد كان أكثِر الجُعْلُ فيه ، فمرّ بابنَي فائد بن حبيب من بني أسد ، ثم من بني فَقعس فقال : أجيرا متنكّراً ، فحَلبا له ، فشرب ومضى لا يعرفانه ، وذهبا ، ثم لبث السمهريّ ساعة ، وكرَّ راجعاً فتحدث إلى أخت ابنَي فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدَّحة[2] ، وإذا كدوحٌ طريَّةٌ ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر ، فرأى ما أخبره أخوه ، فارتابا به ، فقال أحدهما : هذا والله السمهريّ الذي جُعِل فيه ما جعل ، فاتفقا على مضابرته[3] ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهريّ ، فألقى الذي على ظهره ، وقال : أتلعبان ؟ وقد ضبطَ رأسَ الذي كان على ظهره تحت إبطه ، وعالجه الآخر ، فجعل رأسَه تحت إبطه أيضاً ، وجعلا يعالجانه ، فناديا أُختَهما أن تعينهما ، فقالت : أَلِيَ الشِّرْك في جُعْلكما ؟ قالا : نعم ، فجاءت بجرير[4] فجعلته في عنقه بأُنشوطة ثم جذبته ، وهو مشغول بالرَّجُلين يمنعهما ، فلمّا استحكمت العقدة ، وراحت من عَلابِيِّهِ[5] خلى عنهما ، وشدَّ أحدُهما ، فجاء بِصِرارٍ[6] ، فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر ، والأخرى تخنقه ؛ فخرَّ لوجهه ، فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المُرِّيّ ، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذِه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدُفِعَ إليه ، فقال السمهريّ : أَتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمّك أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبرْك ، فأراد الدّنوَّ منه ، فنودِي : إيّاك والكلبَ ، وإنّما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله بعمّه . ولّما حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زَجْر اللِّهْبِيّ وصدقَه ، فقال : [من الطويل]

---

1 غامست : خضت الحرب . وأخلق مقصل : سيف قاطع .
2 مكدحة : ذات خدش وسحجات .
3 مضابرته : جمعه وشدّه .
4 بجرير : بحبل .
5 العلاّبيّ : أعصاب العنق .
6 الصّرار : ما يشد به خلف النّاقة .

أَلا أيّها البيتُ الذي أَنا هاجِرُه ... فلا البيتُ منسيٌّ ولا أَنا زائرُهْ
أَلا طرقت ليلى وساقي رهينةٌ ... بأَشهبَ مشدودٍ عليّ مَسامرُهْ
فإن أَنجُ يا ليلى فربّ فتًى نجا ... وإن تكنِ الأخرى فشيءٌ أحاذرُهْ
وما أَصْدَق الطيْر التي بَرِحت لنا ... وما أعيفَ اللِهبيّ لا عزَّ ناصرُهْ
رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق بانة ... ينشنشُ أَعلى ريشه ويُطايرُهْ
فقال غرابٌ باغتراب من النوى ... وبانٌ بِبَيْنٍ من حبيبٍ تُحاذرهْ
فكان اغترابٌ بالغراب ونِيةٌ ... وبالبانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لك طائرُهْ[1]

وقال السمهريّ في الحبس يُحرض أَخاه مالكاً على ابنَي فائد : [من الطويل]

فمن مُبلغٌ عنّي خليليَ مالكاً ... رسالة مشدود الوَثاق غريبِ
ومن مبلغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً ... وأَربابَ حامي الحفر رهطِ شبيبِ
ليُبْكوا التي قالت بصحراءِ مَنْعِج ... لِيَ الشِّركُ يابني فائدِ بن حبيبِ
أَتضرب في لحمي بسهم ولم يكن ... لها في سهام المسلمين نَصيبُ[2]

وقال السمهريّ يرقّق بني أَسد : [من الطويل]

تمنّتْ سُليمى أَن أَقيلَ بأَرضها ... وأنّى لسَلْمى ويْبَها ما تَمَنَّتِ[3]
أَلا ليتَ شعري هل أزورَنّ ساجِراً ... وقد رَوِيَت ماءَ الغوادي وعلّتِ[4]
بني أَسد هل فيكمُ من هَوادةٍ ... فتَغْفِرَ إن كانتْ بي النعل زَلَّتِ

وبنو تميم تزعم أَنّ البيت لمرّة بن مَحْكان السعديّ .

وقال السمهريّ في الحبس يذمّ قومه : [من الطويل]

لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة ... تسائل في الأَقياد ماذا ذُنوبُها ؟
بمنزلة أَمّا اللئيمُ فشامِتٌ ... بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها
إذا حَرَسيٌّ قَعقَعَ البابَ أُرْعِدَتْ ... فرائصُ أَقوامٍ وطارت قلوبُها
أَلا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ... ولم أدرِ ما شُبَّانُ عُكلٍ وشِيبُها ؟

1 نيّة : من نوى بمعنى انتقل .
2 في البيت إقواء .
3 ويبها : ويحها .
4 ساجر : مكان باليمامة .

قبيلة «مَنْ» لا يقرع البابَ وفدُها لخير ولا يَهْدي الصوابَ خطيبُها
نرى الباب لا نَسطيع شيئاً وراءه كأنّا قُنِيٌّ أسلَمتْها كُعوبُها[1]
وإن تَكُ عُكلٌ سرَّها ما أصابني فقد كنتُ مصبوباً على ما يَريبها

وقال السمهريُّ أيضاً في الحبس : [من الطويل]

أَلا حيِّ ليلى إذ أَلَمَّ لِمامُها وكان مع القوم الأعادي كلامُها
تعلَّلْ بليلى إنّما أَنتَ هامَةٌ من الغدِ يدنو كلَّ يوم حِمامُها[2]
وبادرْ بليلى أَوجهَ الركب إنّهم متى يرجِعوا يَحْرُمْ عليك كلامُها
وكيف ترجِّيها وقد حِيلَ دونها وأُقسم أَقوامٌ مَخوفٌ قِسامُها
لأَجْتَنِبْنَها أو لَيَبْتَدِرُنَّني ببيضٍ عليها الأَثْرُ فَعْمٌ كِلامُها[3]
لقد طرقتْ ليلى ورِجْلي رهينةٌ فما راعني في السجن إلاّ لِمامُها
فلمّا انتبهتُ للخيال الذي شرى إذا الأَرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها
فإلاّ تكن ليلى طَوتْك فإنّه شبيهٌ بليلى حُسنُها وقوامُها
أَلا ليتَنا نَحْيا جميعاً بغِبْطَةٍ وتَبلى عظامي حين تبلى عِظامُها

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلا طرقتْ ليلى وساقي رَهينةٌ بأسمَر مشدودٍ عليّ ثقيلُ[4]
فما البينُ يا سلْمى بأَن تَشْحَطَ النّوى ولكن بيناً ما يُريد عقيلُ
فإن أنجُ منها أَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإن تكن الأُخرى فتلك سبيلُ

وقال أيضاً وهو طريد : [من الطويل]

فلا تيأسا من رحمةِ الله وانظُرا بوادي جَبُونا أَن تَهُبَّ شَمالُ[5]
ولا تيأَسا أَن تُرْزَقا أَريحيّةً كعِينِ المها أَعناقُهنَّ طِوالُ[6]

---

1 قُنيّ : جمع قناة ، وقناة الرمح أعلاه ، وكعبه : أسفله .
2 هامة الغد : قصير العمر .
3 الأَثْر : بريق السيف ورونقه .
4 الأسمر : القيد .
5 بوادي جبونا : مكان . تهب الشمال : تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج .
6 أريحية : خيلاً أريحية .

مـــن الحارثِيّـــينَ الذين دِماؤهم حَـــرامٌ وأمّا مـا لَهُـم فحلالُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلم تَـرَ أنّي وابنَ أبيضَ قد جفت بنا الأرضُ إلاّ أنْ نَـؤمَّ الفَيافيا
طَريديْـــن من حيَّيْنِ شتى أشَدَّنا مخافَتُنـا حتـى نخلْنـــا التّصافيا
وما لُمْتُــه في أمـرِ حَزمٍ ونجدةٍ ولا لامني في مِرَّتـــي واحتياليا
وقلتُ لــه إذْ حلَّ يسقى ويَسْتَقي وقد كان ضوءُ الصبح لِلَّيْلِ حاديا
لعمري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً لئنْ هيَ لم تَضْبَـحْ عليهنَّ عاليا

[بعض أخباره]

وأُخِذتْ طَيِّىء ببهدلٍ ومروانَ أخيه أشدَّ الأَخْذ ، وحُبِسوا ، فقالوا : إن حُبِسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ، ولكن خلُّوا عنّا ، حتى نتجسَّسَ عنهما ، فنأتِيَكمْ بهما ، وكانا تأبّدا مع الوحش يَرْمِيان الصَّيْدَ فهو رزقهما . ولمّا طال ذلك على مروانَ هبط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه فسقاه ، وبسطه ، حتى اطمأنَّ إليه ، ولم يُشْعرهُ أنّه يعرفه ، فجعل يأتيه بين الأيّام ، فلا ينكره ، فانطلق الراعي ، فأخبره باختلافه إليه ، فجاءَ معه الطلب ، وأكْمَنَهُم ، حتى إذا جاءَ مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه ، وحدَّثه فلم يشعُر حتى أطافوا بـه ، فأخذوه ، وأتَوْا به عثمانَ بنَ حيّان أيضاً عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ، فأعْطى الذي دلَّ عليه جُعْلَه ، وقتله .

[نهاية بهدل]

وأمّا بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغَ ذلك سَيِّداً من سلْمَى ، من طيىء ، فقال : قد أُخِيفت طيِّئ ، وشُرِّدَتْ من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهْلاتٌ[1] من قَومه ، فقال لهم : إنّكم بعَيني الخبيث ، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليُخلوا النساء ، فإنّه إذا رأى ذلك انحدرَ إلى القِباب ، وطلب الحاجة والعَلّ[2] فكانوا يخلون الرجال نهاراً فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أيّاماً ، فظَنَّ بهدل أنّهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم ، فانحدر إلى قُبّة السَّيِّد ، وقد أمَر النساء : إن انحَدَرَ إليكن رجل فإنّه ابنُ عمّكن ، فأطعمنه وادهنّ رأسَه .

وفي قبّة السيِّد ابنتان له ، فسألهما : مَن أنتما ؟ فأخبرتاه ، وأطعمتاه ، ثم انصرف فلمّا راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمّكما ، فجعل ينحدرُ إليهما ، حتى اطمأنَّ ،

1 أهلات : جمع أهل .
2 العل : الشراب .

وغسلتا رأسه ، وفَلَّتاهُ ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : أفلياه ، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرّة ، واعقدا خُصَلَ لِمَّتِه إذا نَعِس رويداً بخمْل القطيفة .

ثم إذا شدَدْتما عليه فاقلبا القطيفة على وجهه ، وخذا أنتما بشَعره من ورائه فَمُدَّا به إليكما ، ففعلتا ، واجتمع له أصحابه ، فكرّوا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها ، وشدّوا عليه ، فربطوه ، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان ، فقتله ، فقالت بنت بَهْدَل ترثيه : [من الطويل]

فيا ضَيْعةَ الفِتيانِ إذ يَعتِلونه ببطن الشَّرى مثل الفنيق المسدَّمِ[1]
دعا دعوة لمّا أتى أرضَ مالك ومَن لا يُجَبْ عند الحفيظة يُسلمِ[2]
أما كان في قيسٍ من ابن حفيظةٍ من القوم طَلّابِ التِّرات غَشمْشمِ[3]
فيقتُل جَبراً بامرىءٍ لم يكن به بواءٍ ولكِنْ لا تكايُلَ بالدّمِ[4]

وكان دَعا : يا لَمالك لِيَنتَزِعوه ، فلم يجبه أحد .

[مساجلة بينه وبين الكميت]

قال : ولمّا قال عبدُ الرحمن بنُ دارة ابن عمّ سالم بن دارة هذه القصيدة يَحُضُّ عُكْلاً على بني فَقْعَس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ ، فعيّره بقتل سالم حين قتله زُميل الفزاريّ ، فقال قوله : [من الطويل]

فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنّه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة : [من الطويل]

فيا راكباً إمّا عرضْتَ فبلّغَنْ مُغَلْغَلةً عنّي القَبائلَ من عُكلِ
جلت حمماً عنها القِصافُ وما جلتْ قُشَيْرٌ وفي الشدّاتِ والحربِ ما يُجلي[5]
فإن يَكُ باع الفَقعسيُّ دماءهم بوَكسٍ فقد كانت دماؤكم تَغلي
وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن لها قَوَدٌ بالسَّمْهريّ ولا عَقْلِ
رمى اللهُ في أكبادِهم إن نجتْ بها حروفُ القِنانِ من ذليلٍ ومن وغلِ

1 يعتلونه : يقتادونه بغلظة . الفنيق : فحل الإبل . والمسدّم : الهائج .
2 الحفيظة : الحرب .
3 الغشمشم : المقدام الذي يقتحم الحروب غير هيّاب .
4 جبر بن عبيد الذي دفع بهدلاً إلى السلطان فقتله . بواء : كفء . لا تكايل في الدم : لا تقدر الدماء بالكيل .
5 القصاف : فرس مشهورة لبني قشير . الحمم : ما خمد من النيران .

وكنّا حسبْنا فَقْعَساً قبل هـذه أذلَّ على طـولِ الهوانِ من النَّعلِ
فـإن أنتـمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونـوا بَغايـا للخَلُوق وللكُحلِ
وبيعوا الردينيّاتِ بالحَلْي واقعدوا على الوِتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبلِ
فإنّ الذي كانت تُجمجمُ فَقْعَسٌ قتيلٌ بـلا قَتْـلى وَتَبْلٌ بـلا تَبْلِ
فـلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا وتُوقَدَ نارُ الحَرْب بالحَطَب الجَزْلِ

[يقتلون ابن سعدة وأمّه]

فلمّا بلغ قوله مالكاً أخا السمْهريِّ بخراسان ، انحطَّ من خراسان ، حتى قدِم بلاد عُكلٍ فاستجاش نفراً من قومه ، فعلِقوا[1] في أرض بني أسد يطلبون الغِرَّة فوجدوا بثادقٍ[2] رجلاً معه امرأة من فقْعَس ، فقتلوه ، وحزّوا رأسه ، وذهبوا بالرأس ، وتركوا جسده ، كما قتلوها أيضاً ، وذُكِرَ لي : أنَّ الرجلَ ابنُ سِعْدَة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمُّه ، فقال عبد الرحمن في ذلك : [من الرجز]

مـا لقتيلٍ فَقْعَسٍ لا رأْسَ لـهْ هلاَّ سألْتَ فقْعَساً من جَدَّلَهْ
لا يتْبَعَـنَّ فَقْعَسِيٌّ جملَـهْ فـرداً إذا ما الفقعسيُّ أعملَهْ
لا يلقَيَـنَّ قاتـلاً فيقتلَـه بسيفه قـد سَمَّـهُ وصقَلَهْ

وقال عبد الرحمن أيضاً : [من الكامل]

لّمـا تَمالى القومُ في رأْدِ الضُّحى نَظراً وقـد لَمَعَ السّرابُ فجالا[3]
نظر ابنُ سعْدَةَ نظرةً ويَـلاً لها كانت لصحبك والمطـيِّ خَبالا[4]
لَمْحاً رأى من فـوق طودٍ يافعٍ بعضَ العُـداة وجُنَّـةً وظِلالا[5]
عيَّرتَني طَلبَ الحُمُول وقـد أرى لم آتهـنَّ مكفَّفـاً بَطَّـالا[6]
فانظر لنفسِكَ يا ابن سَعْدَةَ هل ترى ضُبُعـاً تجـرُّ بثـادِقٍ أوْصالا[7]

1 علقوا : طفقوا .
2 ثادق : اسم واد في ديار عقيل .
3 تمالى القوم : ساروا سيراً حثيثاً .
4 ابن سعدة : هو القتيل الذي قتلوه .
5 الجنة : السلاح ونحوه .
6 الحمول : الديات .
7 سعدة : هي أمّ الكميت التي قتلوها مع ابنها .

أَوصالَ سَعْدةَ والكميتِ وإنّما ... كان الكُميتُ على الكُميتِ عِيالا

وقال عبد الرحمن في ذلك : [من الطويل]

أُصبحتُمُ ثَكْلى لِئاماً وأَصبحتْ ... شياطينُ عُكْلٍ قد عَراهُنَّ فَقْعَسُ

قَضى مالكٌ ما قد قَضى ثم قلَّصت ... به في سواد الليل وجناءُ عِرْمِسُ[1]

فأَضحتْ بأَعلى ثادقٍ وكأَنّها ... مَحالَةُ غَرْبٍ تستَمِرُّ وتمْرُسُ[2]

[مصرعه]

وحدَّثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أَسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أَكثر من سبِّهم وهجائهم وتآمروا في قتله ، فقال بعضهم : لا تقتلوه ، ولتأخذوا عليه أن يمدَحَنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلَف من هجائه ، فعزموا على ذلك ، ثم إنّ رجلاً منهم كان قد عضَّه بهِجائه ، اغتفله فضربه بسيفه ، فقتله وقال في ذلك : [من الكامل]

قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سَبَّنا ... وزعمتَ أَن سِبابَنا لا يَقْتُلُ

قال عليّ بن سليمان : وقد رُوي أنّ البيت المتقدّم :

فلا تكثروا فيه الضّجاج فإنّه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أَجمعا

لهذا الشاعر الذي قَتَلَ ابنَ دارة ، وهو من بني أَسد ، وهكذا ذكر السكّريّ .

صوت

[من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثريا والمزارُ بعيدُ

فكيف بكم يا جملُ أَهلاً ودونكم ... بحورٌ يُقمِّصْن السَّفينَ وبيدُ[3]

إذا قلتُ : قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أَهوائنا وسعيدُ[4]

الشعر لمسعود بن خَرَشَة المازنيّ ، والغناء لبحر ، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 مالك : فقعسيّ هارب . والعرمس : الصلبة . وقلصت به : نجت به .

2 المحالة : البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو . والغرب : الكبيرة من الدلاء . وتمرس : من أمرس الحبل : أعاده إلى مكانه .

3 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .

4 سليمان وسعيد : واليان .

[456] ـ أخبار مسعود بن خرشة

[نسبه وهواه]

مسعودُ بنُ خَرَشَة أَحدُ بني حُرقُوصِ بن مازن بنِ مالك بن عمرِو بنِ تميم ، شاعرٌ إسلامي بدويٌّ من لصوص بني تَميم ، قال أَبو عمرو : وكان مسعودُ بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها : جُمْلٌ بنتُ شَراحيل ، أُختُ تَمّامِ بنِ شراحيلَ المازنيّ الشاعر ، فانتجع قَومُها ونأَوْا عن بِلادِهم ، فقال مسعود : [من الطويل]

كلانا يرى الجوزاءَ يا جُمْلُ إذ بدتْ ونَجْمَ الثّريّا والمَزارُ بعيدُ

فكيف بكم يا جُمْلُ أَهلاً ودونَكم بُحورٌ يُقَمِّصْن السَّفينَ وبِيدُ[1]

إذا قلت : قد حان القُفولُ يصدُّنا سليمانُ عن أَهوائنا وسعيدُ[2]

قال أبو عمرو : ثم خطبها رجل من قومها ، وبلغ ذلك مسعوداً فقال : [من الطويل]

أَيا جملُ لا تشقَيْ بأَقْعَسَ حَنْكلٍ قليلِ النَّدى يسعى بكيرٍ ومِحْلَبِ[3]

لـه أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنّما يراهنّ غُرّ الخيل أو هُنَّ أنجبِ

[يسرق إبلاً]

وقال أُبو عمرو : وسرق مسعودُ بن خرشَة إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ ، هو ورفقاءُ له ، وكان معه رجلان من قومه ، فأتوْا بها اليمامة ليبيعوها ، فاعترض عليهم أميرٌ كان بها من بني أُسد ، ثم عُزِلَ ووُلّي مكانَه رجلٌ من بني عُقَيْل فقال مسعود في ذلك : [من الوافر]

يقول المرجفون : أَجاءَ عهدٌ كفى عهداً بتنفيذ القِلاصِ

أَتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ أَغرَّ الوجه رُكّب في النواصي

---

1 قمص البحر السفينة : جعلها تضطرب .

2 سليمان وسعيد : والياِن .

3 الأقعس : من برز صدره ودخل ظهره في جسمه . الحنكل : القصير القامة ، أو اللئيم النذل .

حُصونُ بني عُقيلٍ كلُّ عَضْبٍ إذا فَزِعـوا وسابغةٍ دِلاصِ[1]
وما الجارات عند المَحْل فيهم ولو كثر الروازحُ بالخِماصِ[2]

قال : وقال مسعود «وقد» طلبه والي اليمامة ، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب : [من الطويل]

ألا ليت شعري هـل أبيتنّ ليلةً بوعثاءَ فيها للظبـاء مكانسُ[3]
وهل أنجُوَنْ من ذي لَبيدِ بن جابرٍ كأنَّ بناتِ الماء فيـه المُجالسُ
وهل أسمَعَنْ صوتَ القَطا تندب القطا إلى المـاء منه رابـع وخوامسُ

1 العضب : السّيف القاطع . والسّابغة الدلاص : الدّرع الصافية اللينة .
2 الروازح : جمع رازحة ، وهي الناقة الهزيلة ونحوها . الخماص : الجياع .
3 الوعثاء : الأرض ذات الصخور .

[457] ـ أخبار بحر ونسبه[1]

هو بحرُ بن العلاء ، مولى بني أُمَيَّةَ ، حجازيٌّ ، أدركَ دولةَ بني هاشم ، وعُمِّرَ إلى أيّام الرشيد ، وقد هَرِمَ ، وكان له أخٌ يقال له عبّاس ، وأخوه بحر أصغر منه ، مات في أيّام المعتصم ، وكان يلقَّب حامضَ الرأس ، وله صنعة ، وأَقدَمَهُ الرشيدُ عليه ، ثم كرهه ، فصرفه .

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : حدَّثني أحمد بن أبي خالد الأحول ، عن عليّ بن صالح صاحب المصلّى : أنّ الرشيد سمِع من عَلُّويَه ومخارقٍ وهما يومئذٍ مِنْ صِغار المغنِّينَ في الطبقة الثالثة أصواتاً استحسنها ، ولم يكن سمعها ، فقال لهما : مِمَّن أخذتما هذه الأصواتَ ، فقالا : من بَحْرٍ ، فاستعادها ، وشرب عليها ، ثم غنّاه مخارق بعد أيّام صوتاً لبَحْر ، فأمر بإحضاره ، وأمره أن يغنّي ذلك الصوت ، فغنّاه ، فسمع الرشيدُ صوتاً حائلاً مرتعشاً فلم يُعْجِبه ، واستثقله لولائِه لبني أُميّة ، فوصله ، وصرفه ، ولم يصل إليه بعد ذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يـا لَقومــي لِلنّوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردي نفسه وَهْو لا يَدري

وللأَرض كم من صالح قد تودَّأت ... عليــه فوارتْــهُ بلمّاعــةٍ قَفْرِ

عروضه من الطويل ، قال الأصمعيّ : يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم : يالَ كذا «بفتح اللام» وإذا دعوت للشيء . قلت بالكسرة ، تقول : يالَلرجال وياللقوم . وتقول : يا للغنيمة ويا لِلحادثة ، أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة ، فكأنّه قال : يا قوم اعجلوا للغنيمة . وروى الأصمعيّ وغيره مكان قد تودّأت : قد تلمّأت عليه ، وتلاءمت ، أي وارته ، ويروى : تأكّمت أي صارت أكمة .

الشعر لهدبة بن خشرم ، والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق 320 والكامل 1246–1249 والشعر والشعراء 2 : 691–695 والمرزباني 483 واللآلي 249–250 ، 639–640 والتبريزي 2 : 43–52 والخزانة 4 : 81–87 .

[458] ـ أخبار هدبة بن خشرم ونسبه
وقصته في قوله هذا الشِّعر وخبر مقتله

[نسبه]

هو هُدْبَةُ بنُ خَشْرَم بن كُرْزِ بن أُبي حيَّة بن الكاهن ، وهو سلمة ، بن أَسحمَ بن عامر بن ثعلبةَ بن عبد الله بن ذبيان بنِ الحارثِ بن سعد بن هُذَيم ؛ وسعد بنِ هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال : بل هو سعد بن أَسلم ، وهذيم عبدٌ لأَبيه رباه ، فقيل : سعد بن هذيم ، يعني سعداً هذا .

وهدبة شاعر فَصِيح من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية ، كان يروي للحُطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثيّر راوية جميل ، فلذلك قيل : إنّ آخر فحل اجتمعت له الراوية إلى الشعر كثير .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلّهم شاعر : حَوطٌ وسَيْحانُ والواسع ، أُمّهم حيَّةُ بنتُ أبي بكر بن أبي حيّة من رهطهم الأدْنَيْن ، وكانت شاعرة أَيضاً .

وهذا الشعر يقوله هُدْبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّةَ بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم .

أَخبرني بالخبر في ذلك جماعةٌ من شيوخنا ، فجمعتُ بعضَ روايتهم إلى بعض ، واقتصرتُ على ما لا بدّ منه من الأشعار ، وأتيتُ بخبرهما على شرح ، وألحقتُ ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان .

فممّن حدَّثني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ : تِينةُ قال : حدَّثنا خلف بن المثنى الحُدانيّ ، عن أبي عمرو والمدينيّ .

وأَخبرني الحسن بن يحيى ، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجيّ ، عن حمّاد بن إسحاق الموصليّ عن أَبيه .

وأَخبرني إبراهيم بن أَيّوبَ الصائغ ، عن ابن قتيبة .

[الحرب بين قومه وقوم زيادة بن زيد]

وأَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار ، عن عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، عن أَبيه عن عمّه . وقد نسبتُ إلى كلّ واحد منهم ما انفرد به من الرواية ، وجمعت ما اتّفقوا عليه ، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصّة : كان أوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن

ذبيان وبين بني رَقاش ، وهم بنو قُرَّة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان ، وهم رهط زيادة بن زيد ، وبنو عامر رهط هدبة ، أنّ حَوْطَ بن خشرم أخا هدبةَ راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مُطْلَقَهُما[1] من الغاية على يوم وليلة ، وذلك في القيظ ، فتزوّدوا الماء في الروايا والقِرَب ، وكانت أختُ حوطٍ سلمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهَّنت أوعية زيادة ، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه ، فقال زيادة : [من الرجز]

قـد جعلـت نَفْسيَ في أَدِيم مُحَـرَّمِ الدّبـاغ ذِي هُزُومِ
ثمّ رَمَت بِي عُرُضَ الدَّيْمومِ في بارحٍ من وَهَج السَّمومِ[2]
عند اطّلاع وعـرة النجوم[3]

قال اليزيديّ في خبره : المُحَرَّم : الذي لم يُدبغ ، والهُزوم : الشقوق .

قال : وقال زِيادَةُ أيضاً : [من الرجز]

قـد عَلِمَتْ سلمةُ بالعَميسِ ليلَـة مَرْمـارٍ ومَرْمَرِيسِ
أَنَّ أَبـا المِسْور ذو شَرِيس يَشفي صُداع الأَبلَج الدِّلْعِيسِ[4]

العَمِيسُ : موضع ، والمرمار والمَرمِريس : الشدّة والاختلاط ، وأبا المسور يعني زيادة نفسه ، وكانت كنيته أبا المسور .

[هدبة وزيادة يشبب كل منهما بأخت الآخر]

قال : فكان ذلك أَوَّلَ ما أثبت الضغائن بينهما . ثم إنّ هدبة بن خَشْرَم وزيادة بن زيد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام ، في رَكْبٍ من قومهما ، فكانا يتعاقبان السَّوْق بالإبل ، وكان مع هدبة أُخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال : [من الرجز]

عُوجِي علينا واربَعي يا فاطما ما دون أن يُرى البَعيرُ قائِما

أي ما بين مُناخ البعير إلى قيامه .

أَلا تَريـن الدمعَ منّي ساجما حِـذارَ دارٍ منك لـن تُلائما

---

1 مطلقهما : موضع إطلاقهما .

2 العرض : الجانب . الديموم : الصحراء المترامية الأطراف . البارح : الريح الحارة صيفاً . السموم : الحر الشديد .

3 النجوم : جمع نجم وهو ما لا ساق له من النبات .

4 الشريس : الشراسة ، وهي سوء الخلق . الدلعيس : الضخمة المترهلة من الإبل .

فعَرَّجَتْ مطَّرداً عُراهِما   فَعْماً يبذّ القُطُفَ الرَّواسما

مُطَّرد : متتابع السير ، وعُراهم : شديد ، وفَعْم ، ضخم ، والرسيم : سير فوق العَنَق ، والرّواسم : الإبل التي تسير هذا السيْرَ الذي ذكرناه .

كأَنَّ في المثناة منه عائمَا   إنَّكَ والله لأنْ تُباغِما[1]

المثناة : الزمام ، وعائم : سائح ، تباغم : تكلّم .

خَوْداً كأنّ البُوْصَ والمآكِما   منها نقاً مُخالطٌ صَرائما

البُوْص : العجز ، والمأكمتان : ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا : ما عظم من الرمل . والصرائم : دونه .

خيرٌ من استقبالك السَّمائما   ومن مُنادٍ يبتغي مُعاكِما

ويروى : ومن نداء ، أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عَكمك حتى تشدّه .

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأُخت زيادة ، وكانت تُدعى ، فيما روى اليزيديّ ، أُمَّ حازم ، وقال الآخرون : أُمَّ القاسم ، فقال هُدْبة : [من الرجز]

لقد أَراني والغُلامَ الحازما   نُزجي المَطيَّ ضُمّراً سَواهِما[2]

متى تَظُنّ القُلُصَ الرّواسما   والجِلَّةَ النّاجيةَ العَياهِما[3]

العَياهم : الشِّداد .

يُبلِغْن أُمَّ حازم وحازما   إذا هَبَطن مُسْتَحيراً قاتِما[4]

ورجَّع الحادي لها الهَماهِما   أَلا تَرَيْنَ الحُزنَ منّي دائما[5]

حِذارَ دارٍ منك لن تُلائما   والله لا يَشفي الفؤادَ الهائما

تَمساحُكَ اللَّبّاتِ والمآكِما   ولا اللِّمامُ دون أَن تُلازِما[6]

---

1 تباغم : من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت ليّن .

2 الضمر السواهم : النياق الصلبة .

3 القلص : جمع قلوص : الفتية من الإبل . والرواسم : التي تمشي الرسيم . الجلة : جمع جليل وهي الناجية : السريعة . العياهم : جمع عيهم وهي الناقة السريعة .

4 المستحير : الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي .

5 الهمهمة : الصوت تنوم المرأة به طفلها .

6 المآكم : رؤوس الأفخاذ .

ولا اللِّئـــام دون أن تُفاقما ولا الفِقـــامُ دون أن تفاغَما[1]

وتَعلُوَ القوائمُ القوائما

قال : فشتمه زيادة ، وشتمه هُدبة ، وتسابّا طويلاً ، فصاح بهما القوم اركبا ، لا حملكما الله . فإنّا قوم حُجّاج ، وخَشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما ، حتى أمسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدّهما حنقاً ، لأنّه رأى أن زيادة قد ضامَه ، إذ رجز بأُخته وهي تسمع قولَه ، ورجز هو بأُخته ، وهي غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة ، حتى قضيا حجّهما ، ورجعا إلى عشيرتيهما .

[هجائهم هدبة]

قال اليزيديّ خاصة في خبره : ثم التقى نفر من بني عامر ، من رهط هدبة ، فيهم أبو جَبْر ، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه ، وخَشْرَمٌ أبو هدبة ، وزُفَر عمّ هدبة ، وهو الذي بعثَ الشرّ ، وحجّاج بن سلامة ، وهو أبو ناشِبٍ ، ونفر من بني رَقاش رهط زيادة ، وفيهم زيادة بن زيد ، وإخوته : عبد الرحمن ونفَّاعٌ وأدرَعُ بواد من أودية حرَّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسَّانية ، وهو أدرع ، وكان زفر عمّ هدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش ، فقام له أدرع فرجز به فقال : [من مجزوء الرجز]

أدُّوا إلينـــا زُفَـــرا نعرفُ منـه النَّظَرا

وعينَــه والأَثَرا

قال : فغضب رَهْط هُدبة ، وادَّعوا حَدّاً على بني رقاش ، فتداعَوْا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَع إليهم أدرعُ ، فيخلو به نَفَرٌ منهم ، فما رأوه عليه أمضَوْه ، فلمّا خلَوا به ضربوه الحدّ ضرباً مبرِّحاً ، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغَضِبوا ، فقال عبد الرحمن بن زيد : [من الوافر]

ألا أبلـغ أبــا جَبْرٍ رسولاً فما بينـي وبينكُـم عِتابُ

ألم تعلـمْ بـأن القوم راحوا عشيّةَ فارقوك وهـم غِضابُ

فأجابه الحجّاج بن سلامة فقال : [من الطويل]

إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِماً رقاشَ فـزاد اللهُ رَغْمـاً سِبالَها[2]

---

1 الفقام : المباضعة . والفغام : التقبيل .

2 ابن كنعاء : أدرع . السبال : طرف الشارب ، أو مقدم اللحية .

منعنا أَخانا إذ ضربنـــا أَخاكُم وتلك مـــن الأَعــداء لا مِثْلَ مالها

[هو وزيادة يتهاديان الأشعار]

قال اليزيديّ في خبره : وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ، ويتفاخران ، ويطلب كُلُّ واحدٍ منهما العُلُوَّ على صاحبه في شعره ، وذكر أشعاراً كثيرة ، فذكرتُ بعضها ، وأَتيتُ بمختار ما فيه ، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أَوّلها : [من الطويل]

أَراك خليلاً قَــد عزمت التّجنبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأَصحبا[1]

اخترت منها قوله :

وأَنّك للنّاس الخليــلُ إذا دنــتْ بــه الدارُ ، والباكي إذا ما تغيَّبا

وقد أَعذَرَتْ صرفُ الليالي بأَهلها وشَحْطُ النَّوى بيني وبينك مَطلبا

فلا هي تأْلو مـا نـأَتْ وتباعَدَتْ ولا هــو يأْلــو مــا دنا وتقرَّبا

أَطعتُ بها قول الوشاة فلا أَرى الـ ـوشاةَ انتهوا عنه ولا الدهر أَعتبا

فهــلاّ صَرَمْــتِ والحبــالُ متينةٌ أُميمـــةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا

إذا خفتَ شكَّ الأَمرِ فارمِ بعزمة غَيابَتَه يركب بك الدهــرُ مركبا

وإن وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُرُوجُها فإنّــك لاقٍ لا محالـــة مذهبا

يُلامُ رجــالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم وكيــف يُــلام المرءُ حتى يُجرَّبا

وإنّي لَمِعــراضٌ قليـــلٌ تعرُّضي لوجــه امرىءٍ يوماً إذا ما تجنَّبا[2]

قليلٌ عِثاري حين أُذعَرُ ، ساكنٌ جَناني إذا ما الحرب هرَّت لتكْلَبا[3]

بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل قِــراهُ ونَوِّبْـــه إذا مـــا تنوّبا[4]

ولا تَنتجع شرّاً إذا حيل دونــه بِسِتْرٍ وهَــبْ أَسبابَه مــا تهيّبا

أَنا ابن رَقاشٍ وابــنُ ثعلبةَ الذي بنى هاديــاً يعلــو الهواديَ أَغلبا[5]

بَنى العِزُّ بنياناً لقومي فماصَعُوا بأَسيافهم عنــه فأَصبح مُصعَبا[6]

---

1 أصحب الفؤاد : أصابه خبل .

2 معراض : كثير الإعراض .

3 هرت : كشرت عن أنيابها . لتكلب : لتشتدّ .

4 نوّبه : حفظ حقّه في النوبة عند الركوب نحوه .

5 الهادي : العنق . الأغلب : الغليظ العنق .

6 ماصع : جالد .

فما إنْ ترى في النّاس أُمّاً كأُمّنا ... ولا كأبينـا حـين ننسُبُه أبا
أتـمَّ وأنمى بالبنـين إلى العلا ... وأكرمَ منّـا في المناصب مَنصبا
مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأنَّ لنا حقّـاً على النـاس تُرتَبا

قال اليزيديّ : تُرتَب : ثابت لازم .

بآيـةِ أنّا لا نـرى مُتَتَوِّجاً ... من الناسِ يعلونا إذا مـا تعصَّبا
ولا مِلكـاً إلاّ اتّقانـا بمُلكـه ... ولا سُوقَةً إلاّ على الخَرْجِ أُتعِبا[1]
ملكنـا ملوكاً واستبحْنا حِماهمُ ... وكنّا لهم في الجاهليّـة موكِبا
نَدامـى وأردافاً فلم تَـرَ سُوقةً ... توازننـا فاسأل إيـاداً وتَغلِبا[2]

فأجابه هدبة ، وهذا مختار ما فيها فقال : [من الطويل]

تَذَكَّرَ شَجواً مـن أُميمةَ مُنصِبا ... تليداً ومُنتاباً مـن الشوقِ مُجْلِبا[3]
تَذَكَّر حبّـاً كان في مَيْعة الصِّبا ... ووجداً بها بعـد المشيب مُعتِّبا[4]
إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها ... فيا لـكِ مـا عَنّى الفؤادَ وعذَّبا
غَـدا في هواهـا مستكيناً كأنّه ... خليعُ قِـداحٍ لم يجـد مُتنشَّبا[5]
وقـد طال ما عُلِّقْتَ ليلى مُغمّرا ... وليـداً إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا

المغمّر : للغمر أي غير حدث .

رأيتك في لَيلى كذي الدّاءِ لم يجد ... طبيباً يداوي مـا بـه فَتَطَبَّبا
فلمّا اشتفى ممّـا بـه كـرَّ طِبُّه ... على نفسه من طول ما كان جرَّبا

[يقتل زيادة فيسجن]

فلم يزل هدبة يطلبُ غِـرَّةَ زيـادة حتى أصابها فبيَّته فقتله ، وتنحّى مخافة السلطان ، وعلى المدينة يومئذٍ سعيدُ بن العاص ، فأرسل إلى عمّ هدبة وأهلِه فحبسهم بالمدينة ، فلمّا بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نَفسه وتخلّص عمَّه وأهلَه ، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية ، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يُقِيد منه إذا قامت البينة ،

1 الخرج : الضريبة ونحوها .
2 أرداف : جمع ردف ، وهو خليفة الملك في الجاهلية .
3 منصب : متعب . مجلب : من أجلب الجرح : علته القشرة .
4 معتب : مستوجب للعتاب واللوم .
5 الخليع : من غلب في القمار . المنتشب : من النشب ، وهو النبل .

فأقامها ، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن ، فسألوه قبول الدية فامتنع ، وقال : [من الطويل]

صوت

أنختُم علينا كَلْكَلَ الحرب مُرَّة ... فنحن مُنيخوها عليكم بكلكلِ

فلا يدْعُني قومي لزيدِ بن مالك ... لئن لم أُعجِّل ضربةً أو أعجَّلِ

أبعد الذي بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ[1]

كريمٌ أصابته دياتٌ كثيرة ... فلم يدرِ حتى حين من كل مدخلِ

أُذكَّر بالبُقْيا على مَن أُصابني ... وبُقياي أنِّي جاهدٌ غيرُ مؤتلي[2]

غنّاه ابن سُرَيْج رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر .

رجع الخبر إلى سياقته

وأمّا عليّ بن محمد النوفليّ ، فذكر عن أبيه : أنّ سعيدَ بن العاص كره الحكم بينهما ، فحملهما إلى معاوية ، فنظر في القصّة ، ثم ردّها إلى سعيد . وأمّا غيره فذكر أنّ سعيداً هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية .

قال عليّ بن محمد عن أبيه : فلمّا صاروا بين يَدَيْ معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دُفِعْتُ إليه ، وجرى عليَّ وعلى أهلي وقُرْبايَ وقتلَ أخي زيادة ، وترويعَ نسوتي ، فقال له معاوية : يا هُدبة قُل . فقال : إنّ هذا رجل سَجّاعة ، فإن شئت أن أقصّ عليك قصّتنا كلاماً أو شعراً فعلتُ ، قال : لا بل شعراً ، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالاً : [من الطويل]

ألا يا لَقومي لِلنّوائب والدّهر ... ولِلمرءِ يُردِي نفسه وهْو لا يدرِي

وللأرض كم من صالحٍ قد تأكَّمَت ... عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ

فلا تتّقي ذا هَيْبة لجلالِه ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يُتركْن للفقرِ

حتى قال :

رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ

وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا ... وراءك من مَعدًى ولا عنك من قَصْرِ

1 النعف : المكان المرتفع . وكويكب : موضع في ديار سعد بن هزيم .

2 غير مؤتل : غير مقصر في طلب الوتر .

فإن تَكُ في أموالنـا لم نَضِق بهـا ذِراعاً ، وإن صبرٌ فنصبرُ للصَّبرِ

فقال له معاوية : أراكَ قد أقررت بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولَدٌ ؟ قال : نعم ، المسوَر ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمّه ووليُّ دم أبيه ، فقال : إنّك لا تؤمَن على أخذ الديَة أو قتلِ الرجل بغير حق ، والمِسور أحقُّ بدم أبيه فَرَدَّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسوَر .

[بينه وبين جميل بن معمر]

أخبرني الحِرْميّ بن العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : نسخت من كتاب عامر بن صالح قال : دخل جميلُ بن مَعْمَرِ العُذْريُّ على هدبة بن خَشْرمٍ السجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد ، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إيّاها سعيدُ بن العاص ، وجاءه بنفقة ، فلمّا دخل إليه عرض ذلك عليه ، وسأله أن يقبله منه ، فقال له هدبة : أأنت يا ابن مَعْمرٍ الذي تقول : [من الطويل]

بنـي عامـرٍ أنَّى انتجعْتُـم وكنتـمُ إذا عُدِّد الأقـوامُ كالخُصْية الفَردِ ؟

أما والله لئن خلّص اللهُ لي ساقي لأمدنّ لك مضماركَ[1] ، خذ بُرديك ونفقَتَك ، فخرج جميلٌ ، فلمّا بلغ باب السجن خارجاً قال : اللهمّ أغْنِ عنّي[2] أجدعَ بني عامر ، قال : وكانت بنو عامر قد قلّت ، فحالَفت لإياد .

[من شعر أمّه فيه]

قال أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : فقالت أمّ هُدبة فيه لما شَخَص إلى المدينة فَحُبِسَ بها : [من الطويل]

أيـا إخوتـي أهـلَ المدينة أكرموا أسيركُـمُ إنّ الأسيـرَ كريـمُ
فَـرُبَّ كريـمٍ قـد قَـراه وضافَه ورُبَّ أمـورٍ كلُّهـن عظيـمُ
عَصـى جلُّهـا يومـاً عليـه فراضَه مـن القـوم عَيّافٌ أشمُّ حليـمُ

[يتوسّطون له فترفض وساطتهم]

فأرسل هدبةُ العشيرةَ إلى عبد الرحمن في أوّل سنة فكلّموه ، فاستمع منهم ثم قال : [من الطويل]

1 لأمدن لك مضمارك : لأوسعن الميدان الذي ألاقيك فيه .
2 أغنِ عنّي : اكفني شرّه .

أبعْــدَ الذي بالنَّعف نعــفِ كُوَيْكِبِ رهينــةِ رمس ذي تُــراب وجندَلِ
أُذكَّــر بالبُقيــا عــلى مَــنْ أصابني وبُقْيــايَ أنّي جاهــدٌ غيرُ مُؤْتلي

فرجعوا إلى هدبةَ بالأبيات فقال : لم يُوئسُني بعدُ ، فلمّا كانت السنة الثالثة بلغ المِسور ، فأرسل هدبةُ إلى عبد الرحمن مَنْ كلَّمه فأنصت حتى فرغوا ، ثم قام عنه مغضباً وأنشأ يقول : [من الطويل]

سأُكْذِب أقوامــاً يقولون : إنّنــي سآخــذُ مــالاً مــن دم أنا ثائرُهْ[1]
فبِاسْتِ امرىءٍ واسْتِ التي زَحَرت به يسوق سَوامــاً مــن أخٍ هــو واترُهْ

ونهض ، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال : الآن أيستُ منه ، وذهب عبد الرحمن بالمِسور ، وقد بلغ إلى والي المدينة ، وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فأخرج هدبة .

[لقاؤه الأخير بزوجته]

قالوا : فلمّا كان في الليلة التي قُتِل في صباحها أرسلَ إلى امرأته ، وكان يحبّها : إيتيني الليلة أستَمتع بك وأودِّعك ، فأتته في اللِّباس والطيّب ، فصارت إلى رجل ، قد طال حبسُه ، وأنتنت في الحديد رائحتُه ، فحادَثها ، وبكى ، وبكت ، ثم راودها عن نفسها ، وطاوَعته ، فلمّا عَلاها سمعَتْ قَعقعةَ الحديد فاضطربت تحته ، فتنحّى عنها وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأَدْنَيْتني حتــى إذا مــا جعلتِني لَدى الخصْر أو أَدنى استَقَلَّك راجفُ[2]
فــإن شئتُ والله انتهيــتُ وَإنّنــي لئــلاّ ترَيْني آخــرَ الدّهــر خائفُ
رأت ساعــدَيْ غُــولٍ وتحت ثيابه جآجــيء يدْمى حدُّهــا والحراقفُ[3]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويلٌ جدّاً وفيه يقول :

صوت

فلم تَــرَ عيني مثــلَ سربٍ رأيتُــه خرجْنَ علينا من زقــاق ابنِ واقفِ[4]
تضمَّخْن في الجاديِّ حتــى كأنّما الأ نــوفُ إذا استَعْرَضْتَهُــنَّ رَواعِفُ[5]

---

1 أنا ثائره : أنا طالب ثأره .
2 استقلك راجف : أصابك ما أفزعك .
3 جآجيء : جمع جؤجؤ ، وهو عظم الصدر . الحراقف : جمع حرقفة ، وهو أعلى الورك .
4 في هذا البيت إقواء .
5 الجادي : الزعفران .

خرجن بأعناق الظباء وأعيُن الـ ـجآذرِ وَارتجَّت لهن السَّوالفُ[1]
فلو أنَّ شيْئاً صاد شيئاً بطَرفه لصِدْن ظباء فوقهنَّ المطارفُ

غنّى فيه الغريض رملاً بالبنصر من رواية حَبَش ، وفيه لحن خفيف ثقيل ، وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً ليونس ، ولم يذكر طريقته في مجرده .

[يفضل السمكات على سربه]

أخبرنا الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير عن عمِّه قال : مَرَّ أبو الحارث جُمَّيْن يوماً بسوق المدينة ، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاثُ سمكات قد شقَّ أجوافَها : وقد خرج شحمُها ، فبكى أبو الحارث ، ثم قال . تَعِس الذي يقول : [من الطويل]

فلم تَــرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

وانتكس وَلا انجبر ، والله لهذه السمكات الثلاث أحسَنُ من السرب الذي وصف .

وَأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع لأنّه ليس بالمدينة زُقاقٌ يعرف بزقاق ابن واقف ، ولا بها سَمَك ، ولكن رويت ما رُوي .

[حُبّى ترثي لحاله وهو أسير]

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كُناسة قال : مُرَّ بهُدْبَةَ على حُبّى ؛ فقالت : في سبيل الله شبابُك وجلَدُك وَشِعْرُك وكرمُك ؛ فقال هدبة : [من الطويل]

تَعَجَّبُ حُبَّى من أسير مُكبّلٍ صَلِيبِ العَصا باقٍ على الرَّسَفانِ[2]
فلا تَعْجَبي مِنّي حَليلَة مالكٍ كذلك يأتي الدهرُ بالحَدْثانِ

[يبين لزوجته أوصاف من يتزوجها بعده]

وقال النوفليُّ عن أبيه : فلمّا مُضِيَ بِهِ من السجن للقتل ، التفَتَ فرأى امرأته ؛ وكانت من أجمل النساء فقال : [من الطويل]

أقِلّي عليّ اللّومَ يا أمّ بَوزَعا ولا تَجْزَعي ممّا أصابَ فأوجعا
ولا تنْكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا أغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[3]
كَليلاً سوى ما كان من حَدّ ضِرْسه أكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشيّاتِ أرْوَعا[4]

1 السوالف : جمع سالفة ، وهي جانب العنق .
2 حبّى : اسم امرأة . الرسفان : المشي الوئيد الذي يمشيه الرجل في القيد .
3 الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه .
4 مبطان العشيات : كثير الأكل ليلاً . أروع : من الروع ، أي الخوف .

ضَروباً بلَحييْه على عَظْمِ زَوره إذا النّاس هَشُّوا للفعال تَقَنَّعا[1]
وحُلّي بذي أُكرومة وحَمِيّةٍ وَصبْرٍ إذا ما الدّهر عَضَّ فأسرَعا

[زوجته تشوه جمالها بسكين]

وقال حَمّاد عن أبيه عن مُصْعب بن عبد الله قال : لمّا أُخرِج هُدبةُ من السجن ليُقتل ، جعل الناسُ يتعرَّضون له ويَخْبُرون صَبْره ، ويَسْتَنْشِدونه ، فأدرَكه عبدُ الرحمن بنُ حسّانَ ، فقال له : يا هدبةُ ، أتأمُرني أن أتزوّج هذه بَعْدَك ، يعني زوجتَه ، وهي تمشي خلفَه فقال : نعم ، إن كنتَ من شَرْطها ، قال : وما شَرْطُها ؟ قال : قد قُلتُ في ذلك : [من الطويل]

فلا تنكَحِي إنْ فَرَّق الدهرُ بيننا أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنزعا
وكُوني حَبِيساً أو لأروعَ ماجدٍ إذا ضَنَّ أعشاشُ الرّجال تَبرَّعا[2]

فمالت زوجتُه إلى جزّار وأخذت شَفرَته ، فجَدَعت بها أنفَها ، وجاءته تَدْمى مجدوعة فقالت : أتخاف أن يكون بَعد هذا نِكاح ؟ قال : فرسَف في قُيودِه وقال : الآن طابَ الموت .

وقال النوفليُّ عن أبيه : إنّها فعلت ذلك بحَضْرة مَرْوان وقالت له : إنّ لهُدْبة عندي وَدِيعة ، فأمهِلْه حتى آتِيَه بها ، قال : أسرِعي ، فإنّ الناس قد كَثُروا ، وكان جلس لهم بارِزاً عن دارِه فمضت إلى السُّوق ، فانتهت إلى قصّاب وقالت : أعطني شَفرتك ، وخُذ هذين الدرهمين وأنا أردُّها عليك ، ففَعَل ، فقَربت من حائط ، وأرسلت مِلْحَفَتها على وَجهها ، ثم جدعت أنفها من أصْله ، وقطعت شَفَتَيْها ، ثم ردَّت الشفرَة ، وأقبلت حتى دَخَلَت بين الناس وقالت : يا هُدْبةُ ، أتُراني متزوّجةً بعدما تَرى ؟ قال : لا ، الآن طابت نَفْسي بَعْد بالموت ، ثم خرَج يرسُف في قيودِه ، فإذا هو بأبوَيْه يتوقّعان الثّكل ، فهما بسُوء حال ، فأقبل عليهما وقال : [من الرمل]

أبلِياني اليومَ صبراً منكما إنّ حُزْناً إن بدا بادِىءُ شرّ
لا أُراني اليومَ إلاّ ميّتاً إنَّ بعدَ الموت دارَ المستَقَرّ
اصبِرا اليوم فإنّي صابِرٌ كلُّ حَيٍّ لقَضاءٍ وقَدرْ

[زوجته تنكث بعهدها]

قال النوفليّ : فحدَّثني أبي قال : حدَّثني رجلٌ من عُذرةَ عن أبيه قال : إنّي لببلادنا يوماً في بعض المياه ، فإذا أنا بامرأة تَمشي أمامي وهي مدبرة ، ولها خَلْق عجيب من عَجُز وهَيْئة ،

1 الناس في الشعر والشعراء : القوم . اللحيان : العظمان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية .
2 أعشاش الرجال : من عش معروفة بمعنى قلّله .

وتمام جسم ، وكمال قامَة ، فإذا صَبِيَّان قد اكتنفاها يمشِيان ، قد ترعرعا ، فتقدّمتُها ، والتفتُّ إليها ، فإذا هي أقبحُ مَنْظر ، وإذا هي مجدوعةُ الأنف ، مقطوعةُ الشفتين ، فسألتُ عنها فقيل لي : هذه امرأة هُدْبة ، تزوَّجت بعده رَجُلاً ، فأولدَها هذين الصَّبِيَّين .

[أخو زيادة يرفض الدية]

قال ابنُ قُتيبة في حديثه : فسأل سعيدُ بن العاص أخاً زيادَة أن يَقْبَل الدية عنه ، قال : أُعطيك ما لم يُعطِه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاء[1] ولا ذاتُ داء ، فقال لـه : والله لو نَقَبْت لي قُبّتك هـذه ، ثم ملأْتَـها لي ذهباً ، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع ، فلم يزل سعيد يسألُـه ، ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أرَدتُ قبول الدّية لمنعني قوله : [من البسيط]

لَنجدَعَـنَّ بأيدينـا أُنوفَكـم ... ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه حينئذٍ ليقتله بأخيه .

[يعرض بحبّى وهو في طريقه إلى الموت]

قال حمّاد : وقرأتُ على أبي عن مصعب بن عبد الله بن الزُّبيريّ قال : ومَرَّ هُدبةُ بحُبَّى ، فقالت له : كنتُ أعدّك في الفتيان ، وقد زَهِدْتُ فيك اليوم ، لأنّي لا أنكر أن يَصْبر الرّجال على الموت ، لكن كيف تَصْبر عن هذه ؟ فقال : أما والله إنَّ حُبّي لها الشديد ، وإن شِئْتِ لأصفَنَّ لك ذلك ، ووقف الناس معه ، فقال : [من الطويل]

وَجدت بها ما لم تَجِد أُمّ واحدٍ ... ولا وجدُ حُبّـى بابن أُمّ كِلابِ

رأته طويـل السّاعدين شمَرْدَلا ... كما تَشْتَهي من قـوّة وشبابِ[2]

فانقمعت[3] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه . قالوا : فدُفع إلى أخي زيادة ليقتُلَه ، قال : فاستأذن في أن يُصَلّي ركعتين ، فأَذِن له ، فصلاّهما وخفّف ، ثم التفتَ إلى مَنْ حضر فقال : لولا أن يُظَنّ بي الجزعُ لأطَلْتهُما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ، ثم قال لأهله : إنّه بلغني أنّ القَتيل يَعقِل ساعة بعد سُقوط رأسه ، فإن عَقَلْتُ فإنّي قابضٌ رجلي وباسطُها ثلاثاً ، ففعل ذلك حين قُتِل ، وقال قبل أن يُقتَل : [من الطويل]

إن تقتُلوني في الحديـد فإنّني ... قتلتُ أخـاكم مُطْلَقـاً لم يُقيّدِ

---

1 الجدّاء : القليلة اللبن من مرض أصابها .

2 الشمردل : الجميل الخلق .

3 فانقمعت : ولّت هاربة .

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : والله لا قَتَلْتُه إلاّ مُطلقاً من وَثاقه ، فأُطلق له ، فقام إليه وهزّ السيف ثم قال : [من الرجز]

قد علِمتْ نفسي وأنت نعلمُهْ لأَقتلَنَّ اليومَ مَن لا أَرحمُهْ

ثم قتله .

فقال حمّاد في روايته : ويقال : إنّ الذي تولّى قتلَه ابنُه المِسْور ، دفع إليه عَمُّه السيفَ وقال له : قم فاقتل قاتل أبيك ، فقام ، فضَرَبَه ضربتين قتله فيهما .

[كاهنة تتنبأ بقتله صبرا]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أَبي قال : بلغني أَنّ هدبة أَوّل مَن أُقِيد منه في الإسلام .

قال أحمد بن الحارث الخرّاز : قال المدائنيّ : مرّت كاهنة بأُمّ هُدْبة وهو وأُخوته نِيامٌ بين يديها ، فقالت : يا هذه ، إنّ الذي معي يُخبرني[1] عن بنيك هؤلاء بأمر . قالت : وما هو ؟ قالت : أمّا هُدبة وحَوْطٌ فيُقتلان صَبْرا[2] ، وأمّا الواسع وسَيْحان فيموتان كَمَداً ، فكان كذلك .

أَخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأْتُ على أبي : أَخبرك مروان بن أَبي حفصة قال : كان هُدبة أشْعَر النّاس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقِيد منه ، قال الخرّاز عن المدائنيّ : قال واسعُ بنُ خَشْرم يرثي هُدْبَةَ لّما قُتِل : [من البسيط]

يا هُدْبَ يا خَيْرَ فتيان العشيرةِ مَنْ يُفجَعْ بمثلك في الدُّنيا فقد فُجعا

الله يعلم أَنِّي لو خشيتهمُ أَو أَوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أُسلِم أَخي لهمُ حتى نَعيش جَمِيعاً أَو نَمُوت معا

وهذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم ، لّما بلغه قَتلُ أخيه محمد .

[أخبار هدبة وزياد]

أَخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حَدَّثنا أَحمد بن أَبي خَيْثَمَة قال : حدَّثني مصعبٌ الزُّبيريُّ قال : كنّا بالمدينة أَهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأشعارهما ازدَريناه ، وكنّا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها .

1 تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مؤاخاته .

2 يقتل صبراً : يحبس حتى يموت .

[جميل بن معمر راوية له]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أخبرني محمد بن الحسن الأحول ، عن رواية من الكوفيِّين قالوا : كان جميلُ بن معمر العُذْريّ راوية هُدْبة ، وكان هُدبة راويةَ الحطيئة ، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه .

[عائشة أمّ المؤمنين تدعو له بعد موته]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المُهَلَّبيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو المغِيرة محمد بن إسحاق قال : حدَّثني أبو مُصعَب الزُّبيريّ قال : حَدَّثني المُنكَدِرُ بنُ محمد بنِ المُنْكَدِر ، عن أبيه قال : بعث هُدبةُ بنَ خَشْرم إلى عائشةَ زوج النبيّ ﷺ يقول لها : استغفري لي ، فقالت : إن قُتِلْتَ استغْفَرْتُ لك .

صوت

[من الطويل]

أَلم تَـرَ أَنِّي يـومَ جوٍّ سُوَيْقَةٍ ... بكيتُ فنادتني هُنيـدةُ ما لِيـا ؟

فقلتُ لهـا : إنّ البكاء لراحـةٌ ... بـه يشتفي مَنْ ظنّ أَن لا تلاقيا

قفي ودّعينـا يـا هُنَيْدَ فإنَّني ... أَرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا

ويروى : أَرى الركبَ قد شاموا[1] .

إذا اغرورقت عَيناي أَسبَلَ منهما ... إلى أَن تغيب الشِّعْريان بكائيا[2]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ، وهي فيما قيل أَوّلُ قصيدة هجاه بها ، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، قال الهشاميّ : وفيه لمالك ثقيل أوّل ، وابتداء اللحنين جميعاً .

أَلم تَـرَ أَنّي يوم جوّ سُوَيْقَة

ولعلُّويَه فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه :

قفي ودعينا يـا هنيدَ فإنَّني

1 شام السحاب والبرق ونحوها : نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا ، والمراد هنا النجعة والرحيل .

2 الشعريان : نجمان .

[459] ـ نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته[1]

[نسبه]

الفرزدق لقب غَلَب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجفِّفه النساءُ للفَتوت ، وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيُخبَز منها الرغيف ، شُبِّه وجهه بذلك ؛ لأنّه كان غليظاً جهماً . واسمه همّام بن غالبِ بن صَعصعةَ بن ناجيةَ بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناةَ بن تميم .

قال أبو عبيدة : اسم دارم بحر ، واسم أَبيه مالكٍ عوف[2] ويقال عرف . وسُمِّي دارمٌ دارماً لأنّ قوماً أتوا أباه مالكاً في حَمالة[3] فقال له : قُم يا بحر فأْتني بالخريطة ، يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها يدرِم عنها ثِقلاً ، والدّرمان : تقارب الخطو ، فقال لهم : جاءَكم يَدْرِم بها ، فسُمِّي دارماً ، وسُمِّي أبوه مالِكٌ غَرفاً لجوده .

وأمّ غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيانَ بن مجاشع .

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم ، ويلقّب الأَخطل ، ليست له نباهة ، فأَعقب ابناً يقال له محمد ، فمات والفرزدق حيّ فرثاه ، وخبرُه يأتي بعد . وكان للفرزدق من الولد خَبطةٌ ولَبطةٌ وسَبطة ، هؤلاء المعروفون ، وكان له غيرهم فماتوا ، ولم يُعرفوا . وكان له بنات خمس أو ستّ .

وأُمّ الفرزدق ، فيما ذكر أَبو عبيدة ، لينة بنت قرظة الضَّبيَّة .

[صعصعة محيي الموءودات]

وكان يقال لصعصعة محيي الموءودات ؛ وذلك أَنّه كان مرّ برجلٍ من قومه ، وهو يحفِر بئراً ، وامرأته تبكي ، فقال لها صعصعة : ما يبكيك ؟ قالت : يريد أن يئد ابنتي هذه ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : الفقر . قال : فإِنِّي أشتريها منك بناقتين

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1 : 471–482 وطبقات ابن سلاّم : 299–379 والموشّح 156 والسمط 44 وابن خلكان 6 : 86 والخزانة 1 : 105 والشذرات 1 : 141 والشريشي 1 : 142 وشرح شواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى 1 : 43 ومرآة الجنان 1 : 234 وعبر الذهبيّ 1 : 236 وسير الذهبي 4 : 590 ومعاهد التنصيص 1 : 45 والنجوم الزاهرة 1 : 268 وسرح العيون : 389 ، 464 . والبداية والنهاية 9 : 265 ، ومعجم الأدباء 2785/6–2788 .

2 ل : غرف .

3 الحمالة : الغرامة يحملها قوم عن قوم أو الدية .

يتبعهما أولادهما ، تعيشون بألبانهما ، ولا تئد الصبية ، قال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً ، وقال في نفسه : إن هذه لمكرُمةٌ ما سبقني إليها أحد من العرب ، فجعل على نفسه ألاّ يسمع بموءودة إلاّ فداها ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة ، وقيل : أربعمائة .

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن دَماذ ، عن أبي عبيدة .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا : حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ ، عن محمد بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال : قال صعصعة : خرجتُ باغياً ناقتين لي فارقتين ، والفارق : التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها ، حتى تُنْتِج ، فرُفعت لي نار فسرت نحوها ، وهممت بالنزول ، فجعلت النار تضيء مرّة ، وتخبو أخرى ، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت : اللهمّ لك عليّ إن بلّغتني هذه النار ألاّ أجِد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد النّاس أن يفرّجها إلاّ فرّجتها عنهم ، قال : فلم أسر إلاّ قليلاً حتى أتيتها ، فإذا حيٌّ من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادر[1] أشعر يوقدها في مقدّم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض ، قد حبستهنّ ثلاث ليال . فسلّمت فقال الشيخ : مَن أنت ؟ فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال ، قال : مرحباً بسيِّدنا ، ففيمَ أنت يا ابن أخي ؟ فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عُمِّيَ عليّ أثرُهما ، فقال : قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك ، وقد نتجناهما ، وعطفت إحداهما على الأخرى ، وهما تانك في أدنى الإبل . قال : قلت : ففيم توقد نارك منذ الليلة ؟ قال : أوقدها لامرأة ماخض[2] قد حبستنا منذ ثلاث ليال ، وتكلّمت النساء فقلن : قد جاء الولد ، فقال الشيخ : إن كان غلاماً فوالله ما أدري ما أصنع به ، وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها ، أي أقتلنها ، فقلت : يا هذا ذرها فإنّها ابنتك ، ورزقها على الله ، فقال : اقتُلْنها ، فقلت : أنْشُدك الله ، فقال : إنّي أراك بها حفيّاً ، فاشترها منّي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : ما تعطيني ؟ قلت : أعطيك إحدى ناقتيّ قال : لا ، قلت : فأزيدك الأُخرى ، فنظر إلى جملي الذي تحتي ، فقال : لا ، إلاّ أن تزيدني جملَك هذا ، فإنّي أراه حسن اللون شابّ السّنّ ، فقلت : هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه ، قال : قد فعلت ، فابتعتها منه بلقوحين[3] وجمل ، وأخذت عليه عهدَ الله وميثاقه ليُحسنَنَّ بِرّها وصلتَها ما عاشت ، حتى تبين منه ، أو

---

1 حادر : سمين الجسم غليظ .

2 ماخض : أدركها المخاض .

3 بلقوحين : بناقتين حاملتين .

يدركها الموت ، فلمّا برزتُ من عنده حدَّثتني نفسي وقلت : إنّ هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب ، فآليت ألاّ يئد أحد بنتاً له إلاّ اشتريتها منه بلَقوحين وجمل ، فبعث الله عَزّ وجلَّ محمداً عليه السلام ، وقد أحييتُ مائة موءودة إلاّ أربعاً ، ولم يشاركني في ذلك أحد ، حتى أنزل الله تحريمَه في القرآن ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد من شعره ، ومنها قصيدتُه التي أوّلُها : [من الطويل]

أبي أحـدُ الغَيْثَيْن صعصعةُ الذي ... متى تُخْلفِ الجوزاءُ والدّلْوُ يُمْطِرِ[1]

أجارَ بنـاتِ الوائِدينَ ومن يُجِرْ ... على الفقـر يُعْلَمْ أنّه غيرُ مُخْفِرِ[2]

على حينَ لا تُحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الأَصنام حول المدَوَّرِ[3]

المُدَوّر : يعني الدّوّار الذي حول الصنمْ ، وهو طوافهم .

أنـا ابـن الذي ردّ المنيّةَ فضلُه ... فما حسبٌ دافعتُ عنـه بمُعْوِرِ[4]

وفـارقِ ليلٍ من نساءٍ أتتْ أبي ... تُمـارس ريحـاً ليلُها غير مُقْمِرِ[5]

فقالت : أَجِرْ لي ما ولدتُ فإنّني ... أتيتك مـن هزلى الحَمولـةِ مُقْترِ[6]

هِجفٌّ من العُثْو الرؤوس إذا بدت ... لـه ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكرِ[7]

رأى الأَرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُـدَدٍ منها إلى شرّ مخفرِ[8]

فقـال لهـا : فِيئـي فإنّي بذمّتي ... لبنتك جـارٌ مـن أبيها القَنَوَّرِ[9]

[إسلام أبيه على يد الرسول]

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبيّ ﷺ فأسلم وقد كان وَفَدهُ أبوه صعصعةُ إلى النبيّ ﷺ فأخبره بفعله في الموءودات ، فاستحسنه وسأله : هل له في ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم وعمّر غالبٌ ، حتى لحق أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه بالبصرة ، وأدخل إليه الفرزدق ،

1 والدلو في الديوان ص 379 : والنجم .
2 غير مخفر : غير ناقض للعهد .
3 الأصنام في الديوان 379 : الأنصاب .
4 معور : المعيب .
5 الفارق : الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض .
6 هزلى الحمولة : من هزل الرجل إذا ماتت ماشيته . مقتر : فقير مقلّ .
7 الهجف : الجافي . العثو : الكثير الشّعر . في الديوان 380 : ضغتْ أي بكت .
8 خدد : شقوق .
9 القنوّر : الشرس الخلق .

وأظنّه مات في إمارة زياد ومُلك معاوية .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ وهاشم بن محمد الخزاعيّ ، وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قالوا : حدَّثنا الرّياشيّ قال : حدَّثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية ، قال : حدَّثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبريّ ، قال : حدَّثني الطُّفيل بن عمرو الربعيّ ، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، عن صعصعة بن ناجيةَ المجاشعيّ جدِّ الفرزدق قال : قدمت على النبيّ ﷺ ، فعرض عليّ الإسلام ، فأسلمت ، وعلّمني آياتٍ من القرآن ، فقلت : يا رسول الله إنّي عملت أعمالاً في الجاهليّة هل لي فيها من أجر ؟ فقال : وما عمِلت ؟ فقلت : إنّي أضللتُ ناقتين لي عُشراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له : هل أحسست من ناقتين عُشراوين ؟ قال : وما نارهما ؟ ، يعني السّمة ، فقلت : ميسم بني دارم ، فقال : قد أصبت ناقتيك ونتجناهما ، وظأرتا على أولادهما ونَعش الله بهما أهلَ بيت من قومك من العرب من مضر ، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر : قد ولدت ، فقال : وما ولدتِ ؟ إن كان غلاماً فقد شرِكَنا في قُوتنا ، وإن كانت جارية فادفنوها ، فقالت : هي جارية : أفأئدها ؟ فقلت : وما هذا المولود ؟ قالت : بنت لي ، فقلت : إنّي أشتريها منك ، فقال : يا أخا بني تميم ، أتقول لي : أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أنّي من العرب من مضر ؟ فقلت : إنّي لا أشتري منك رقبتها ، إنّما أشتري دَمَها لئلاّ تقتلها ، فقال : وبِم تشتريها ؟ فقلت : بناقتي هاتين وولديهما . قال : لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه ، قلت : نعم ، على أن ترسل معي رسولاً فإذا بلغتُ أهلي رَدَدْتُ إليك البعير ففعل ، فلمّا بلغت أهلي رددتُ إليه البعير ، فلمّا كان في بعض الليل فكّرت في نفسي فقلت : إنّ هذه مكرمة ما سبقني إليها أحدٌ من العرب ، فظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائةٍ وستّين موءودة ، أشتري كُلَّ واحدة منهنّ بناقتين عُشراوين وجمل ، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام : هذا باب من البرّ ، ولك أجره إذ مَنَّ الله عليك بالإسلام ، قال عباد : ومِصداقُ ذلك قولُ الفرزدق : [من المتقارب]

وجـدِّي الذي منع الوائداتِ ... وأحيـا الوئيد فلـم يُـوأَدِ

أخبرني محمد بن يحيى ، عن الغِلاَبيّ ، عن العبّاس بن بكّار ، عن أبي بكر الهذليّ قال : وفد صعصعة بن ناجية جَدّ الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد من تميم ، وكان صعصعةُ قد منع الوَئيد في الجاهلية ، فلم يدع تميماً تَئِد ، وهو يقدر على ذلك ، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية ، فقال للنبيّ ﷺ : أوصني ، فقال : أُوصيك بأُمِّك وأَبيك وأَخيك وأُختك وإمائك ، قال : زدني ، قال : احفظ ما بين لحييك ، وما بين رجليك .

ثم قال له عليه السلام : ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه ؟ قال : يا رسول الله رأَيت النّاس يموجون على غير وجه ، ولم أدرِ أين الوجه ، غير أنّي علمت أنّهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يئدون بناتهم ، فعلمتُ أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وروى أَبو عبيدة أنّه قال للنَّبيِّ ﷺ : إنّي حملتُ حَمالات في الجاهليّة والإسلام ، وعليّ منها ألفُ بعير ، فأدَّيتُ من ذلك سبعمائة ، فقال له : إنّ الإسلام أَمَرَ بالوفاء ، ونهى عن الغدر ، فقال : حسبي حسبي ، ووفّى بها .

ورُوِي أنّه إنّما قال هذا القول لعمر بن الخطّاب ، وقد وفد إليه في خلافته .

وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول : أُنشدنيه محمد بن يحيى له : [من الطويل]

إذا المرء عـادى من يودُّك صدرُه وكان لِمَن عاداك خِدْنـاً مُصافِيا

فـلا تسأَلَنْ عمّـا لديـه فإنّـه هـو الدّاءُ لا يخفى بذلـك خافيا

[كرم أبيه]

أُخبرني محمد بن يحيى ، عن محمد بن زكريّا ؛ عن عبد الله بن الضحّاك ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عوانة قال : تَراهَن نَفرٌ من كلب ثلاثةٌ على أن يختاروا من تميم وبكر نَفراً ليسائلوهم ، فأيّهم أعطى ، ولم يسألهم عن نسبهم مَن هم ؟ فهو أفضلهم ، فاختار كلّ رجل منهم رجلاً ؛ والذين اختيروا عميرُ بنُ السليك ، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ ، وغالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق ، فأتوا ابن السُّليك فسألوه مائة ناقة ، فقال : مَن أنتم ؟ فانصرفوا عنه .

ثم أَتوا طلبة بن قيس ، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ ، فأَتوا غالباً ، فسأَلوه ، فأَعطاهم مائةَ ناقة وراعيها ، ولم يسألهم مَن هم فساروا بها ليلة ، ثم ردّوها ، وأخذ صاحبُ غالب الرَّهنَ ، وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الطويل]

وإذا ناحبَت كَلبٌ على النّاسِ أَيُّهم أَحـقُّ بتـاج الماجـدِ المتكرِّمِ[1]

على نفرٍ هُم من نزار ذوي العلا وأَهـل الجراثيـم التي لم تهدَّمِ[2]

فلم يُجزِ عن أَحسابهم غيرُ غالبٍ جرى بعنـان كلِّ أَبيضَ خِضرمِ[3]

1 ناحبت في الديوان 199/2 : نحبت .

2 نزار ذوي في الديوان 199/2 : نزار ذؤابة . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهي الأصل .

3 فلم يجز في الديوان 200/2 : فلم يَجْلُ . الخضرم : الكريم المعطاء .

[سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أَبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن جهم السليطيّ ، عن إياس بن شبّة ، عن عقال بن صَعصعة ، قال : أجدبت بلاد تميم ، وأصابت بني حنظلة سنةٌ[1] في خلافة عثمان ، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعتها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فنَحر ناقته فأطعمهم إيّاها ، فلمّا وردت إبل سحيم بن وثيل الرِّياحيّ حبس منها ناقة ، فنحرها من غد ، فقيل لغالب : إنّما نحر سُحيم مواءمةً لك ، أي مساواة لك ، فضحك غالب ، وقال : كلا ، ولكنّه امرؤ كريم ، وسوف أنظر في ذلك ، فلمّا وردت إبل غالب حبس منها ناقتين ، فنحرهما ، فأطعمهما بني يربوع ، فعقر سُحَيم ناقتين ، فقال غالب : الآن علمت أنّه يوائمني ، فعقر غالب عشراً ، فأطعمها بني يربوع ، فعقر سحيم عشراً ، فلمّا بلغ غالباً فعلُه ضحك ، وكانت إبله ترد لخمس ، فلمّا وردت عقرها كلّها عن آخرها ، فالمكثر يقول : كانت أربعمائة ، والمُقِلّ يقول : كانت مائة ، فأمسك سحيم حينئذٍ ؛ ثم إنّه عقر في خلافة عليّ بن أَبي طالب صلوات الله عليه بكُناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير ، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ، ورآهم عليٌّ عليه السلام ، فقال : أَيّها الناس لا يحل لكم ، إنّما أُهِلّ بها لغير الله عزَّ وجلَّ . قال : فحدَّثني مَن حضر ذلك قال : كان الفرزدق يومئذٍ مع أبيه وهو غلام ، فجعل غالب يقول : يا بنيّ ، اردُدْ عليّ ، والفرزدق يردُّها عليه ، ويقول له : يا أَبت اعقِر ، قال جهم : فلم يُغنِ عن سحيم فعله ، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطِق فعلَه .

[يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن]

حدَّثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم ، يعني أَبا العيناء ، عن أَبي زيد النحويّ ، عن أبي عمرو قال : جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسَه في وقت ، وآلى : لا يحُلُّ قيدَه حتى يحفظ القرآن .

[عريق في قرض الشعر]

قال محمد بن يحيى : فقد صحّ لنا أَنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أَربعاً وسبعين سنة ، وندع ما قبل ذلك ، لأَنّ مجيئَه به بعد الجمل ، على الاستظهار ، كان في سنة ستّ وثلاثين ، وتوفِّي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أَوّل خلافة هشام هو وجرير والحسن

---

1 سنة : جدب .

البصريّ وابن سيرين في ستّة أشهر ، وحُكِي ذلك عن جماعة ، منهم الغِلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغِلابيّ ، عن ابن عائشة أيضاً ، عن أبيه قال : قال الفرزدق أيضاً : كنت أُجيد الهجاء في أيّام عثمان ، قال : ومات غالب أبو الفرزدق في أوّل أيّام معاوية ودُفِن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ فتًى فائِضَ الكفَّين محضَ الضَّرائبِ[1]

[الفرزدق أشعر أم جرير]

أخبرني حبيب المهلّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ ، قال : حدَّثني جعفر بن محمد العنبريّ ، عن خالد بن أُمّ كلثوم ، قال : قيل للمفضل الضبّيّ : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق : قال : قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال : [من الطويل]

عجبتُ لِعجلٍ إذ تُهاجِي عَبيدَها كما آلُ يربوع هَجَوْا آلَ دارِمِ

فقيل له : قد قال جرير : [من الكامل]

إنَّ الفرزدقَ والبَعِيثَ وأُمّه وأبا البَعِيث لشرّ ما إستارِ[2]

فقال : وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والنّاس كلّهم بنو الفاعلة !

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة مَعمرُ بنُ المثنّى : كان الشعراء في الجاهلية من قيس ، وليس في الإسلام مثلُ حظٍّ تميم في الشعر ، وأشعر تميمٍ جرير والفرزدق ، ومن بني تغلِب الأخطلُ .

قال يونس بن حبيب : ما ذُكِر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتَّفَق المجلسُ على أحدهما ، قال : وكان يونس فرزدقيّاً .

[بيتين لابن ميادة]

أخبرني عمّي ، عن محمد بن رستم الطبريّ ، عن أبي عثمان المازنيّ قال : مرّ الفرزدق بابن مَيّادة الرمّاح والنّاسُ حوله وهو ينشد : [من الطويل]

1 الضرائب : جمع ضريبة أي الطبيعة والسجية .

2 إستار : لفظ معرّب بمعنى أربعة .

لــو انّ جميعَ النّاس كانوا بربوة وجئتُ بجَدِّي ظـالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلَّت رقــابُ النّاس خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنـــا بالجماجمِ

فسمعه الفرزدق ، فقال : أَما والله يا ابنَ الفارسيّة لَتدعنّه لي أَو لأَنبشَنَّ أُمَّك من قبرها ، فقال له ابن ميّادة : خذه لا بارك الله لك فيه ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

لــو انّ جميعَ النّاس كانــوا بربوة وجئتُ بجــدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لظلَّت رقابُ النّــاسِ خاضعةً لنا سجوداً على أقدامنـــا بالجماجمِ

[عود إليه هو وجرير]

أَخبرني عمِّي ، عن الكرانيّ ، عن أَبي فراس الهيثم بن فراس ، قال : حدَّثني ورقة بن معروف ، عن حمّاد الرّاوية قال : دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بُنيّةٌ له يَشمّها فقال جرير : ما هذه يا أمير المؤمنين عندك ؟ قال بُنَيَّة لي ، قال : باركَ اللهُ لأَمير المؤمنين فيها . فقال الفرزدق : إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ، ثم أَقبل يزيد على جرير فقال : ما لك والفرزدق ؟ قال : إنّه يظلمني ويبغي عليّ ، فقال الفرزدق . وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرتُ فيه بسيرتهم ، قال جرير : وأما والله لَتردَّنَّ الكبائرُ على أسافلها سائر اليوم ، فقال الفرزدق : أَمّا بك يا حمار[1] بني كليب فلا ، ولكن إن شاء صاحب السرير ، فلا والله ما لي كفء غيرُه ، فجعل يزيد يضحك .

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ ، عن حمّاد الراوية قال : أَنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي : أَتيتَ الكلبَ ، يعني جريراً ، قلت : نعم .

قال : أَفأَنا أَشعَر أَم هو ؟ قلت : أَنتَ في بعض وهو في بعض ، قال : لم تناصحني ، قال : قلت : هو أشعَر منك إذا أُرخيَ من خناقه ، وأنتَ أشعَر منه إذا خفت أو رجوت ، قال : قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلاّ في الخير والشرّ .

قال : وروى عن أَبي الزّناد عن أَبيه قال : قال لي جرير : يا أَبا عبد الرحمن : أَنا أَشعَر أَم هذا الخبيث ، يعني الفرزدق ، وناشدني لأخبرنّه[2] ، فقلت : لا والله ما يشاركك ولا يتعلّق بك في النسيب قال : أوْه قضيت والله له عليّ ، أنا والله أَخبرك : ما دَهاني ، إلاّ أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً ، فسمَّى عدداً كثيراً ، وأنّه تفرّد لي وحدي .

---

1 ل : عيّار .
2 ل : إلاّ أخبرته .

[خبره مع النوار]

أخبرني عبد الله قال : قال المازنيّ : قال أبو علي الحرمازيّ : كان من خبر الفرزدق والنَّوار ابنةِ أعيَن بن صعصعة[1] بن ناجية بن عقال المجاشعيّ ، وكانت ابنة عمِّه ، أنّه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضِيتْه ، وكان الفرزدق وليّها ، فأرسلت إليه أنَّ زوِّجْني من هذا الرجل ، فقال : لا أفعل أو تُشهدِيني أنّك قد رضيت بمَن زوّجتك ، ففعلت ، فلمّا توثّق منها ، قال : أرسلي إلى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أنّ النّوار قد ولّتني أمرَها ، وأُشهدكم أنّي قد زَوَّجتُها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة . فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزُّبير حين أعياها أهلُ البصرة ألاّ يطلّقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود ، وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق ، وابنُ الزُّبير يومئذٍ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد مَن يحملها ، وأتت فتيةً من بني عديّ بن عبد مناة بن أُدّ ، يقال لهم بنو أُمّ النُّسَيْر ، فسألتهم برحم تجمعهم وإيّاها ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أُمّها : ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه ، وأوقروا له عدّة من الإبل ، وأُعِين بنفقة ، فتبع النَّوار ، قال : [من الطويل]

أَطاعت بني أُمّ النُّسَيْر فأَصبحت ... على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها[2]

وإنّ الذي أَمسى يخبِّب زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْد الشّرى يَستبِيلُها[3]

فأدركها وقد قَدِمت مكّة ، فاستجارت بخَولَةَ بنتِ منظورِ بنِ زبّان بن سيّار الفزاريّ ، وكانت عند عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدِم الفرزدق مكّة اشرأبَّ النّاس إليه ، ونزل على بني عبد الله ابن الزُّبير ، فاستنشدوه ، واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه ، فمال إلى النوّار ، فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

صوت

أَمّا بنــوه فلم تُقْبَــل شفاعتُهم ... وشُفّعت بنتُ منظــورِ بن زبّانا

ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتَزِراً ... مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُرْيانا

لَعِرِيب في هذا البيت خفيف رمل .

---

1 ل : ضبيعة .

2 الشارف : الناقة المسنة ، والورقاء : ما في لونها بياض إلى سواد .

3 وإن الذي أمسى في الديوان 61/2 فإن امرأ يسعى . يخبِّب : يفسد . يستبيلها : يطلب بولها .

قال : وسَفَر بينهما رجالٌ من بني تميم كانوا بمكّة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما ظلّ ولا كِنٌّ حتى يَجْمَعا في أمرهما ذلك بني تميم ، ويصيرا على حكمهم . ففعلا ، فلمّا صارا إلى البصرة رجعت إليه النّوار بحكم عشيرتها .

قال : وقال غير الحرمازيّ : إنّ ابن الزُّبير قال للفرزدق : جئني بصداقها وإلاّ فرّقت بينكما ، فقال الفرزدق : أنا في بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له : عليك بسلم بن زياد ؟ فإنّه محبوس في السجن يطالبه ابن الزُّبير بمال ، فأتاه فقصّ عليه قصّته قال : كم صداقها ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمَر له بها وبألفين للنفقة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

دعي مُغلقي الأبواب دون فَعالهم ولكن تمشَّيْ بي ، هُبِلْت ، إلى سَلم[1]

إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سَبيلُه ويفعلُ أفعال الرّجال التي تَنمي[2]

قال : فدفعها إليه ابن الزُّبير ، فقال الفرزدق : [من الوافر]

هلمّـي لابن عمّـك لا تكـوني كمختـارٍ على الفـرس الحمـارا

قال : فجاء بها إلى البصرة ، وقد أحبلها ، فقال جرير في ذلك : [من الطويل]

ألا تِلكـمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ولـو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرَّتْ

فأجابه الفرزدق ، وقال : [من الطويل]

وأُمُّـك لـو لاقيتُهـا بِطِمرَّةٍ وجاءت بها جوف استِها لاستقرَّتْ[3]

وقال الفرزدق وهو يخاصم النَّوار : [من الوافر]

تُخاصمنـي وقـد أُولجتُ فيهـا كـرأْس الضَّبّ يلتمس الجـرادا

قال الحِرمازيّ : ومكثت النَّوار عنده زماناً ، ترضى عنه أحياناً ، وتخاصمه أحياناً ، وكانت النَّوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشمئزُّ منه ، وتقول له : ويحَك ! أنت تعلم أنّك إنّما تزوَّجت بي ضُغطة[4] وعلى خُدعة ، ثم لا تزال في كلِّ ذلك ، حتى حلفت بيمين مُوثَّقة ، ثم حِنثتَ . وتجنَّبَتْ فراشَه ، فتزوَّج عليها امرأة يقال لها جُهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأُمُّها الخميصة من بني الحارث بن عبّاد ،

---

1 ولكن تمشي بي في الديوان 221/2 ولكن تمضَّيْ لي .

2 أفعال في الديوان 221/2 أخلاق . تنمي : ترفع القدر .

3 الطمرة : الفرس السريعة العدو .

4 ضغطة : اضطراراً .

فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق ، وقال : إنّها منّي بريء طالق وطلّق ابنتَها ، وقال : [من البسيط]

إنّ الخميصةَ كانــت لي ولابنتها مثل الهَراسةِ بـين النّعل والقَدَمِ[1]
إذا أتــت أهلَهــا منّــي مُطَلَّقة فلــن أردَّ عليهــا زَفــرَةَ النَّدمِ

جعل يأتي النَّوارَ وبه رَدْع الخَلوق[2] وعليه الأثر فقالت له النَّوار : هل تزوّجتها إلاّ هُداديّة ، تعني حيّاً من أزد عُمان ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

تُريك نجومَ الليل والشَّمسُ حَيَّةٌ كــرامُ بنات الحـارث بن عُبادِ[3]
أبوهــا الذي قـاد النّعامة بعدما أبت وائــلٌ في الحرب غير تمادِ
نساءٌ أبوهــنّ الأعــزُّ ولم تكن مــن الأزد في جاراتهــا وهَدادِ
ولم يَـكُ في الحيِّ الغموضِ محلُّها ولا في العُمانيِّــين رهــطِ زيادِ[4]
عَدلتُ بها مَيلَ النَّوار فأصبحتْ وقــد رَضيت بالنّصف بعد بعادِ

قال : فلم تزل النَّوار ترقه ، وتستعطفه ، حتى أجابها إلى طلاقها ، وأخذ عليها ألاّ تفارقَه ولا تبرح من منزله ، ولا تتزوَّجَ رجلاً بعده ، ولا تمنَعَه من مالِها ما كانت تبذله له ، وأخذت عليه أن يُشهد الحسنَ البصريَّ على طلاقها ، ففعل ذلك .

قال المازنيّ : وحدَّثني محمد بن روح العدويّ عن أبي شَفْقَل راوية الفرزدق قال : ما استصحَبَ الفرزدقُ أحداً غيري وغير راوية آخر ، وقد صحِب النوارَ رجالٌ كثيرة ، إلاّ أنّهم كانوا يلوذون بالسّواري خوفاً من أن يراهم الفرزدق ، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، قال له الحسن : ما تشاء ؟ قال : اشهد أنّ النّوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن : قد شهدنا ، فلمّا انصرفنا قال : يا أبا شفقل ، قد ندمتُ ، فقلت له : والله إنّي لأظنّ أنّ دمك يترقرق ، أتدري مَنْ أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجمنّ بأحجارك ، فمضى وهو يقول : [من الوافر]

ندمــتُ ندامــةَ الكُسَعيّ لمّا غــدت منّــي مُطلَّقةً نوارُ[5]

---

1 الهراسة : نوع من الشوك .
2 ردع الخلوق : ريح الطيب .
3 الحارث بن عباد : فارس النعامة في حرب البسوس .
4 الحيّ الغموض : القبيلة التي تخفى مكانتها .
5 الكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه ، وكان جربها في عدة ظباء ، فظنّ أنها لم تصبهن ، ثم اتّضح أنّها أصابتهن جميعاً .

ولـــو أنّي ملكتُ يدي وقلبي لكـــان عـــليٌّ للقَـــدرِ الخيارُ
وكانت جَنّتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجــه الضّرارُ[1]
وكنتُ كفاقىءٍ عينيــه عمداً فأصبح ما يضيء لـــه النهارُ

[خصومته لكلّ من يساعد النّوار]

وأخبرني بخبره مع النَّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا عمر بن شبّة، قال: حدَّثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن عليّ بن حميد: أنَّ النّوار لمّا كرهت الفرزدق حين زوَّجها نفسَه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقريّ ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم: [من الطويل]

بني عاصم لا تجنبوهـــا فإنّكم ملاجِىءُ للسوآت دُسم العَمائِمِ[2]
بَني عاصمٍ لو كان حَيّـــاً أبوكم للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ[3]

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنّك غيلة، وخلَّوه والنَّوار وأرادت منافرتَه إلى ابن الزُّبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكرِيَها[4] خوفاً منه. ثمّ إنّ قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أُمّ النُّسَير أكروها، فقال الفرزدق: [من الوافر]

ولـــولا أن يقـــول بنو عَديٍّ ألم تَـــكُ أُمَّ حَنظلـــة النَّوارُ
أتتكم يـــا بنـــي مِلْكان عنّي قـــوافٍ لا تُقسِّمهـــا التِّجارُ

وقال فيهم أيضاً: [من الطويل]

لعمري لقـــد أردى النَّوارَ وساقها إلى البـــورِ أحلامٌ خِفـــافٌ عقولُها[5]
أطاعت بنـــي أمّ النُّسَير فأصبحت على قَتبٍ يعلـــو الفـــلاةَ دلِيلُها[6]
وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضَى بـــه قبلَهـــا الأزواجُ خـــاب رحيلُها
وإنّ امـــرءاً أمسى يُخبِّب زوجتـــي كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلُها
ومـــن دون أبـــواب الأُسود بَسالةٌ وبَسْطَة أيـــد يمنع الضَّيمَ طُولُها[7]

---

1 أخرجه في الديوان 294/1 حين لج به.
2 دسم العمائم: من الدنس.
3 قيس بن عاصم كان مضرب المثل في الحلم تعلم منه الحلم أحنف بن قيس.
4 يكري: يعطي دابة بالكراء.
5 البور أحلام خفاف في الديوان 60/2 الغور أحلام قليل.
6 الشطر الثاني في الديوان 61/2 على شارف ورقاء صعب ذلولها.
7 ومن دون أبواب في الديوان 61/2: ومن دون أبوال. وبسطة في الديوان 61/2 وصولة.

وإنَّ أَميــرَ المؤمنــين لعالِــمٌ بتأويل مــا وَصَّى العِبادَ رَسُولُها[1]
فَدُونَكَهــا يــا ابنَ الزُّبير فإنّهــا مُوَلَّعَــة يُوهــي الحجــارةَ قِيلُها
ومـا جادل الأقوامَ من ذي خصومة كورهــاء مَشْنوءٍ إليهــا حليلُها[2]

فلمّا قدمت مكّة نزلت على تماضر بنتِ منظور بن زَبّان زوجة عبد الله بن الزُّبير ، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، ومدحه بقوله : [من الكامل]

أَمسيتُ قد نزلتْ بحمزة حاجَتي إن المنــوَّه باسمِــه الموثــوقُ
بأَبي عمارةَ خيرِ من وَطِيء الحصا وجرت له في الصالحــين عُروقُ
بــين الحــواريِّ الأَعزّ وهاشمٍ ثــم الخليفــةُ بعــدُ والصِّدِّيقِ[3]

غنّى في هذه الأَبياتُ ابنُ سريج رملاً بالبنصر .

قال : فجعل أَمرُ النَّوار يقوى ، وأَمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال : [من البسيط]

أَمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم وَشُفِّعَتْ بنتُ منظورِ بنِ زِبَّانا

[ملاحاة بينه وبين ابن الزُّبير]

وقال ابن الزُّبير للنَّوار : إن شئت فرّقت بينكما ، وقتلته ، فلا يَهْجُونا أَبداً ، وإن شئت سيَّرته إلى بلاد العدوّ ، فقالت : ما أريد واحدة منهما ، فقال لها : فإنّه ابن عمّك وهو فيك راغب ، فأُزوِّجُك إيّاه ، قالت : نعم ، فزوّجها منه ، فكان الفرزدق يقول : خرجنا ونحن متباعضان ، فعدنا متحابين .

قال : وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزّبير ، وقد توجّه الحكم عليه ، إنّما تريد أَن أُفارقها فتَثِب عليها ، وكان ابن الزُّبير حديداً[4] ، فقال له : هل أنت وقومك إلاّ جالية[5] العرب ؟

ثم أَمر به فأُقيم ، وأَقبل على مَن حضر ، فقال : إنّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة ، فاستلبوه ، فاجتمعت العرب عليها لمّا انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط ، فأَجلتها من أرض تِهامة ، قال : فلقي الفرزدق بعضَ النّاس ، فقال : إيه يعيرنا ابن الزُّبير بالجلاء ! اسمع ، ثم قال : [من الوافر]

---

1 الشطر الأول في الديوان 62/2 : فإنّ أبا بكر إمامك عالم .
2 وما جادل في الديوان 62/2 : وما خاصم . ورهاء : حمقاء ، مشنوء : مبغض .
3 في هذا البيت إقواء .
4 حديد : سريع الغضب .
5 الجالية : الذين أجلوا : أي أبعدوا عن أوطانهم .

فإن تغْضَبْ قريشٌ أو تَغَضَّبْ ... فـإنّ الأَرضَ تُوعِبُهـا تميمُ
هُـمُ عَـددُ النّجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهـمْ لا تُعـدُّ لـه نجومُ
ولـولا بيت مكّـةَ ما ثويتم ... بهـا صحّ المنابتُ والأرومُ[1]
بهـا كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخيـذُ الريش هِيمُ[2]
فمهلاً عَنْ تعلّل مَـن غَدَرْتُم ... بخونتـه وعذّبـه الحَميمُ
أعبـدَ اللهِ مهـلاً عـن أذاتي ... فإنّـي لا الضعيفُ ولا السئومُ
ولكنّـي صفـاةٌ لم تُدنَّس ... تـزِلُّ الطيرُ عنها والعُصومُ[3]
أنـا ابن العاقِرِ الخُورَ الصّفايا ... بضوّى حين فُتّحت العُكومُ[4]

قال : فبلغ هذا الشعرُ ابنَ الزُّبير ، وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه ، فغمز عنقَه ، فكان يدقّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أُصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولـو رَضَيت رُمحَ استِه لاستقرّتْ

وقال : هذا الشعر لجعفر بن الزُّبير .

وقيل : إنّ الذي كان تقرَّر عليه عشرةُ آلاف درهم ، وإنّ سَلْمَ بنَ زيادٍ أُمر له بعشرين أَلف درهم مهْراً ونفقة ، فقبضها ، فقالت له زوجته أُمّ عثمان بنتُ عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة : أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس ؟ فقال : [من الطويل]

أَلا بَكَـرَتْ عِرسي تلومُ سفاهةً ... على مـا مضى منّي وتأمرُ بالبُخْلِ
فقلتُ لهـا ، والجودُ مِنّي سجيَّةٌ : ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّالَه مِثلي ؟
ذَريني فإنّي غيرُ تـارك شِيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عن البذْلِ
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاءَ طارقاً ... وقد طرقَ الأَضيافُ شيخيَ من قبلي
أَأَبخَلُ ؟ إن البُخْل ليس بمُخْلِدي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتلِ
أَبيعُ بني حرب بـآلِ خويلدٍ ! ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدلِ[5]

---

1 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .
2 أخيذ الريش : مهيض الجناح . الهيم : النوق العطاش .
3 العصوم : الأوساخ .
4 الخور : النوق الغزر ، جمع خوارة . الصفايا : المنتقاة . العكوم : جمع عِكم وهو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام .
5 خويلد : أبو العوام جد عبد الله بن الزُّبير .

وليس ابنُ مروان الخليفةُ مشبهاً لفحل بَني العوّام ، قُبِّح من فحلِ
فإن تُظهِرُوا لِيَ البخلَ آلَ خُوَيْلد فما دأْبكم دأْبي ولا شكلُكم شكلي
وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي فمن عجبِ الأَيّام أَن تقهروا مِثلي

فلمّا اصطلحا ، ورضيت به ، ساق إليها مهرها ، ودخل بها ، وأحبلها قبل أن يخرج من مكّة .

ثم خرجا وهما عديلان في محمل .

[يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزُّبير]

وأَخبرني أَبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، عن إبراهيم بن حبيب الشَّهيد بنحو من هذه القصّة .

قال عُمَر بنُ شبّة : قال الفرزدق في خبره : [من البسيط]

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرَضت أَنضـاؤه بمكـان غيرِ ممطـورِ[1]
فأَنـت أَحرى قريش أَن تكون لهـا وأَنـت بـين أَبي بكـرٍ ومنظورِ[2]
بين الحـواريّ والصدّيـق في شُعَبٍ ثَبَتْـنَ في طُنُـب الإسلام والخِيرِ[3]

[يتّقون لسانه]

أَخبرنا أَبو خليفة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السّريّ السلميّ ، قال : كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق ، قال : فأخذناهُ ، فأتينا به الفرزدق وقلنا : هذا بين يديك فإن شئت فاضْرب ، وإن شئت فاحلق ، فلا عَدْوى عليك ولا قصاص ، قد برئنا إليك منه ، قال : فخلّى سبيله وقال : [من الوافر]

فمن يَكُ خائفاً لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بَنُو حـرامِ
هم قـادوا سَفيهَهم وخافوا قلائـدَ مثـل أَطواق الحمامِ

قال ابن سلام : وحدَّثني عبد القاهر قال : مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام معنا عنبسة مولى عثمان بن عفّان ، فقال : يا أبا فِراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ قال : وما حاجتك إلى ذاك يا أخي ؟ قال : أكتب معك إلى أبي ، قال : أنا لا أذهب إلى حيث أبوك ، أبوك في النّار ، اكتب إليه مع ريالويه واصطفانوس .

---

1 أنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الإبل .
2 يعني منظور بن زبّان جدّه لأُمّه .
3 طنب الإسلام في الديوان 252/1 طيّب الإسلام . الخِير : الكرم والشرف .

[يغضب على ابن الكلبيّ لعدم روايته شعره]

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال: مررتُ بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلَغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، وعذت بالله من شرّه، وجعلت أحدّثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إنّي لأذكر يوم لقّبك بالفرزدق، قال: وأيّ يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبيّ، فقال له بعضُ مَن كان يجالسه: كأنَّ ابنَك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأُبَّهته، فسمَّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعضَ اشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضَه؟ والله لأهجوَنّ كلباً هجاء يتّصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إيّاها خوفاً من شرّه.

[يكايد النّوّار بحدراء فتستعدي عليه جريراً]

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدَّثنا محمد بن حبيب، قال: حدَّثني الأَصمعيّ قال: تزوّج الفرزدق حَدْراء بنت زِيقِ بنِ بِسْطامٍ بن قيس الشيباني، وخاصمته النّوار وأخذت بلحيته، فجاذبها وخرج عنها مُغضَباً وهو يقول: [من الكامل]

قامَتْ نوارُ إليَّ تَنتِف لِحيتي ... تَنْتافَ جعدةَ لحيةَ الخشخاشِ[1]
كلتاهما أَسدٌ إذا ما أُغْضِبت ... وإذا رَضِينَ فهنَّ خير معاشِ[2]

قال: والخشخاش: رجل من عَنَزة، وجعدةُ امرأته، فجاءَت جعدةُ إلى النّوار، فقالت: ما يريد منّي الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أُسوة غيري.

وقال الفرزدق للنَّوار يفضّل عليها حدراءَ: [من الطويل]

لعمري لأَعْرابيَّةٌ في مظَلَّةٍ ... تظلُّ بِرَوقيْ بيتِها الرّيحُ تخفُقُ[3]

---

1 في الديوان 388/1:
بكرت عليّ نَوار تنتف لحيتي ... نتف الجعيدة لحية الخشخاش

2 وفي الديوان 388/1:
كلتاهما أسد إذا حرّبتها ... ورضاهما وأبيك خير معاش

3 روقي: تثنية روق، ومن معانيه رواق البيت.

أَحبُّ إلينا مــن ضِنــاكٍ ضِفَنَّةٍ إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ[1]
كريــمِ غــزالٍ أو كدُرَّةِ غائصٍ تكاد ، إذا مرّت ، لها الأَرض تُشرقُ[2]

فلمّا سمعت النَّوار ذلك أَرسلت إلى جرير ، وقالت للفرزدق : والله لأُخزينَّك يا فاسق فجاء جرير ، فقالت له : أما ترى ما قال الفاسق ، وشكته إليه ، وأنشدته شعرَه ، فقال جرير : أَنا أَكفيك ، وأَنشأَ يقول : [من الطويل]

ولَسْتَ بمعطي الحكمِ عن شَفٍّ منصبٍ ولا عــن بنــات الحنظليّين راغِبُ[3]
وهــنّ كماءِ المزن يُشْفى بــه الصَّدى وكانت مِلاحــاً غيرَهُنَّ المشارِبُ[4]
لقــد كنتَ أَهلاً أَن يسوق دياتكم إلى آل زِيــق أَن يعيبَــك عائــبُ
ومــا عدلــتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً عُتَيْبَةُ والرّدفــان منهــا وحاجِبُ[5]
أَأَهْديتَ يــا زِيــقُ بن بَسْطامَ ظَبيةً إلى شرٍّ مــن تُهْــدى إليه القرائبُ
أَلا رُبَّمــا لم نُعْــطِ زِيقــاً بحُكمِهِ وأَدّى إلينــا الحكــمَ والغُلُّ لازبُ[6]
حَوَينــا أَبــا زِيــقٍ وزِيقاً وعمَّه وجَــدَّةُ زِيــق قــد حَوَتْها المقانِبُ[7]

فأَجابه الفرزدق فقال : [من الطويل]

تقــول كليبٌ حــين مثَّت سِبالها وأَعشَبَ مــن مرُوتِهــا كلُّ جانبِ[8]
لسوّاقِ أَغنــام رعتهـــنّ أُمّـــه إلى أَن علاها الشيبُ فوق الذوائبِ[9]
أَلستَ إذا القعساءُ مــرّت براكبٍ إلى آل بِسطامِ بــن قيس بخاطبِ[10]

---

1 الضناك : الموثق الحلق الشديد . الضفنة : الحمقاء الكثيرة اللحم .

2 في الديوان 55/2 :
كأمّ غــزالٍ أو كــدرة غائص إذا ما بدتْ مثل الغمامة تُشْرِقُ

3 الشفّ : الفضل .

4 ملاحاً : من الملوحة .

5 ذات الصليب : حدراء . عتيبة : هو ابن الحارث بن شهاب . الردفان هما عتاب بن هرمي ، وعوف بن عتاب بن هرمي . وحاجب : هو ابن زرارة .

6 زيق : أبو حدراء ، والغلّ : القيد .

7 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل .

8 مثت : أخصبت . سبالها : سنابل زرعها . مرّوت : جمع مرت ، وهو القفر لا نبات به .

9 في الديوان 96/1 لسوّبان أغنام وهو الحسن القيام على المال .

10 مرت براكب في الديوان 96/1 أنسل ظهرها .

وقالوا : سمعنا أنّ حدراءَ زُوِّجَتْ على مائةٍ شُمِّ الذُّرى والغوارِبِ[1]
فلو كنتَ من أكفاء حدْراء لم تلُمْ على دارِميٍّ بين ليلى وغالبِ
فنل مثلَها من مثلهم ثُمَّ أُمَّهم بمِلكك من مال مُراح وعازبِ[2]
وإنِّي لأخشى إن خطبتَ إليهمُ عليك الذي لاقى يسارُ الكَواعِبِ
ولو تنكِحُ الشّمسُ النجومَ بناتِها نكحنا بناتِ الشمسِ قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق ، قال جرير أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

يا زيقُ أنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ يا زيقُ ويْحَك مَن أنكحتَ يا زيقُ[3]
أين الألى أنزلوا النُّعمان ضاحيةً أم أين أبناءُ شيبانَ الغرانيقُ ؟[4]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البناء بها : لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ
غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما والحوفَزانُ ولم يشهدْك مفروقُ[5]

والفرزدق يقول لجرير : [من البسيط]

إن كان أنفُك قد أعياك مَحمِلُه فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زِيقِ

[خبران عن ولديه]

أخبرني الحسن بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن زكريا بن ثباة الثقفيّ قال : أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه ، فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

بِفَي الشّامِتِين الصَّخْرُ إن كان مسَّني رزيّةُ شِبْل مُخْدِرٍ في الضَّراغمِ

قال : يا أبا يحيى ، أرأيت ابني ؟ قلت : لا ، قال : والله ما كان يساوي عباءَته .

[بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة]

قال إسحاق : حدَّثني أبو محمد العبديّ ، عن اليربوعيّ ، عن أبي نصر قال : قدِم لبطةُ بن الفرزدق الحيرة ، فمرّ بقوم من بني تغلب فاستَقْراهم فقَرَوْه ، ثم قالوا له : مَن أنت ؟ قال : ابن شاعركم ومادِحِكم ، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم : [من الكامل]

---

1 شمّ الذرى والغوارب : عالية الأسنمة والظهور .
2 ثم أمهم بملكك في الديوان 97/1 ثم لمهم بمالك .
3 القين : الحداد . والحم : الفحم .
4 الغرانيق : جمع الغرنوق : الشاب الممتلئ الناعم .
5 الحوفزان : هو الحارث بن شريك بن الصلب ، ومفروق : هو النُّعمان بن عمرو الأصم .

أضحى لتغلبَ مـن تميمٍ شاعرٌ يرمي الأعـاديَ بالقريض الأثقلِ
إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم وتَنمَّر الشعـراء بعـد الأخطلِ[1]
يتباشرون بموتِـه ووراءهـم مِنّي لهـم قِطَعُ العذابِ المُرْسلِ

فقالوا له : فأنت ابن الفرزدق إذاً ، قال : أنا هو ، فتنادَوا : يا آل تغلب ، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه ، فجعلوا له مائة ناقة ، وساقوها إليه ، فانصرف بها .

[عمرو بن عفراء يتحدّاه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : أتى الفرزدق عبدَ الله بن مُسلِم الباهِليّ فسأله فثَقُلَ عليه الكثير ، وخَشِيَه في القليل ، وعنده عمرو بن عفْراء الضَّبِّيُّ راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله : [من الطويل]

ونُبِّئْـتُ جوَّابـاً وسَلْمـاً يسبّنـي وعمرو بن عِفْرى ، لا سلامٌ على عمرِو

فقال ابنُ عفراءَ للباهليّ : لا يهولنّك أمره ، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان هَمّ له به ، فأعطاه ثلثمائة درهمٍ ، فقبلها الفرزدق ورضي عنه ، فبلغه بعد ذلك صنيعُ عمرو فقال : [من الطويل]

ستعلم يا عمرو بن عفْرى مَن الذي يُـلام إذا مـا الأمـر غَبَّتْ عواقبُه[2]
نهيـتُ ابنَ عِفـرى أن يعفّـر أمّه كعفْـر السّلا إذ جرَّرَتْـه ثعـالبُهْ[3]
فلو كنتَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سَرتْ عـلى قَدَمِـي حيّاتُـه وعقـاربُهْ
ولكـن دِيـافيٌّ أبـوه وأمّـه بحـوْران يعصِرْن السليـط أقاربُهْ[4]
ولّمـا رأى الدّهنـا رمتـه جبالُهـا وقالـت دِيـافيٌّ مـع الشّام جـانبُهْ
فإن تغضبَ الدّهنـا عليك فما بها طريـقٌ لمرتـاد تُقـاد رَكائبُهْ[5]
تضـنُّ بمـال الباهـليِّ كأنّمـا تضِنُّ على المـالِ الذي أنت كاسِبُهْ[6]

---

1 كعب بني جُعيل والأخطل : شاعران تغلبيان .

2 غبّت عواقبه : بلغ مداه .

3 السّلا : غشاء يحيط بالجنين عند ولادته . في الديوان 46/1 عفّرته ثعالبه .

4 دياف : بلد بالشام ، السليط : ما يستخرج من الحبوب من الزيوت .

5 طريق لمرتاد في الديوان 46/1 طريق لربّات . والرِبة : الجماعة الكثيرة .

6 في الديوان 46/1 :

تشمّر مـال الباهـليّ ، كأنّما تهرّ على المال الذي أنت كاسبه

وإنّ امـــرءاً يَغْتابُنـــي لم أطـــأْ له حَرِيمـــاً ولا يَنْهـــاهُ عنّـــي أقــارِبُهْ
كمحتَطـــبٍ يومـــاً أساودَ هَضْبة أتاه بهـــا في ظلمة الليـــل حاطبُهْ[1]
أحينَ التقى نابـــاي وابيضَّ مِسْحَلي وأطرق إطراق الكرى مَـــن يُجانِبُهْ[2]

فقال ابن عفراء، وأتاه في نادي قومه: اجهَد جهدك، هل هو إلاّ أن تسبّني، والله لا أدع لك مساءة إلاّ أتيتُها، ولا تأمرني بشيء إلاّ اجتنبتُه ولا تنهاني عن شيءٍ إلاّ ركبتُه، قال: فاشهدوا أنّي أنهاه أن ينيك أمّه، فضحك القوم وخجل ابن عِفْرى.

[يتطفّل فيجاز]

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: حدَّثنا شعيب بن صخر قال: تزوّج ذبيان بن أبي ذبيان العَدَويّ من بَلْعُدَوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفُقيميّ، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنّه لم يدعني، قال: إنّ ابن ذبيان يُؤتى وإن لم يَدْعُ، ثم لا تخرج من عنده إلاّ بجائزة فأتياه، فقال الفرزدق حين دخل: [من البسيط]

كم قال لي ابنُ أبي شيخ وقلت له: كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيانِ
إنّ القلوصَ إذا ألقت جآجئها قُـــدّام بابـــك لم نرحل بجِرمانِ[3]

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدّى عنده، وأعطاه ثلثمائة دِرْهم.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: حدَّثني أبو بكر المدنيّ قال: دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موتَ طلحةَ بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ، وكان سيّداً سَخِيّاً شريفاً، فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذلّ قوم الله، قالوا: وما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم.

[يعطى عروضاً بدل النقد]

وأتى مكّة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أُميّة بن خلف الجمحيّ، وهو سيّد أهل مكّة يومئذٍ، وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقّع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقداً، ولكن عُروضاً[4] إن شئت، فعندنا رقيق فُرْهَةٌ[5]، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوُصَفاءٍ من بنيه وبني أخيه، فقال: هم لك عندنا

1 الأساود: جمع أسود وهو الحية العظيمة.
2 المسحل: جانب اللحية. في الديوان 47/1 من أحاربه.
3 الجآجىء: جمع جؤجؤ، وهو عظام الصدر.
4 العروض: جمع عَرْض وهو ما سوى النقد من المتاع.
5 أي عبيداً وجواري حساناً.

حتى تشخص ، وجاءه العطاء ، فأخبره الخبر وفداهم ، فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر : [من البسيط]

تمْشي تَبَخْتُر حولَ البيتُ منتخياً لو كنتَ عمرَو بنَ عبد الله لم تزدِ

[يحتج بشعره]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا عامر بن أَبي عامر ، وهو صالحُ بن رستم الخرّاز ، قال : أخبرني أبو بكر الهذليّ قال : إنّا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطّى حتى جلس إلى جنبه ، فجاء رجل ، فقال : يا أبا سعيد : الرجل يقول : لا والله ، وبلى والله في كلامه ، قال : لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أوما سمعتَ ما قلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

ولستَ بمأخـوذٍ بلغوٍ تقولـه إذا لم تعمَّدْ عاقـداتِ العزائمِ

قال : فلم ينشب أن جاء رجل آخر ، فقال : يا أبا سعيد . نكون في هذه المغازي فنُصيب المرأة لها زوج ، أفيحِلّ غِشيانُها وإن لَمْ يُطَلِّقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : أوما سمعت ما قلتُ في ذلك ؟ قال الحسن : ما كُلَّ ما قلت سمعوا فما قلت ؟ قال : قلت : [من الطويل]

وذات حَليلٍ أَنكحْتنا رِماحُنا حلالاً لَمن يَبْني بهـا لم تُطَلَّق

[يهجو إبليس]

قال أَبو خليفة : أَخبرني محمد بن سلاّم ، وأَخبرني محمد بن جعفر قالا : أَتى الفرزدقُ الحسن ، فقال : إنِّي هجوتُ إبليس فاسمع ؟ قال لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتَسمعنّ أَو لأخرجنّ ، فأقول للناس : إنّ الحسنَ يَنهى عن هجاء إبليس ، قال : اسكت فإنّك بلسانه تنطق .

[الحسن يتمثّل بالشعر]

قال محمد بن سلاّم : أَخبرني سلاّم أَبو المنذر ، عن عليّ بن زيد قال : ما سمعت الحسن متمثلاً شِعراً قطّ إلاّ بيتاً واحداً وهو قوله : [من البسيط]

الموتُ بـابٌ وكُلُّ النّاسِ داخلُه فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدَّارُ ؟

قال : وقال لي يوماً : ما تقول في قول الشاعر : [من السريع]

لـولا جريـرٌ هلكتْ بَجيلهْ نِعْمَ الفتـى وبئسَت القبيلَهْ

أَهَجاه أَم مدَحَه ؟ قلت : مدحه وهجا قومه ، قال : ما مُدِحَ مَن هُجِيَ قومُه .

وقال جرير بن حازم : ولم أَسمعه ذكر شِعراً قطّ إلاّ : [من الخفيف]

ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياءِ

[الشعر ونقض الوضوء]

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبّر : أَيُتَوَضَّأُ من الشعر ؟ فانصرف بوجهه إليه فقال : [من الطويل]

أَلا أَصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقَرَّتْ

ثم كبر .

[من أبياته السيارة]

قال ابنُ سلاّم : وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقَلَّداً ، والمُقَلَّد : المُغْنِي . المشهورُ الذي يضرب به المثل ، من ذلك قوله : [من الطويل]

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني كأنّ أَباها نَهْشَلٌ أَو مُجاشِعُ[1]

وقوله : [من الكامل]

ليس الكرام بناحِليك أَباهمُ حتى يُردَّ إلى عطيّة نَهْشَلُ

وقوله : [من الطويل]

وكنّا إذا الجبّار صَعَّر خَدّه ضربناه حتى تستقيم الأَخادعُ[2]

وقوله : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السوء لَمّا رأى دَماً بصاحبه يوماً أَحال على الدَّمِ[3]

وقوله : [من الطويل]

تُرجِّي رُبيعٌ أَن تجيء صغارُها بخير وقد أَعيا رُبيعاً كبارُها

وقوله : [من الكامل]

أَكلتْ دوابرَها الإكامُ فمشيها ممّا وَجِئْن كمِشية الإعياءِ[4]

وقوله : [من الطويل]

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيَفعَمُ

وقوله : [من الكامل]

---

1 كليب : قبيلة جرير . نهشل ومجاشع من أجداد الفرزدق .

2 صعّر خدّه : أماله تكبّراً . الأخادع : جمع أخدع ، وهو أحد عرقين في جانب العنق .

3 أحال على الدم : أقبل عليه . ويضرب هذا البيت مثلاً لِمَن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلّها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه .

4 دوابر : جمع دابرة ، وهي العرقوب .

أَحلامُنا تـزِن الجبـال رَزانةً   وتخالنـا جِنّـا إذا مـا نجهلُ

وقوله : [من الطويل]

وإنّك إذ تسعى لتدرك دارماً   لأنت المُعَنَّى يـا جرير المُكَلّفُ

وقوله : [من الطويل]

فإن تنجُ منّي تنجُ من ذي عَظيمةٍ   وإلاّ فإنّــي لا إخالـك ناجيا

وقوله : [من الطويل]

تـرى كلّ مظلوم إلينا فِـرارُه   ويهرَبُ منّا جهـدَه كُلُّ ظالمِ

وقوله : [من الطويل]

ترى النّاس ما سِرْنا يسيرون حولَنا   وإن نحن أَومأنا إلى النّاس وقَّفوا

وقوله : [من الطويل]

فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به   نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأْسِ خالدِ

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها   ويَقطعـن أَحياناً مَناط القَلائدِ

وكان يُداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو ، من ذلك قَولُه يمدح هِشامَ بنَ إسماعيل المخزوميّ خالَ هشام بن عبد الملك : [من الطويل]

وأَصبَح مـا في النّاس إلاّ مُمَلَّكاً   أَبـو أُمِّه حَـيٌّ أَبـوه يُقارِبُهْ

وقوله : [من الكامل]

تـالله قـد سَفِهَتْ أُميّةُ رأْيَها   فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها[1]

وقوله : [من الوافر]

أَلستـم عائجيـن بنـا لعنَّـا   نـرى العَرصاتِ أَو أَثَـر الخيامِ

فقالـوا : إن فعلتَ فأغنِ عنّـا   دُموعـاً غيرَ راقِئـة السّجامِ[2]

وقوله : [من الطويل]

فهل أَنتَ إن ماتت أَتانُكَ راحِلٌ   إلى آل بِسطامِ بن قيس فخاطِبُ

وقوله : [من الطويل]

فَنَلْ مثلَها مـن مِثلهم ثم دُلَّهم   على دارمـيّ بين ليلى وغالبِ

---

1 سفه رأيه : حمله على السفه .

2 غير راقئة السجام : دائمة الحملان .

وقوله : [من الطويل]

تعـالَ فإن عاهدتنـي لا تخونُني نكنْ مثلَ مَنْ ، يا ذئبُ ، يَصْطحبانِ

وقوله : [من البسيط]

إنّـا وإيّـاك إن بلّغْـنَ أَرحُلَنـا كمَنْ بِواديـه بعد المَحْل مَمْطورُ

وقوله : [من الوافر]

بنـي الفاروق أُمّك وابـن أروى بـه عثمـان مـروان المصابا[1]

وقوله : [من الطويل]

إلى مَلِك مـا أُمُّه من مُحاربٌ أبـوه ولا كانت كليب تصاهِرُه

وقوله : [من الطويل]

إليـك أَميرَ المؤمنـين رمَـتْ بنا هموم المنـا والهَوْجَـل المتعسّف[2]

وعضّ زمانٌ يا ابن مروان لم يدعْ من المالِ إلاّ مُسحتاً أَو مُجلَّفِ[3]

وقوله : [من الكامل]

ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دَنَت منهـا بـلا بَخَـلٍ ولا مبـذولِ

وكأَنّ لونَ رُضابِ فيهـا إذ بدا بَـرَدٌ بفـرع بَشامةٍ مصْقولُ[4]

وقوله فيها لمالك بن المنذر : [من الكامل]

إنّ ابـن ضبّـاري ربيعةَ مالِكاً لله سيـف صنيعـةٍ مَسْلـولُ

مـا نـال مـن آل المُعلّـى قبلَه سيـفٌ لكـلّ خليفـة ورسُولُ

وقوله : [من الكامل]

ما من يَديْ رَجُـلٍ أَحقُّ بما أَتى من مكرمـات عطايـة الأَخطارِ

من راحتين يزيـدُ يقـدح زندَه كفّاهمـا ويشدّ عقـد جـوارِ

وقوله : [من الطويل]

---

1 في الديوان 82/1 :

هو السيف الذي نصر ابن أروى بـه مـروانُ عثمـانَ المصابـا

2 الهوجل المتعسف : الدليل المتعسف .

3 المسحت : الكسب الخبيث ، المجلف : الموقع صاحبه في الجدب .

4 البشام : نوع من الشجر ، وفي البيتين إقواء .

إذا جئتَــه أَعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائلُهْ
لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أَجل لا ، وإن كانت طُوالاً حمائلُهْ[1]

وقوله : [من الكامل]

والشيب يَنْهَضُ في الشبابِ كأنّه ... ليـــل يسير بجانبيـــه نهـــارُ

[لا يكذب في مدحه]

قال أَبو خليفة : أَخبرنا محمد بن سلاّم قال : حدَّثني شعيب بن صخر ، عن محمد بن زياد ، وأَخبرني به الجوهريّ وجَحْظة عن ابن شَبّة ، عن محمد بن سلاّم ، وكان محمد في زمام الحجّاج زماناً قال : انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجّاج بالرّدَم وهو قائم والنّاس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك : [من الطويل]

وكم أُطلقتْ كفّاك من غـلّ بائس ... ومن عُقدةٍ مـا كان يُرجى انحلالُها
كثيراً من الأَيدي التي قد تكتَّفتْ ... فَكَكْتَ وأَعناقـاً عليهـا غِلالُها[2]

قال : قلت : أنا والله أحدُهم ، فأخذ بيدي وقال : أيـّها النّاس سلوه عمّا أقول والله ما كذبت قطّ .

[يأبى حين يريد]

أُخبرني جحظة قال : حدَّثني ابن شبّة ، عن محمد بن سلاّم فذكر مثلَه وقال فيه : والله ما كذبت قطّ ولا أكذب أبداً .

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول : كتب يزيدُ بن المهلّب لمّا فتح جُرْجان إلى أخيه مدركَة أو مروان : احمل إليَّ الفرزدق ، فإذا شخص فأعطِ أهله كَذا وكذا ؛ ذكر عشرة آلاف درهم ، فقال له الفرزدق : ادفعها إليّ ، قال : اشخص وأدفَعُها إلى أهلِك ، فأبى ، وخرج وهو يقول : [من الطويل]

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه ... لآتِيَــهُ إنِّــي إذاً لـــزءورُ
لآتيَ مـــن آل المهلّب ثائراً ... بأَعراضِهم والدَّائــرات تدُورُ
سآبى وتَـأْبى لي تميمٌ وربّما ... أَبيْتُ فلـم يقـدرْ علـيّ أَميرُ

[لم يمنعه أهله فدخل السجن]

قال أَبو خليفة : قال ابن سلاّم : وسمعت سلمة بنَ عيَّاش قال : حُبِسْت في السجن ، فإذا

---

1 لا تنصف النعل ساقه : لا تبلغ نصفها .

2 الغلال : جمع غل ، وهو الطوق .

فيه الفرزدق قد حبسه مالِكُ بن المنذر بن الجارود ، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ، ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر ، فقال لي : مِمّن أنت ؟ قلت : من قريش قال : كُلُّ أيْرِ حمارٍ من قريش ؛ من أيِّهم أنتَ ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله أذلة ، جاورتهم فكانوا شرّ جيران ، قلت : ألا أُخبرك بأذلّ منهم وألأم ؟ قال : مَن ؟ قلت : بنو مُجاشع ، قال : ولِمَ ويلك ! قلت : أنت سيِّدهم وشاعرهم وابنُ سيِّدهم ، جاءك شرطي مالك ، حتى أدخلك السجن ، لم يمنعوك ، قال : قاتلك الله .

[يهجو عمر بن هبيرة]

قال أبو خليفة : قال ابن سلاّم : وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلّب فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك ، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساءَ عَزْل مسلمة ، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس : [من الكامل]

ولـت بمسلمَة الركابُ مُودَّعاً فارعَـيْ فـزارةُ لا هَنـاكِ المَرْتَعُ
فسدَ الزّمـانُ وبُدِّلـت أعلامُه حتـى أُمَيّـةُ عـن فزارةَ تِنْزِعُ[1]
ولقـد علمـتُ إذا فزارةُ أُمِّرت أن سوف تطمع في الإمارة أَشجعُ
وبحقّ ربّـك مـا لهـم ولمثلهم في مثل مـا نالت فَزارةُ مطمعُ
عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَه وأخـو هَـراةَ لمثلهـا يتوقَّعُ

ابن بشر : عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمَّرَه عليها مسلمة . وابن عمرو : سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، وأخو هراة : عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي .

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة : [من الوافر]

أَمِير المؤمنـين وأنـتَ عَفٌّ كريمٌ لستَ بالطَّبعِ الحريصِ[2]
أَولَّيتَ العِـراقَ ورافِدَيْـه فزاريّـاً أحـذَّ يدِ القَميصِ[3]
ولم يـكُ قبلها راعي مخاضٍ لتأمَنَـه على وَرِكَـيْ قَلُوصِ
تفنَّـن بالعـراقِ أبـو المُثنّى وعَلَّم أهلَـه أكْلَ الخَبيصِ[4]

1 تنزع : تكف أذاها عنها وتجاملها .

2 عفّ كريم في الديوان 389/1 : والٍ شفيق . الطّبع : الدنيء اللئيم .

3 أوليت في الديوان 389/1 أأطعمت . أحذّ : مقطوع .

4 تفنّن : في الديوان 389/1 : تفيهق .

وأنشدني له يونس : [من البسيط]

جَهّـز فإنّك ممتـارٌ ومُبتعثٌ إلى فزارةَ عِيْراً تحمِل الكَمَرا[1]
إنَّ الفزاريَّ لـو يعمى فأطعَمَه أَيرَ الحِمارِ طبيبٌ أَبرأَ البَصَرا
إنّ الفزاريّ لا يشفيه من قَرَمٍ أطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا
يقول لّما رأى ما في إنائهم : للهِ ضيف الفزاريين ما انْتظَرا

فلمّا قدِم خالد بن عبد الله القسريّ والياً على ابن هبيرة حبسه في السجن ، فنُقِب له سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام ، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه : [من الطويل]

ولّما رأيتَ الأَرضَ قـد سُدَّ ظهرُها ولم تَـرَ إلاّ بطنَهـا لـك مخرجا
دعـوت الذي نـاداه يونُسُ بعدما ثـوى في ثـلاث مظلمات ففرّجا
فأصبحت تحت الأَرض قد سِرْتَ ليلةً ومـا سار سارٍ مثلهـا حـين أَدلجا
خرجتَ ولم تمنُـنْ عليـك شفاعةٌ سوى رَبذِ التقريب من آل أعوجا[2]
أَغرّ من الحُـوِّ اللهاميم إذ جـرى جرى بِكَ محبوكُ القِرى غير أَفحجا[3]
جـرى بِـك عُريان الحماتين ليلَهُ به عنك أَرخى الله مـا كان أَشرجا[4]
ومـا احتال مُحتالٌ كحيلتـه التي بهـا نفسه تحـت الصّريمـة أَولجا[5]
وظَلماء تحت الأَرض قد خُضت هولَها وليـلٍ كلـون الطَيلسانيّ أَدْعجا[6]
همـا ظُلْمتا ليـلٍ وأَرض تلاقتـا على جامع مـن هَمِّـه مـا تعوَّجا

[يهجو خالد بن عبد الله القسريّ أيضاً]

فحدَّثني جابر بن جندل قال : فقيل لابن هبيرة : مَن سيِّد العراق ؟ قال : الفرزدق هجاني

1 ممتار : طالب ميرة . الكمر : جمع كمرة ، وهو رأس القضيب .
2 شفاعة في الديوان 117/1 طلاقة . ربذ التقريب : خفيف الجري . أعوج : حصان عتيق تنسب العرب إليه جياد الخيل .
3 الحوّ : السمر . اللهاميم في الديوان 117/1 : الجياد ، واللهاميم : جمع لهموم ، وهو السريع العدو . وفي الديوان أيضاً : جرى جري عريان . القرى : الظهر . أفحج : من الفحج ، وهو تداني صدور قدمي الفرس وتباعد عقبيه .
4 الحماتان : لحمتان في ساقي الفرس . أشرج ، من أشرج العيبة : أحكم شدّها ، وفي الديوان 118/1 : أشنجا ، وأشنج : تقبض وتقلّص .
5 الصريمة في الديوان : الضريحة .
6 الطيلساني : فيه طلسة ، وهي السواد . أدعج : شديد الظلمة .

أميراً ومدحني سوقة . وقال الفرزدق لخالد القسريّ حين قدِم العراق أميراً لهشام : [من الطويل]

ألا قطــع الرحمن ظهرَ مطيَّةٍ أتتنا تَمَطَّى من دمشقٍ بخالدِ
وكيف يــؤمّ المسلمين وأُمُّه تديــن بـأنّ اللهَ ليس بواحدِ
بَنى بَيْعَةً فيها الصَّليبُ لأُمِّه وهَدَّم من كُفرٍ مَنارَ المساجِدِ

وقال أيضاً : [من الكامل]

نزلت بجيلَةُ واسطاً فتمكَّنتْ ونَفَتْ فزارةَ عن قرارِ المنزلِ[1]

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها جَريرٌ لقد أخزى بجيلةَ خالِدُ

فلمّا قدِم العِراقَ خالدُ أميراً أمّر على شرطة البصرة مالِكَ بن المنذر بن الجارود ، وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدَّعِي على مالك قَرْية ، فأبطلها خالد ، وحفر النهر الذي سمّاه المبارَك ، فاعترض عليه الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أَهلكتَ مــالَ اللهِ في غيرِ حقِّه على النَّهَـــرِ المشؤومِ غيرِ المباركِ
وتَضرِبُ أَقواماً صِحاحاً ظهورهم وتتركُ حــقَّ اللهِ في ظَهْرِ مالكِ[2]
أَإنفـاقَ مــالِ اللهِ في غير كُنهــه ومَنْعاً لحَقِّ المرمِلاتِ الضرائكِ[3]

[مهر حدراء ومصرعها]

أخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأَصمعيّ قال : قال أعْيَن بن لبطة : دخل الفرزدق على الحجّاج لّما تزوّج حدراء يستميحه مهرها ، فقال له : تزوّجتُ أعرابيّةً على مائة بعير ، فقال له عنبسة بن سعيد : إنّما هي فرائض قيمتُها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً ، فقال له الحجّاج : ليس غيرَها ، يا كعب ، أعطِ الفرزدق ألفَي درهم .

قال : وقدِم الفُضيل العَنَزيّ بصدقات بكر بن وائل ، فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان ، قال الفرزدق : فصلَّيت مع الحجّاج الظهر حتى إذا سلّم ، خرجت فوقفت في الدّارِ فرآني ، فقال مَهْيَمْ[4] ، فقلت : إنّ الفُضيل العَنَزيّ قدِم

---

1 بجيلة : قبيلة خالد .

2 وردت رواية البيتين في الديوان 58/2 كالآتي :

أتتك رجـال من تميـم فشهدوا فضيعت حق الله في ظلم مالك
وأنفقت مـال الله في غير حقّـه على نهرك المشؤوم غير المبـارك

3 الضرائك في الديوان 59/2 : الضوائك ، والضرائك : جمع ضريكة ، وهي الفقيرة .

4 مهيم : كلمة استفهام بمعنى ما شأنك .

بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان ، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل ، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ، ونسي ما كان أمر له به ، قال : فلمّا جاءَ الفرزدق بالإبل قالت له النَّوار : خسرت صفقتك ، أتتزوّج أعرابيّة نصرانيّة سوداء مهزولة حمشاء[1] الساقين على مائة من الإبل ؟ فقال يُعرِّض بالنَّوار وكانت أمّها وليدة : [من الطويل]

لَجاريةٌ بين السَّليل عروقُها ... وبين أبي الصَّهباء من آل خالدِ[2]

أحقُّ بإغلاءِ المهورِ من التي ... رَبَتْ وهي تنزو في حجور الولائدِ

فأبت النَّوار عليه أن يسوقها كلّها ، فحبس بعضَها ، وامتار[3] عليه ما يحتاج إليه أهلُ البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، قال أعين : فلمّا كان في أدنى الحيّ رأوا كبشاً مذبوحاً ، فقال الفرزدق : يا أوفى ، هلكت والله حدراء ، قال : وما عِلمُك بذلك ؟ قال : ويقال : إن أوفى قال للفرزدق : يا أبا فراس لن ترى حدراء ، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق ، وهو جالس ، فرحّب به ، وقال له : انزل فإنّ حدراءَ قد ماتت ، وكان زيق نصرانيّاً فقال : قد عرفنا أنّ نصيبك من ميراثها في دينكم النصف ، وهو لك عندنا ، فقال له الفرزدق : والله لا أرزؤك منه قطميراً ، فقال زيق : يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرمَ منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

عَجِبت لحادينا المقَحِّم سيرَه ... بنا مُوجِعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا[4]

ليُدنِينا ممّن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا

ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أمامنا ... لكرَّ بنا الحادي المطيّ فأسرعا[5]

يقولون : زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تَقَطَّعا

يقول ابن خِنزير : بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا

وأهونُ رزء لامرئٍ غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتجِ الروادفِ أفرعا

ولست ، وإن عزّت ، عليّ بزائرٍ ... تُراباً على مرموسةٍ قد تَضعضعا[6]

1 حمشاء الساقين : مشوهتها

2 السَّليل وأبو الصهباء : من أجداد حدراء .

3 امتار : طلب الميرة .

4 موجعات في الديوان 422/1 مُزْحفات .

5 الغيب في الديوان 422/1 العلم . والمطي في الديوان : الركاب .

6 مرموسة في الديوان : مرسومة .

وقيل إنّ النَّوار كانت استعانت بأُمّ هاشم لا بتُماضر ، وأُمّ هاشم أُخت تُماضرَ ؛ لأنّ تُماضرَ ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خُبَيْباً وثابتاً ابنَي عبد الله بن الزبير ، وتزوّج بعدها أُختها أُمّ هاشم ، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّاداً ، وفي أُمّ هاشم يقول الفرزدق : [من الطويل]

تروّحتِ الرّكبانُ يا أُمَّ هاشمٍ وهنَّ مُناخاتٌ لهنّ حنينُ

وحُبِّسْن حتى ليس فيهنّ نافِقٌ لبيعٍ ولا مركوبُهنّ سمينُ

[نشوز زوجة أخرى]

أَخبرنا عبد الله قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : حدَّثني الأَصمعيّ قال : نشزت رُهَيمة بنت غنيّ بن درهم النَّمريّة بالفرزدق فطلّقها ، وقال يهجوها بقوله : [من الطويل]

لا ينكحنْ بعدي فتًى نَمريّةً مُرَمَّلةً من بعلها لبعادِ[1]

وبيضاء زَعراء المفارق شَخْتَةً مولّعةً في خُضرة وسوادِ[2]

لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأَن مَضَمَّه إذا عانقت بَعْلاً مَضَمُّ قتادِ[3]

قرنتُ بنفسي الشؤمَ في وِرد حوضها فَجُرِّعتُه مِلحاً بماءِ رمادِ

وما زلتُ ، حتى فرَّق الله بيننا له الحمدُ ، منها في أَذًى وجهادِ

تُجدِّد لي ذكرى عذابِ جهنّمٍ ثلاثاً تُمسِّيني بها وتغادي

[يبكي ولداً له من سفاح]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني الحسين بن موسى قال : قال المدائنيّ : لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً ، فقالت له : ما لك تنظر ؟ فوالله لو كان لي ألف حِرٍ ما طمعتَ في واحدٍ منها ، قال : ولِمَ يا لخناء[4] ؟ قالت : لأَنّك قبيح المنظر سيىء المخبر فيما أرى ، فقال : أما والله لو جربتني لعفَّى خُبري على منظري ، قال : ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر ، فتضبّعت[5] له عن مثل سنام البكر فعالجها ، فقالت : أَنِكاح بنسيئة ؟ هذا شرّ القضيّة ، قال : ويحك ، ما معي إلاّ جبّتي ، أفتسلبينني إيّاها ثم تسنّمها ، فقال : [من الرجز]

---

1 مرمّلة في الديوان 179/1 مزملة .

2 شختة في الديوان : شجنة ، أي الغصن الملتف المشتبك ، وشختة : نحيفة .

3 شثن : جلد خشن .

4 اللخناء : القبيحة الكلام .

5 تضبّعت : تكشفت .

أولجتُ فيهـا كذِراع البَكرِ مُدملَكَ الرأس شديـدَ الأَسْرِ[1]
زاد عـلى شِبْر ونصفِ شِبْر كأنّنـي أُولجتُـه في جَمـرِ
يُطيـر عنـه نَفَيـانَ الشّعْـرِ نفي شُعور النّاس يَوْمَ النحرِ[2]

قال : فحملتْ منه ، ثم ماتت ، فبكاها وبكى ولده منها . [من الطويل]

وغِمْدِ سلاحٍ قد رزئتُ فلم أُنُح عليـه ولم أَبعثْ عليه البواكِيا
وفي جَوفِه من دارمٍ ذو حفيظةٍ لـو آنّ المَنايـا أنسأَتـه لياليا
ولكنَّ ريب الدّهرِ يعْثُر بالفتى فلم يستطعْ رَدّاً لما كان جائِيا
وكم مثلِـه في مثلِها قد وضعته ومـا زلت وثّاباً أُجرُّ المخازيا

فقال جرير يعيّره : [من الطويل]

وكم لَكَ يا ابنَ القَيْن إنْ جاء سائلٌ من ابنٍ قصير الباع مثلُك حاملُهْ
وآخر لم تشعُر بـه قـد أَضعتَه وأَوردتـه رِحمـاً كثيراً غوائِلُهْ

[يتزوّج ظبية فيعجز عنها]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثني محمد بن سليمان الكوفيّ عن أَبيه قال : تزوّج الفرزدقُ ظبية ابنة حالم من بني مُجاشِع بعد أن أسنّ ، فضعف ، وتركها عند أُمّها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده ، فكتب إلى أبان بن الوليد البَجَلِيّ ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْريّ ، فأعطاه ما سأل وأرضاه ، فقال يمدحه : [من الوافر]

فلـو جمعوا من الخِلاّنِ أُلفا فقالـوا : أَعطِنـا بهـمُ أَبانا
لقلتُ لهـم : إذاً لغبنتموني وكيف أَبيع من شرَط الزمانا[3]
خليـلٌ لا يـرى المائةَ الصّفايا ولا الخيـلَ الجيادَ ولا القيانا
عَطـاءً دون أَضعـاف عليها ويُطعمُ ضَيفَه العُبُطَ السِّمانا

العُبُط : الإبل التي لا وجع بها .

فما أَرجـو لظبيةَ غيرَ ربّـي وغيرَ أَبـي الوليد بمـا أَعانا[4]

---

1 مدملك الرأس : رأسه كالثدي الناهد . وشديد الأسر : قوي محكم .
2 نفيان الشعر : ما طار منه .
3 شرط الزمانا في الديوان 337/2 شرط الضمانا : التزم به وهو المهر .
4 وأبي الوليد في الديوان : ابن الوليد .

أعـان بهجمـة أرضَتْ أباها وكانـت عنـده غَلَقاً رِهانا[1]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

لقد طال مـا استودعتُ ظبيةَ أُمَّها وهـذا زمـان رُدّ فيـه الودائعُ

وقال حين أراد أن يبني بها : [من الطويل]

أُبـادِر سُؤَّالاً بظبيـة أنّنـي أتتني بهـا الأهوالُ من كلّ جانبِ
بمالِئـةِ الحِجْلَيْـنِ لـو أنَّ مَيِّتـاً ولو كان في الأمواتِ تحت النصائبِ
دعته لألقـى التُّربَ عنـد انتفاضِه ولو كان تحت الراسيات الرواسبِ

فلمّا ابتنى منها عجز عنها فقال : [من البسيط]

يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[2]

وقال جرير : [من الكامل]

وتقول ظبيـةُ إذ رأتك محوقِلاً ـ حَوْقَ الحمار ـ من الخبالِ الخابلِ[3]
إنَّ البليَّـة وهْـيَ كلُّ بليَّـةٍ شيخٌ يُعَلّـل عِرْسَه بـالباطِلِ
لو قـد عَلقتِ من المهاجرِ سُلَّما لنجوتِ منـه بالقضاءِ الفاصِلِ

قال : فنشزت منه ، ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قولُ جرير فقال المهاجر : لو أتتنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها .

[يشيد بابنته مكيّة وأمّها الزنجيّة]

قال : وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكّيّة ، وكانت زنجيّة ، وكان إذا حَمِي الوطيسُ ، وبلغ منه الهجاء يكتني بها ، ويقول : [من الرجز]

ذاكُمْ إذاً مـا كنتُ ذا محميَّهْ بدارِمـيٍّ أُمُّـه ضَبِّيَّـهْ
صمحمح يُكنى أبا مكّيّة[4]

وقال في أُمِّها : [من الرجز]

---

1 بهجمةٍ في الديوان 337/2 بدفعة ، والهجمة عدد كبير من الإبل . وغلق الرهن : استحقّ لِمَن هو عنده بعد ما مضى ميعاده .

2 الرّكب : العانة أو أصل الفرج .

3 محوقل : من حوقل بمعنى ضعف وأعيا .

4 الصمحمح : القوي الشديد المجتمع الألواح .

يا ربَّ خوْدٍ من بناتِ الزّنجِ تحمل تنُّوراً شديــدَ الوهْجِ
أَقعبَ مثْــلَ القدَحِ الخَلَنجِ يزداد طيباً عند طـول الهرجِ[1]
مَخَجْتُها بالأَيـر أَيَّ مخجِ[2]

فقالت له النَّوار : ريحُها مثل ريحك .

وقال في أُمِّ مكّيّة يخاطب النَّوار : [من الوافر]

فإن يَكُ خالها من آل كسرى فكِسرى كان خيراً من عِقالِ
وأَكثرَ جزيــةً تُهـدَى إليـه وَأصبرَ عنـد مختلِف العوالي

قال : وكانت أُمّ النَّوار خُراسانيّة ، فقال لها في أُمّ مكّيّة : [من الطويل]

أَغـرّك منهــا أُدْمَــةٌ عربيّةٌ علت لونَها إن البِجادِيَّ أَحمرُ[3]

[يمدح سعيداً فيغضب مروان]

حدَّثني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ قـال : دخـل الفرزدق على سعيـد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأَنشده : [من الوافر]

ترى الغرّ الجحاجحَ من قريش إذا ما الخطب في الحدثانِ غالا[4]
وقُوفــاً ينظــرون إلى سعيــد كأنّهــمُ يــرون بـــه هِلالا

وعنده كعب بن جُعيل ، فلمّا فرغ من إنشاده قال كعب : هذه والله رؤياي البارحة ، رأيتُ كأنّ ابن مُرّة في نواحي المدينة وأنا أضمّ ذلاذلي[5] خوفاً منه ، فلمّا خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال : لم ترض أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً في قولك :

قِيامــاً ينظــرون إلى سعيــد كأَنّهمُ يــرون بـــه هِـلالا

فقال له : يا أَبا عبد الملك إنّك من بينهم صافن[6] ، فحقد عليه مروان ذلك ، ولم تطل الأَيّام حتى عُزِل سعيد ، ووُلِّي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدّماً حتى قال قصيدته التي

1 أقعب : شبيه بالقعب ، وهو القدح الكبير . والهرج : كثرة النكاح .
2 مخجتها : أتيتها .
3 الأدمة : الجلد الأحمر . البجادي : نوع مخطط من الأكسية العربية .
4 الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم .
5 الذلاذل : أسافل القميص الطويل .
6 صفن الرجل : صف قدميه .

قال فيها : [من الطويل]

هما دَلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضّ بازٌ أقتمُ الرِّيش كاسرُهْ
فلمّا استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نُحاذرُهْ
فقلت : ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعقاب ليل أُبادِرُهْ[1]
أُبادِر بوّابين لم يشعروا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تلُوح مسامرُهْ[2]

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله ﷺ ، اخرج عن المدينة فذلك قول جرير : [من الطويل]

تدلّيتَ تزني من ثمانينَ قامةً ... وقَصَّرت عن باع النّدى والمكارمِ

[رواية أُخرى للخبر السابق]

أُخبرنا ابن دُرَيد ، قال : أخبرنا الرياشيّ ، عن محمد بن سلاّم ، قال : دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد ، وعليها سعيدُ بن العاص بن أميّة بن عبد شمس أميراً من قبل معاوية ، فدخل على سعيد ، ومَثَلَ بين يديه ، وهو معتم ، وفي مجلس سعيد الحُطيئةُ وكعب بن جُعَيل التغلبيّ ، وصاح الفرزدق : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، أنا عائذ بالله وبك ، أنا رجل من تميم ، ثم أحَد بني دارم ، أنا الفرزدق بن غالب ، قال : فأطرق سعيدٌ مليّاً ، فلم يجبه ، فقال الفرزدق : رجل لم يصب دماً حراماً ، ولا مالاً حراماً ، فقال سعيد : إن كنت كذلك فقد أمنت ، فأنشده : [من الوافر]

إليك فررتُ مِنك ومن زيادٍ ... ولم أحسب دمي لكما حَلالا
ولكنّي هجوتُ وقد هجاني ... معاشرُ قد رضخْتُ لهم سِجالا[3]
فإن يكن الهجاء أحلَّ قَتلي ... فقد قلنا لشاعرهم وقالا
أرقتُ فلم أَنَم ليلاً طويلاً ... أُراقب هل أرى النَّسريْن زالا[4]
عليك بني أُميّة فاستجرهم ... وخُذ منهم لما تخشى حِبالا
فإنّ بني أُميّة في قريش ... بَنَوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا
ترى الغرَّ الجحاجح من قريشٍ ... إذا ما الأمر في الحدثانِ غالا[5]

---

1 الأمراس : الحبال .
2 أحمر بن ساج : أي الباب .
3 رضخت لهم : رضخت التيوس إذا أخذت النطاح .
4 النسريْن في الديوان 70/2 : النسران : كوكبان .
5 الغر في الديوان 70/2 : الشم . غالا : في الديوان 70/2 : عالا : عال : فدح وثقل .

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنّهمُ يرون به هِلالا

قال : فلمّا قال هذا البيت ، قال الحطيئة لسعيد : هذا والله الشعر ، لا ما كنت تَعَلَّلُ به منذ اليوم ، فقال كعب بن جُعيل : فضلته على نفسك ، فلا تفضله على غيرك ، قال : بلى والله إنّه ليفضلني وغيري ، يا غلام ، أدركت مَنْ قَبلك ، وسبقت مَن بعدك ، ولئن طال عمرك لتبرُزَنَّ .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق ، فقال : يا غلام ، أَنْجَدَتْ أُمُّك ؟ قال : لا بل أَبي ، أَراد الحطيئة : إن كانت أُمُّك أنجدَت فقد أصبتُها فولدَتك إذ شابهتني في الشعر ، فقال الفرزدق : لا بل أبي ، فوجده لَقِناً .

[مع مخنث]

أخبرني ابن دريد قال : قال لنا أَبو حاتم : قال الأصمعيّ : ومن عبثات الفرزدق أَنّه لقي مُخَنَّثاً فقال له : من أين راحت عمّتنا ؟ فقال له المخنَّث : نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير : [من المتقارب]

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز وحقُّك تُنفى من المسجدِ

[جرير يعترف له بالغلبة]

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ ، عن النضر بن شميل قال : قال جرير : ما قال لي ابن القين بيتاً إلاّ وقد اكتفأته ، أي قلبته إلاّ قوله : [من الكامل]

ليس الكِرامُ بناحليك أَباهم حتى يرد إلى عطية تُعْتلُ

فإنّي لا أَدري كيف أَقول فيها .

[جرير يلقّبه بالعزيز]

وأَخبرني ابن دريد قال : حدَّثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبيّ ، عن عَوانة بن الحكم ، قال : بينما جرير واقف في المِرْبد وقد ركبه النّاس وعمر بن لجأ مواقفه فأَنشده عمر جواب قوله : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عديٍّ لا أَبا لكم لا يقذفنَّكُم في سَوأَةٍ عمرُ
أَحين صِرْتُ سِماماً يا بني لجأ وخاطرَتْ بيَ عن أَحسابها مُضرُ[1]

---

1 خاطرت : رافعت .

فقال عمر جواب هذا : [من البسيط]

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ... ما خاطرَتْ بِكَ عن أحسابها مُضَرُ

ألَسْتَ نَزوَة خوّارٍ على أمة ؟ ... لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة ، فقال جرير لمّا سمعها : قبحاً لك يا ابن لجأ ، أهذا شعرك ، كذبت والله ولو مِتَّ ، هذا شعر حنظليّ ، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جواباً .

[يلقب جريراً بالقرم]

وخرج غنيم بن أبي الرّقراق حتى أتى الفرزدقَ ، فضحك ، وقال : إيه يا ابن أبي الرّقراق ، وإن عندك لخبراً ، قلت : خُزِيَ أخوك ابن قتب ، فحدّثته ، فضحك ، حتى فحص برجليه ، ثم قال في ساعته : [من الطويل]

وما أنت إن قَرْما تَميم تساميا ... أخا التّيم إلاّ كالوشِيظة في العَظمِ[1]

فلو كنت مولى الظّلم أو في ثِيابه ... ظلمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلْمِ

فلمّا بلغ هذان البيتان جريراً قال : ما أنصفني في شعر قطّ قبل هذا يعني قوله :

. . . إنْ قرْما تميم تساميا

[يغتصب الشعر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشيّ قال : كان الفرزدق مَهيباً تخافه الشعراء ، فمرَّ يوماً بالشمردل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصمِ[2]

قال : والله لتَتركنَّ هذا البيت أو لتتركَنَّ عرضَك ، قال : خذه على كرهٍ منّي ، فهو في قصيدة الفرزدق التي أوّلها قوله :

تحنّ بزوراءِ المدينة ناقتي

قال : وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يجبّ فيه القطع يعني سرقة الشعر .

أخبرنا ابن دريد عن حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْميّ قال : بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمّة ينشد قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

---

1 الوشيظة : شظية زائدة في أصل العظم .

2 الغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعظم .

أحِينَ أعاذت بـي تميمٌ نساءَها وجُرِّدتُ تجريدَ اليَمانيِّ من الغِمدِ

إذا راكبان قد تدلّيا من نَعفٍ كاظمة متقنعان ، فوقفا ، فلمّا فرغ ذو الرُّمّة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال : يا عُبَيد ، اضممها إليك ، يعني راويته ، وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة ، فقال ذو الرُّمّة : نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت ، قال : دع ذا عنك ، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات : [من الطويل]

أحـين أعاذت بـي تميمٌ نساءَها وجُرِّدت تجريدَ اليماني مـن الغِمدِ

ومـدت بضَبْعيَّ الرّبـابُ ومالكٌ وعمرٌو ، وشالت من ورائي بنو سعدِ[1]

ومـن آلِ يربـوعٍ زُهـاءٌ كأنّه دُجى الليـل محمود النِّكايةِ والوِردِ[2]

وكنّـا إذا الجبّـارُ صَعَّرَ خـدَّه ضربناه فـوق الأُنثَيَيْن على الكَرْدِ[3]

[يجوز السبق في الفخر]

أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة قال : اجتمع الفرزدق وجرير وكثيّر وابن الرّقاع عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أنشدونا من فخرِكم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

وما قـوم إذا العلماء عَدّت عروقَ الأكرمين إلى الترابِ

بمختلفـين إن فضّلتمونـا عليهم في القَديم ولا غِضابِ

ولو رَفـع السحابُ إليه قوماً عَلَوْنا في السماءِ إلى السحابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا ، فوالله ما ترك لكم مقالاً .

[يتعصّب لابنته مكيّة]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن عمرانَ الضبّيّ ، عن سليمانَ بنِ أبي سليمانَ الجوزجانيّ قال : غاب الفرزدق فكتبت النَّوار تشكو إليه مكّيّة وكتب إليه أهله يشكون سوء خُلُقها وتبذّيها عليهم فكتب إليهم : [من الطويل]

كتبتـم عليهـا أنّها ظلمتكم كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونَها

---

1 بضبعي : مثنى ضبع ، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها ، ومدت بضبعي : أعانتني . **والرباب** ومالك وعمره وبنو سعد : قبائل .

2 الزهاء : العدد الكثير .

3 الشطر الأول في الديوان 178/1 «وكنا إذا القيسيّ نَبّ عتوده» . ونبّ عتوده : تكبّر . صعّر خده : **أماله** صلفاً وتكبراً . الأنثيان : الأذنان . الكرد : العنق .

فإلاّ تعدُّوا أنّها من نسائكم ... فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينَها
وإنّ لها أعمامَ صدق وأُخوة ... وشيخاً إذا شاءت تَنَمّر دونَها

[عقوق ابنه]

قال : وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لَبطة ، والآخر حَبَطَة ، والثالث ، سبطة ، وكان لبطة من العَقَقة فقال له الفرزدق : [من الطويل]

أإن أُرعِشتْ كفَّا أبيك وأُصبَحتْ ... يداك يَدَيْ ليثٍ فإنّك جاذِبُهْ
إذا غالَبَ ابنٌ بالشّبابِ أباً له ... كبيراً فإنّ الله لا بُدَّ غالبُهْ
رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي ... من ابن امرىء ما إن يزال يُعاتبُهْ
ولمّا رآني قد كبِرتُ وأنّني ... أخو الحيّ واستغنى عن المسح شاربُهْ
أصاخ لغربان النّجيّ وإنّه ... لأزورُ عن بعض المقالة جانبُهْ[1]

قال أبو عبيدة في كتاب النقائض : قال رؤبة بن العجّاج : حجّ سليمان بن عبد الملك ، وحجّت معه الشعراء ، فمرَّ بالمدينة منصرفاً ، فأُتِي بأسرى من الرّوم نحو أربعمائة ، فقعد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن ، عليهم السلام ، وعليه ثوبان مُمَصّران[2] ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدنَوا إليه بطريقَهم ، وهو في جامعة[3] ، فقال لعبد الله بن حسن : قُم ، فاضرب عنقه فقام ، فما أعطاه أحد سيفاً ، حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربه ، فأبان عنقه وذراعه ، وأطنّ[4] ساعده وبعض الغلّ ، فقال له سليمان : والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه ، فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ، فدسّت إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه ، فأبان رأسه ، ودُفِع إلى الفرزدق أسير ، فدسّت إليه القيسيّة سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك النّاس معه . وقيل : إنّ سليمان لمّا دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً ، وقال : اقتله به ، فقال : لا ، بل أقتله بسيف مجاشع ، واخترط سيفه ، فضربه ، فلم يُغنِ شيئاً ، فقال سليمان : أما والله لقد بقي عليك عارُها وشَنارها ، فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها ، وأوّلها : [من الطويل]

1 غربان النجي : قرناء السوء .
2 ممصران : مصبوغان : بصبغ أصفر .
3 جامعة : قيد يجمع اليدين إلى الرجلين .
4 أطن : قطع .

أَلا حــيِّ ربــعَ المنزل المُتقــادِمِ وما حُــلَّ مُذ حَلَّت بــه أُمُّ سالمِ

منها :

أَلم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضى وكَرَّاتِ قيسٍ يومَ دَيْر الجماجم ؟[1]

تُحرِّضُ يا ابنَ القَيْن قيساً ليجعلوا لقومك يوماً مثلَ يــومِ الأَراقمِ[2]

بسيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ[3]

ضربتَ بــه عند الإمام فأُرْعِشتْ يداك وقالوا : مُحَدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريراً عن قوله : [من الطويل]

وهل ضربــةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم أَبــاً عن كُلَيْبٍ أو أَباً مثلَ دارمِ[4]

كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها وتقطــعُ أَحيانــاً مَنــاطَ التمائمِ

ولا نقتلُ الأَسرى ولكن نفكُّهُم إذا أُثقل الأعنــاقَ حمــلُ المغارمِ

وقال يعرِّض بسليمانَ ، ويعيِّره نُبُوَّ سيف ورقاءِ بنِ زهير العبسيّ خالد بن جعفر ، وبنو عبس هم أَخوال سليمان : [من الطويل]

فإن يــكُ سيفٌ خان أَو قَدَرٌ أَبى بتعجيلِ نفسٍ حتفُهــا غيرُ شاهدِ

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبــا بيَدَيْ وَرقاءَ عن رأسِ خالدِ

كذاك سيوفُ الهنــدِ تنبو ظُباتُها وتقطــعُ أَحيانــاً مَنــاط القلائدِ

وأَوّلها :

تباشَرُ يربــوعٌ بنبــوةِ ضربــةٍ ضربتُ بها بــين الطُّلا والمحاردِ[5]

ولو شئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنقه إلى عَلَــق بــين الحِجابَيْن جامِدِ[6]

وقيل : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أَمير المؤمنين ، هب لي هذا الأَسير ، فوهبه له ،

---

1 الجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . ويوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية وجيوش بني أمية .

2 يوم الأراقم كان بين قيس وبني تغلب .

3 أبو رغوان : كنية مجاشع جد الفرزدق . مجاشع : أحد أجداد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين .

4 كليب : جد جرير . ودارم : جد الفرزدق .

5 الطّلا : الأعناق . والمحارد : مفاصل الأعناق .

6 العلق : ما تجمد من الدم .

فأعتقه ، وقال الأبيات التي منها : [من الطويل]

ولا نقتُل الأَسرى ولكن نفكُّهم إذا أُثقِـلَ الأعنـاقَ حملُ المغارمِ

ثم أقبل على راويته ، فقال : كأنِّي بابن المراغة ، وقد بلغه خبري ، فقال :

بسيفِ أبي رَغوانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشت يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ

فما لبثنا إلاّ أيّاماً يسيرة ، حتى جاءتنا القصيدة ، وفيها البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق ، وقال أيضاً في ذلك : [من البسيط]

أَيعجبُ النَّاسُ أَن أضحكتُ خيرَهُم خليفـةَ الله يُستسقى بـه المطـرُ

فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ عنـد الإمـامِ ولكـن أُخِّر القدرُ

ولـو ضربـتُ بـه عمـداً مُقَلَّدَهُ لخـرَّ جثمانُـه مـا فوقـه شَعَرُ[1]

ومـا يُقـدِّم نفساً قبـل مِيتَتِها جمعُ اليدين ولا الصَّمْصامة الذكرُ[2]

[من شعره في السجن]

وأَخبرني عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن أَبي عبيدة ، قال : هجا الفرزدق خالداً القَسريّ وذكرَ المباركَ : النهرَ الذي حفره بواسط ، فبَلَغه ذلك ، وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احْبس الفرزدقَ فإنّه هجا نهرَ أمير المؤمنين بقوله : [من الطويل]

وأَهلكتَ مـالَ اللهِ في غير حقِّه على نهـرك المشؤومِ غير المُبارَكِ

الأبيات ، فأَرسل مالك إلى أيّوبَ بنِ عيسى الضّبيّ ، فقال : ائتني بالفرزدق ، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه ، فطلب إليهم أن يمرّوا به على بني حنيفة ، فقال الفرزدق : ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة ، فلمّا قيل لمالك : هذا الفرزدق انتفخ وريدُ مالك غضباً ، فلمّا أُدخِل عليه قال : [من الطويل]

أَقول لنفسي حـين غصَّت بريقهـا أَلا ليتَ شعري ما لها عنـد مالكِ ؟

لهـا عنـده أَن يَرجعَ اللهُ رُوحَها إليهـا وتنجـو مـن جميع المهالِكِ

وأَنت ابـنُ جَبَّارَيْ ربيعةَ أُدركت بك الشمس والخضراءَ ذاتَ الحبائكِ[3]

---

1 عمداً في الديوان 291/1 على عمد .

2 صدر البيت في الديوان 291/1 : ما يجعل السيف نفساً قبل ميتتها . الصمصامة : السّيف الذي لا يثنيه الضّراب .

3 الخضراء : السماء . والحبائك : جمع حبيكة ، وهي مسير النجم .

فسكَن مالك ، وأمر به إلى السجن ، فقال يهجو أيّوبَ بنَ عيسى الضّبيّ : [من الطويل]

فلو كنتَ قَيْسِيّاً إذا ما حبستني ولكنّ زنجيّاً غليظاً مشافِرُهْ
مَتَتُّ له بالرِّحْم بَيْني وبينه فألفيتُه منّي بعيداً أواصِرُهْ
وقلت : امرؤ من آل ضبّةَ فاعتزى لغيرهم لونُ استِه ومَحاجِرُهْ
فسوف يرى النوبيّ ما اجترحَت له يَداه إذا ما الشِّعر عَيَّتْ نَوافرُهْ
ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست عليك من الشعر الذي أنت حاذِرُهْ
وتَأتي ابنَ زُبٍّ الخنفساء قصيدةٌ تكون له منّي عَذاباً يُباشِرُهْ
تعذرتَ يا ابن الخنفساء ولم تكن لتُقْبَلَ لابنِ الخنفساء معاذرُهْ
فإنّكما يا بني يسار نزوْتما على ثُفرها ما حنّ للزيت عاصرُهْ[1]
لزِنجيَّة بظراءَ شقّق بظرَها زحيرٌ بأيّوب شديدٌ زوافرُهْ[2]

ثم مدح خالدَ بنَ عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحاً كثيراً ، فأنشدني يُونُس في كلمة له طويلة : [من الكامل]

يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أَقل وليُعلَمنّ من القصائد قيلي
يا مالِ هل لك في كبير قد أَتتْ تسعون فوق يديه غير قليلِ[3]
فتجيرَ ناصِيَتي وتُفرجَ كُربتي عنّي وتطلقَ لي يداك كُبُولِي[4]
ولقد بنى لكم المُعَلَّى ذِروةً رَفعتْ بناءَك في أَشَمَّ طويلِ[5]
والخيلُ تعلم في جَذِيمة أنّها تَرْدى بكلّ سَميدَعٍ بُهلُولِ[6]
فاسقُوا فقد ملأَ المعلّى حوضَكم بذَنوبِ مُلتَهِم الرَّبابِ سجيلِ[7]

وقال يمدح مالكاً وكانت أُمّ مالك هذا بنت مالك بن مسمع : [من الوافر]

وقِرْمٍ بين أَولاد المُعلّى وأَولاد المَسامِعَةِ الكرامِ

---

1 الثفر : المهبل .
2 الزحير : أنين المرأة عند المخاض .
3 كبير في الديوان 122/2 : أسير .
4 فتجير في الديوان 122/2 : فتجزّ .
5 الشطر الأول في الديوان 121/2 : ولقد نمْت بك للمعلّى سورة .
6 تردى في الديوان 123/2 : تَعْدو .
7 الرباب في الديوان 123/2 : الذّناب .

تخمَّط في ربيعة بين بكر ... وعبد القيس في الحسبِ اللُّهامِ[1]

فلمّا لم تنفعه مديحة مالك ، قال يمدح هشام بن عبد الملك ، ويَعتذر إليه : [من الطويل]

أَلِكْني إلى راعي البريَّةِ والذي ... له العَدلُ في الأَرضِ العريضة نوّرا[2]

فإن تُنكِروا شعري إذاً خرجت له ... بوادرُ لو يُرمى بها لتَفَقَّرا[3]

ثبير ولو مسّت حِراءً لحرّكت ... به الرّاسيات الصُّمَّ حتى تكوّرا[4]

إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً ... بها خَرَبٌ كانت وبالا مُدَمِّرا[5]

أَينطِقُها غيري وأُرمى بجُرمها ... فكيف أُلوم الدَّهرَ أَن يتغيّرا

لئن صَبَرتْ نفسي لقد أُمِرت به ... وخيرُ عباد الله مَن كان أَصبرا

وكنت ابنَ أَحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً ... لكنت من العصماء في الطودِ أَحذرا[6]

ولكنْ أَتوْني آمناً لا أَخافهم ... نهاراً وكان اللهُ ما شاءَ قدّرا

أَخبرني أَبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم قال : حدَّثني أَبو يحيى قال : قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس اشخصْ إلى هشام ، وامدحْه بقصيدة ، وقال : استعن بالقيسيّة ، ولا يمنعك قولي فيهم فإنّهم سيغضبون لك وقال : [من الطويل]

بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها ... وطالت ليالي ساهر لا ينامُها[7]

فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أَتى ... بها الدَّهر والأيّام جَمٌّ خِصامُها

ولكنّما تبكي تَهتّكَ خالد ... محارمَ منّا لا يحل حَرامُها[8]

فقُل لبني مروان : ما بال ذمَّة ... وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذمامُها[9]

أَنُقْتَل فيكم أَن قَتلْنا عدوَّكم ... على دينكم والحرب باقٍ قتامُها

1 الحسب اللهام : الذي يلتهم كل حسب غيره ، ويغطي عليه .

2 ألكني : احمل عني ألوكة ؛ رسالة .

3 تفقر : تقسم فقرا .

4 تكور : تهدم .

5 الخَرَب : الويل والهلاك .

6 العصماء : الطيور العصماء : التي في جسمها بياض .

7 ل ، وفي الديوان 239/2 : حادث لا .

8 تهتك في الديوان 240/2 : تنهّك .

9 حق في الديوان 240/2 : حلّ .

أَتاك بقتل ابن المُهَلَّـب خالِـدٌ ... وفينـا بَقيّـاتُ الهدى وإمامُها[1]
فغيِّـر ، أَمير المؤمنـين ، فإنّهـا ... يمانيـةٌ حَمْقـاءُ أَنت هشامُها
أَرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلَّ نصرُها ... ولَكنْ عسى أَن لا يَـذِلّ شآمُها[2]
فمَنْ مُبلـغ بالشام قيساً وخِندِفاً ... أَحاديثَ مـا يُشْفى ببرءٍ سَقامُها
أَحاديـثَ منّـا نشتكيها إليهـمُ ... ومظلمـةً يغشى الوجـوهَ قتامُها
فإن مَنْ بها لم يُنكرِ الضَّيمَ منهمُ ... فيغضبَ منهـا كهلُهـا وغلامُها
نمَتْ مثلُها مـن مِثلهم وتُنكِّلوا ... فيعلمَ أَهلُ الجَوْر كيف انتقامُها[3]
بغلباءَ مـن جُمهورنـا مضريَّةٍ ... يُزايل فيهـا أَذرعَ القوم هامُها[4]
وبيْضٍ على هـام الرّجال كأَنّها ... كواكب يحلوهـا لسار ظلامُها[5]
غضِبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا ... عسى أَنَّ أَرواحاً يسوغُ طَعامُها
ولا تقطعوا الأَرحـامَ منّا فإنّها ... ذُنوبٌ من الأَعمالِ يُخشى أَثامُها
أَلَم تَكُ في الأَرحامِ منّا ومنكمُ ... حواجـزُ أَيّام عزيـزٍ مَرامُها
فترعى قريشٌ مـن تميمٍ قرابـةً ... ونَجْـزى بأَيّامٍ كريـمٍ مَقامُها
لقـد علمَتْ أَبنـاءُ خِندَف أَنّنا ... ذُراهـا وأَنـا عزُّهـا وسَنامُها
وقد علِم الأَحياء من كلِّ موطن ... إذا عُـدَّت الأَحيـاء أَنا كرامُها
وأَنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرَّمت ... نَلِيها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها
قِوامُ قُـوى الإسلام والأَمرِ كلِّه ... وهـل طاعـة إلاّ تميم قوامُها[6]
تميـمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها ... إذا مـا أَبـى أَن يستقيم همامُها
إلى الله تشكو عزَّنا الأَرضُ فوقَها ... وتعلـم أَنـا ثِقْلُهـا وغَرامُها
شكتنا إلى اللهِ العزيـز فأَسمعتْ ... قريباً ، وأَعيا مَـنْ سِواه كلامُها

1 أَتاك في الديوان 240/2 : وثار .
2 عسى في الديوان 240/2 ولكن قيْساً .
3 نمت في الديوان 240/2 يَعُدْ .
4 هامها في الديوان 240/2 : لامها .
5 وبيض على هام الرجال في الديوان 240/2 : وبيض علاهن الدِّجَال ، وهو فرند السيف . يحلوها في الديوان : يجلوها .
6 قوى : في الديوان 241/2 : عُرى .

نصولُ بحول الله في الأَمــرِ كلّه إذا خِيف من مصدوعةٍ ما التئامُها

فأعانته القيسيّة وقالوا : كلّما كان ناب من مُضَر أو شاعر أو سيّد وثب عليه خالد وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأَبرش وكلم له هشاماً : [من الطويل]

إلى الأَبرشِ الكلبيّ أُسندتُ حاجةً تواكلَهـــا حَيّـــا تميـــمٍ ووائلِ

على حين أَن زلّت بي النّعل زلَّـةً فأَخلف ظنّـي كُلُّ حافٍ وناعلِ

فدونكها يـــا ابن الوليـد فإنّها مفضّلـــة أُصحابَهـــا في المحافلِ

ودونكها يــا ابن الوليد فقم بها قيــام امرىء في قومه غيرِ خاملِ

فكلّم هشاماً وأَمَر بتخليته فقال يمدح الأبرش : [من الطويل]

لقـــد وثــب الكلبيُّ وَثبَةَ حازمٍ إلى خير خلــقِ الله نفساً وعُنصرا

إلى خير أَبنـــاء الخليفة لم يجد لحاجتــه مــن دونهـــا مُتأخرّا

أَبى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنَّـــت الآبـــاء أَن يتغيَّرا

وكان هذا الحلفُ حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهليّة ، وذلك قولُ جرير بن الخَطَفى في الحِلف : [من الطويل]

تميــمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهــمُ أَحــقُّ وأَدنــى من صُداءَ وحِميَرا

وقال الفرزدق : [من الطويل]

أَشدُّ حبـــالٍ بــين حيَّين مِــرّةً حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ[1]

وليس قُضاعــيٌّ لدينـا بخائـفٍ ولو أصبَحتْ تغلي القدورُ من الحربِ

وقال أَيضاً : [من الطويل]

أَلَم تَرَ قيساً قَيسَ عَيلانَ شمَّرتْ لنَصرِي وحاطتني هنــاك قُرومُها

فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم تميماً فهــم منهــا ومنها تَميمُها

وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي وقومي إذا ما النّاس عُــدَّ صميمُها

[شرطيان يعبثان به]

أُخبرني ابن دريد : قال حدَّثني أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، قال : بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيّام زياد في سِكّةٍ ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة

1 المِرّة : إحكام الفتل .

وهما راكبان ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن أُفزّعه ، وكان جباناً ، فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر مُولّياً فعثر في طرف برده فشقّه ، وانقطع شِسعُ نعلِه ، وانصرفا عنه ، وعرف أنّهما هَزِئا منه فقال : [من الطويل]

لقد خار إذ يُجـري عليّ حمارَه ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقا
ومـا كنتُ لـو خوّفتماني كلاكما بأمّيكمـا عُرْيانَتَيْـن لأفـرَقا
ولكنّمـا خوّفتُمـاني بخـادر شَتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزّقا[1]

[حديثه مع توبة وليلى الإخيلية]

أخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا القحذميّ عن بعض ولد قتيبة بن مسلم بن ابن زالانَ المازنيّ ، قال : حدَّثني الفرزدق ، قال : لمّا طردني زيادٌ أتيت المدينةَ وعليها مرْوانُ بن الحكم ، فبلغه أنّي خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنّه الدّجال ، فليس يكلّمه أحد ، ولا يجالسه أحد ، ولم أكن عرفتُ خبرَه ، فأرسل إليّ مروانُ فقال : أتدري ما مَثَلُك . حديث تحدّث به العرب : أن ضبُعاً مرّت بحيّ قوم ، وقد رحلوا ، فوجدتْ مرآة ، فنظرت وجهَها فيها ، فلمّا نظرت قُبْح وجهها ألقتها ، وقالت : من شرّ ما اطّرحك أهلك[2] ، ولكن من شرّ ما اطّرحك أميرُك ، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيّام ، قال : فخرجتُ أُريد اليمن ، حتى إذا صرتُ بأعلى ذي قَسيّ ، وهو طريق اليمن من البصرة ، فإذا رجل مقبل ، فقلت : من أين أوضع الراكب[3] ؟ قال : من البصرة ، قلت : فما الخبر وراءك ؟ قال : أتانا أنّ زياداً مات بالكوفة ، قال : فنزلتُ عن راحلتي ، فسجدتُ ، وقلت : لو رجعت ، فمدحت عُبيدَ الله بن زياد ، وهجوت مروان بن الحكم ، فقلت : [من الطويل]

وقفتُ بأعلى ذي قسيٍّ مطيّتي أُميِّل في مـروانَ وابنِ زيادِ
فقلت : عُبَيْدُ الله خيرُهمـا لنا وأدناهمـا مـن رأفـةٍ وَسَدادِ

ومضيت لوجهي ، حتى وطئتُ بلاد بني عُقَيْل فوردت ما بين مياههم فإذا بيتٌ عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أرَ كحسنها وهيئتها قطّ ، فدنوتُ ، فقلت : أتأذنين في الظلّ ؟ قالت : انزل فلَكَ الظّلّ والقِرى ، فأنختُ ، وجلست إليها ، قال : فدَعَت جاريةً لها سوداءَ كالرّاعية ، فقالت : ألطِفيه[4] شيئاً واسعَي إلى الرّاعي ، فرُدّي عليّ شاة ، فاذبحيها له ،

---

1 الخادر الشتيم : الأسد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 310/2 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبيّ 215 .

3 أوضع الراكب الدابة : حملها على المسير .

4 ألطف فلان فلاناً : أتحفه وبرّه .

وأخرجَت إليَّ تمراً وزبداً ، قال : وحادثتها فوالله ما رأيت مثلَها قطّ ، ما أنشدتها شعراً إلاّ أنشدتني أحسنَ منه ، قال : فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل رجل بين بُردين ، فلمّا رأته رمَت ببرقعها على وجهها ، وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها ، فدخلني من ذلك غيظ ، فقلت للحِين : هل لكَ في الصراع ؟ فقال : سوأة لك[1] ، إنّ الرجل لا يصارع ضيفَه ، قال : فألححت عليه ، فقالت له : ما عليك لو لاعَبْتَ ابنَ عمّك ؟ فقام ، وقمت ، فلمّا رمى ببرده ، إذا خلْقٌ عجيب ، فقلت : هلكتُ وربِّ الكعبة ، فقبض على يدي ، ثم اختلجني[2] إليه ، فصرت في صدره ، ثم حملني ، قال : فوالله ما اتَّقيت الأرض إلاّ بظهر كبدي وجلس على صدري ، فما ملكت نفسي أن ضرطتُ ضَرْطة منكرة ، قال : وثُرت إلى جملي فقال : أنشدك الله ، فقالت المرأة : عافاك الله الظلّ والقِرى ، فقلت : أخزى الله ظلَّكم وقِراكم ، ومضيت ، فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نَجيب يجنب بُخْتِيّاً[3] برحله وزمامه ، وكان رحله من أحسن الرحال ، فقال : يا هذا ، والله ما سرّني ما كان ، وقد أراك أبدعت أيّ كلّت ركابُك ، فخذ هذا النجيب ، وإيّاك أن تُخدَع عنه ، فقد والله أُعطِيْتُ به مائتي دينار قلت : نعم آخذه ، ولكن أخبرني مَن أنتَ ؟ ومَن هذه المرأة ؟ قال : أنا توبةُ بنُ الحُميِّر ، وتلك ليلى الأخيليّة ، وقد أخبرني بهذا الخبر عمِّي .

[رواية أخرى في الخبر السابق]

قال : حدَّثني القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثني أحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، قال : كانت امرأة من عُقَيل يقال لها ليلى ، يتحدّث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها ، فجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها ، كانت تألفه ، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها ، وتركت الفرزدق ، فغاظه ذلك ، فقال للرَّجل : أتصارعني ؟ قال : ذلك إليك ، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذَ الفرزدق مثل الكرة فصرعه ، وجلس على صدره ، فضرَط الفرزدقُ ، فوثب عنه الرجل خجلاً ، وقال له الرجل : يا أبا فِراس ، هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت بك ما جرى ، فقال : ويحك ، ما بي أن صرعتني ، ولكن كأنّي بابن الأتان جرير ، وقد بلغه خبري هذا ، فقال يهجوني : [من الطويل]

جلستَ إلى ليلى لتحظى بقُربها ... فخانك دُبْرٌ لا يزال يَخونُ

1 سوأة لك : أتيت ما يشين .

2 اختلجه : جذبه .

3 البختي : واحد البخت ، وهي الإبل الخراسانية .

فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها   كما شدَّ خَرْتــاً للدِّلاص قُيونُ[1]

قالوا : فوالله ما مضت أيّام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين .

[يقضي يوماً كيوم دارة جلجل]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قـال : حدَّثـني القحذميّ ، قـال : حدَّثني بعض أَصحابنا ، عن عبد الله بن زالان التميميّ راوية الفرزدق ، أنّ الفرزدق قـال : أصابنا بالبصرة مطر[2] جَوْدٌ ليلاً ، فإذا أنا بأثر دوابَّ قد خرجت ناحية البريّة ، فظننت قوماً قد خرجوا لنزهة ، فقلت : خليقُ أَن تكون معهم سُفرةٌ وشرابٌ ، فقصصتُ أَثرَهم ، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأغْذذت السير نحو الغدير ، فإذا نسوة مستنقَعات في الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قطّ ، ولا يوم دارة جُلْجُل ، وانصرفتُ مستحيياً منهن ، فنادَيْنني : بالله يا صاحب البغلة ، ارجع نسأَلك عن شيء ، فانصرَفتُ إليهن ، وهنّ في الماءِ إلى حلوقهنّ ، فقلن : بالله إلاّ ما خبرتنا بحديث دارة جلجل[3] ، فقلت : إنّ امرأَ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يقال لها عُنيزة ، فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان في طلب غِرَّة ، من أهلها ؛ ليزورها ، فلم يُقض له ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، وذلك أنّ الحيّ احتملوا ، فتقدّم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثَّقَل[4] ، فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّـف بعدمـا سار مع قومه غَلوة ، فكمن في غَيابَةٍ من الأرض ، حتى مرَّ به النساء فإذا فتيـات ، وفيهـنّ عُنيزة ، فلمّا وردنَ الغدير قلن : لـو نزلنا فذهب عنّا بعضُ الكَلال ، فنزلْنَ إليـه ، ونحّينَ العبيدَ عنهنّ ، ثم تجرّدن فاغتمسن في الغدير ، كهيئتكنّ الساعة ، فأتاهنّ امرؤ القيس محتالاً كنحو ما أتيتكنّ ، وهنّ غوافل ، فأخذ ثيابَهنّ ، فجمعها ، ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ أثوابِهنّ ، فجمعها ، ووضعها على صدره ، وقال لهنّ كما أقول لكنّ : والله لا أُعطي جارية منكنّ ثوبها ، ولو أقامت في الغدير يومَها ، حتى تخرج مجرّدةً ، قال الفرزدق : فقالت إحداهنّ ، وكانت أمجنهنّ : ذلك كان عاشقاً لابنة عمِّه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ قال : لا والله ، ما أعشق منكنّ واحدة ، ولكن أشتهيكنّ ، قال : فنعرن[5] ، وصفّقن

1 الوكاء : الخيـط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع اللينة . قيون : جمع قين ، وهو الحداد .

2 المطر الجود : المطر الغزير .

3 دارة جلجل : مكان أشار إليه امرؤ القيس في معلّقته .

4 الثّقل : المتاع .

5 نعرن : صوّتن بخياشيمهنّ أصواتاً فيها غنّة .

بأيديهنّ ، وقلن : خذ في حديثك ، فلست منصرفاً إلاّ بما تحبّ ، قال الفرزدق في حديث امرىء القيس : فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، ثم خشين أن يُقصِّرن دون المنزل الذي أردنه ، فخرجت إحداهنّ ، فوضع لها ثوبها ناحية ! فأخذته فلبسته ، ثم تتابعن على ذلك حتى بقيَتْ عُنيزة ، فناشدته الله أن يَطرح إليها ثوبَها ، فقال : دعينا منك ؛ فأنا حرام إن أخذتِ ثوبكِ إلاّ بيدك ، فخرجت فنظر إليها مقبلةً ومدبرة ، فوضع لها ثوبها ، فأخذته ، وأقبلن عليه يلُمنه ، ويعذُلنه ، ويقلن : عرّيْتَنا ، وحبستنا ، وجَوَّعتَنا ، قال : فإن نحرتُ لكنّ مطيّتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم ، فاخترط[1] سيفه ، فعقرها ، ونحرها ، وكشطها ، وصاح بالخدم ، فجمعوا له حطباً ، فأجّج ناراً عظيمة ، ثم جعل يقطّع لهنّ من سَنامها وأطايبها وكبدها ، فيُلقيها على الجمر ، فيأكلن ، ويأكل معهن ، ويشرب من رَكوة[2] كانت معه ويغنّيهنّ ، وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب ، حتى شبعن ، وطربن ، فلمّا أراد الرّحيل قالت إحداهنّ ، أنا أحمل طنفسته[3] ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله ، وقالت الأخرى : أنا أحمل حَشيَّتَه وأنساعه[4] ، فتقسّمن متاعَ راحلته بينهنّ ، وبقيت عُنيزة لم يُحمِّلها شيئاً ، فقال لها امرؤُ القيس : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك أن تحمليني معك ؛ فإنّي لا أُطيق المشي ، وليس من عادتي ، فحملته على غارب بعيرِها ، فكان يُدخلُ رأسَه في خِدرها ، فيقبّلها ، فإذا امتنعت مالَ حِدْجُها[5] ، فتقول : يا مرأ القيس ، عقرت بعيري ، فانزل ، فذلك قوله : [من الطويل]

تقول وقد مـال الغَبيط بنا معاً : عقرتَ بعيري يا مرأ القيس فانزلِ

فلمّا فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة : قاتلك الله ، ما أُحسنَ حديثَك يا فتى وأظرفك ، فمَنْ أنت ؟ قال : قلتُ : من مُضَر ، قالت : ومن أيّها ؟ فقلت : من تميم ، قالت : ومن أيّها ؟ قلت : إلى ههنا انتهى الكلام ، قالت : إخالُك والله الفرزدق قلت : الفرزدق شاعر وأنا راوية ، قالت : دعنا من توريتك على نسبك ، أسألك بالله ، أنت هو ؟ قال : أنا هو والله ، قالت : فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلاّ عن رِضاً ، قلت : أُجل ، فاصرف وجهك عنّا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه ، فغطَسْنَ في الماء ، فتوارين ، وأبدين رؤوسهنّ ، وخرجن ، ومع كلّ واحدة منهنّ ملء كفّيها طيناً ، وجعلت

1 اخترط سيفه : سلّه من غمده .
2 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، أو الدلو الصغير .
3 الطُنفُسة : الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرحل .
4 الأنساع : سيور طويلة عريضة تشدّ بها الحقائب والرّحال .
5 الحدج : مركب من مراكب النساء .

يتعادين نحوي ، فضربْنَ بذلك الطين والحمأة[1] وجهي ، وملأْن عيني وثيابي ، فوقعتُ على وجهي ، فصرت مشغولاً بعيني وما فيها ، وشددن على ثيابهنّ ، فأخذنها ، وركبت الماجنة بغلتي ، وتركتني منبطحاً بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول : زعم الفتى أنّه لا بدّ أن يَنِيكنا ، فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي ، وجفّفتها ، وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي ، وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهنّ ، وقُلن : قُل له تقول لك أخواتك : طلبتَ منّا ما لم يمكننا ، وقد وجّهنا إليك بزوجتك ، فنِكها سائرَ ليلتك وهذا كِسْرٌ[2] درهم لحمّامك إذا أصبحت ، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول : ما مُنِيت بمثلهنّ .

[يهجو مَن يرثي زياداً]

أُخبرني عبد الله بنُ مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثني الأصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بنُ أسلم ، قال : لمّا مات زياد رثاه مسكين الدارميّ ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

أمسكينُ أَبكى اللهُ عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُها إذ تحدَّرا
بكيتَ امرءاً من آل مَيْسان كافراً ... كِكسرى على عِدّانِه أو كقَيصرا[3]
أقـولُ لـه لمّـا أتاني نَعِيُّـه : ... بـه لا بظبـيٍ بالصَّريمةِ أَعفرا[4]

[يهجو ويمدح آل المهلب]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي مسلم الحرّانيّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ ، قال : حدَّثنا العلاء بن أسلم ، قال : لما أراد المهلّب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدقُ جريراً ، فقال له : يا أبا فراس ، هل لك أن تكلّم المهلّب ، حتى يضع عنّي البحث ، وأعطيكَ ألف درهم ، فكلّم المهلّب ، فأجابه فلامه جُذَيع ، رجل من عشيرته ، وشكا ذلك إلى خيرةَ امرأةِ المهلّب وقال لها : لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه ، فلامته خيرة بنت ضَمرةَ القُشَيريّة ، فقال المهلّب : إنّما اشتريتُ عِرضي منه ، فبلغ ذلك

1 الحمأة : الطين الأسود الكريه الرائحة .
2 الكسر : القليل .
3 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . العِدّان : العهد والزمان .
4 الصريمة : القطعة المنعزلة من الرمل ، والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . والمثل «به لا بظبي أعفر» في مجمع الأمثال 90/1 وفي المستقصى 16/2 وفي فصل المقال 100 وكتاب الأمثال للقاسم بن سلاّم 78 وفي رواية أخرى : «به لا بظبي بالصرائم أعفرا» في جمهرة الأمثال 203/1 ، 207 والأمثال لمجهول 49 .

الفرزدق ، فقال يهجو جُذَيعاً : [من الكامل]

إن تَبْن دارك يا جُذَيع فما بنى | لك يا جذيع أَبوك من بُنيانِ
وأَبوك ملتزم السفينة عاقدٌ | خُصْيَيْه فوق بنائق التُّبّانِ[1]
ويظلّ يدفَع باستِه متقاعِساً | في البحر معتمداً على السُّكّانِ[2]
لا تحسبنَّ دراهماً جمَّعتَها | تمحو مَخازِيَك التي بِعُمانِ

وقال يهجو خيرة : [من الوافر]

أَلا قشَر الإلهُ بني قُشَيرٍ | كقَشْر عصا المنقِّح من مُعالِ[3]
أَرى رهطاً لخيرة لم يَؤُوبوا | بسهم في اليمين ولا الشمالِ
إذا رُهِزَت رأَيت بني قُشَيرٍ | من الخُيَلاء مُنتفشي السِّبالِ

فغضب بنو المهلّب لمّا هجا جُذَيعاً وخَيرة ، فنالوا منه ، فهجاهم ، فقال : [من الوافر]

وكائِن للمهلَّب من نَسِيبٍ | يُرى بلَبانه أثرُ الزِّيارِ[4]
بِخارَكَ لم يُقد فرساً ولكن | يقود السّاج بالمَسد المغارِ[5]
عمِيٌّ بالتَّنائف حين يُضحي | دَليلَ اللّيل في اللجج الغِمارِ
وما للهِ يسجُد إذ يصلّي | ولكن يسجدون لكلّ نارِ

فلمّا ولِّي يزيدُ بن المهلّب خراسان والعراق بعد أَبيه ، ولاّه سليمان بن عبد الملك ، خافَ الفرزدقُ من بني المهلّب ، فقال يَمدحُهم : [من الكامل]

فلأَمدحنَّ بني المهلّب مِدحةً | غَرّاءَ قاهرة على الأَشعارِ[6]
مثل النجوم أَمامها قَمْراؤها | تجلو العَمى وتضيء ليلَ السَّاري
ورِثوا الطّعان عن المهلّب والقِرى | وخلائقاً كتدفُّقِ الأَنهارِ

---

1 بنائق : جمع بنيقة ، وهي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار . التبان : سراويل يلبسها الملاحون والفلاحون ونحوهم .

2 التقاعس : بروز الصدر ودخول الظهر في الجسم .

3 نقح العود : قشره . مُعال : أعلى .

4 الزِّيار : ما يشد به الرحل إلى صدر البعير ، وفي ل : الدّبار .

5 خارك : جزيرة فارسية كان منها أبو المهلب . الساج : شجر تتّخذ منه المراكب . والمغار : المحكم الفتل .

6 قاهرة في الديوان 303/1 : ظاهرة .

كان المهلّــب للعــراق وقايــةً وحَيــا الرَّبيعِ ومَعقِــل الفُرَّارِ[1]
وإذا الرجال رأَوا يزيــد رأَيتَهم خُضُعَ الرِّقـابِ نواكسَ الأَبصارِ
مــا زال مُــذ شَدّ الإزار بكفِّه ودنــا فــأَدرك خمسة الأَشبارِ[2]
أيزيــدُ إنّك للمهلّــب أَدركت كفَّــاك خيرَ خَلائِــق الأَخيارِ

[يخشى بأس يزيد بن المهلّب]

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : لمّا قَدِم يزيدُ بن المهلّب واسطاً قال لأُميّةَ بنِ الجعدِ ، وكان صديقَ الفرزدق : إنّي لأُحِبّ أَن تأْتيَنـي بالفرزدق ، فقال للفرزدق : ماذا فاتك من يزيدَ أعظمِ النّاس عفواً ، وأَسخى النّاس كفّاً ، قال : صدقت ، ولكن أخشى أن آتيَه فأَجد العمانِيّةَ ببابه فيقومَ إليّ رجل منهم فيقولَ : هذا الفرزدق الذي هجانا ، فيضربَ عنقي ، فيبعث إليه يزيد ، فيضربَ عنقه ، ويبعث إلى أهلي ديتي ، فإذا يزيدُ قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب ، قال : لا والله لا أفعل ، فأُخْبِرَ يزيدَ بما قال ، فقال : أمّا إذ وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله .

[ماجن يعبث به]

قال ابنُ حبيب : وحدَّثنا يعقوبُ بن محمد الزهريّ[3] عن أَبيه عن جدّه قال : دخل الفرزدق مع فتيانٍ من آل المهلّب في بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابنُ أبي علقمة الماجن ، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق ، فيقولُ : دعوني أنكحْه ، حتى لا يهجُونا أبداً ، وكان الفرزدق من أَجبن النّاس ، فجعل يستغيث ، ويقول : ويلكم ! لا يمسَّ جلدُه جلدِي ، فيبلغَ ذلك جريراً ، فيوجِبَ عليّ أنّه قد كان منه الذي يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كَفَوْه عنه .

[يفخر بالمضرية أمام حاكم يمانيّ]

أَخبرني عبيد الله قال : حدَّثني محمد بن حبيب قال : حدَّثني موسى بن طلحة قال : لمّا وَلِي خالدُ بن عبد الله العراق ، فقدِمها وكان من أشدّ خلق الله عَصَبيّة على نزار فقال لبطةُ بن الفرزدق : فلبس أبي من صالح ثيابه ؛ وخرج يريد السلام عليه ، فقلت له : يا أبتِ ، إنّ هذا الرجلَ يمانيٌّ ، وفيه من العصبيّة ما قد علمت ، فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهلَ اليمن

1 وقاية في الديوان 304/1 : سكينة .
2 الشطر الأول في الديوان 305/1 : ما زال مذ عقدت يداه إزاره .
3 ل : الزّبيري .

لعلّ اللهَ أن يأتيَك منه بخير ، فإنّك قد كبرت على الرحلة ، فجعل لا يردُّ عليّ شيئاً ؛ حتى دُفِعْنا إلى البّواب ، فأذِن له ؛ فدخل ؛ وسلّم ؛ فاستجلسه ؛ ثم قال : إيه يا أبا فراس ، أنشدنا ممّا أحدثت ، فأنشدتُه : [من البسيط]

يختلف الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ... ولا خلاف إذا ما أجمعت مُضرُ[1]

فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدُمها ... فيها الرؤوسُ وفيها السَّمعُ والبصرُ[2]

ولا نخالف غيرَ الله من أحد ... إلاّ السيوفَ إذا ما اغرَوْرَق النظرُ

ومَن يَملْ يُملِ المأثورُ قُلّتَه ... بحيث يَلقى خِفافَيْ رأسه الشعرُ[3]

أمّا الملوكُ فإنّا لا نلين لهم ... حتى يلينَ لضرس الماضِغ الحجرُ[4]

ثم قام ، فخرجنا ، قلت : أهكذا أوصيتك ؟ قال : اسكت ، لا أُمَّ لك فما كنتُ قطُّ أملأ لقلبه مني الساعة .

[يفحم المنذر بن الجارود]

أخبرني عبد الله : قال حدَّثني محمد بن حبيب ، عن موسى بن طلحة قال : كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع ، وفيها المنذرُ بنُ الجارود العبديّ ، فقال المنذر : مَن الذي يقول : [من الوافر]

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ

فقال الفرزدق : يا أبا الحكم هو الذي يقول : [من الوافر]

أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زِيرٍ ... وعَبْديٌّ لفَسْوَته بُخارُ

وجَدنا الخيلَ في أبناء بكرٍ ... وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقارُ

قال : فخجل المنذر ، حتى ما قدرَ على الكلام .

[خليفة أمويّ يفضله ويصله]

أخبرني عبد الله بن مالك : قال : حدَّثني محمد بن موسى قال : حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول : [من البسيط]

ما حملَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفَّتني على الكُورِ[5]

---

1 أجمعت في ل : استجمعت .

2 في الديوان 200/1 : والرأس منّا وفيه .

3 قلّته في الديوان 200/1 : ذروته .

4 الملوك في الديوان 200/1 : العدُوّ .

5 لفّتني في ل : ألفّتني . الكور : الرحل .

أعـزَّ قوماً وأَوفى عند مكرمةٍ لمعْظَمٍ من دماء القوم مهجورِ

فقال له : إيه ، فقال :

إلاّ قُريشاً فــإنّ الله فضَّلها على البريّــةِ بالإسلامِ والخيرِ

تلقى وجوهَ بني مرْوانَ تحسبُها عند اللقاءِ مشُوفاتِ الدَّنانيرِ[1]

ففَضَّله عليهم ، ووصله .

[عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد]

قال ابن حبيب : وكان الفرزدق يهاجي الأَشهبَ بن رميلةَ النهشليَّ وبني فُقَيْم ، فأرفث بهم[2] ، فاستعدوا عليه زياداً ، فحدَّثني جابر بن جندل : قال : فأتى عيسى بن حُصَيْلَة بنِ مغيث[3] بن نصر بن خالد السُّلميّ ثم من بني بَهْزٍ ، فقال : يا أبا حُصَيلة ، إنّ هذا الرجل قد أخافني ؛ وقد لَفَظني جميع مَن كنت أرجو ، قال : فمرحباً بك يا أبا فِراس ، فكان عنده ليالي ، ثم قال : إنِّي أريد أن ألحقَ بالشام ، قال : إنْ أقمت ففي الرَّحب والسَّعة ، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة[4] أمتِّعك بها ، وألف درهم ، فركب النّاقة ، وخرج من عنده ليلاً ، فأرسل عيسى معه مَن أجازه من البيوت ؛ فأصبح وقد جاوز مسيرةَ ثلاث ، فقال يمدحه : [من الطويل]

كفـاني بهـا البَهْزيُّ حُملانَ مَنْ أَبى مــن الناس ، والجاني تُخاف جرائمُهْ[5]

فتــى الجـودِ عيسى والمكارمِ والعُلا إذا المال لم ينفـعَ بخيـلاً كرائمُهْ[6]

ومَـن كان يـــا عيسى يُؤنِّب ضَيْفَه فَضَيْفُـكَ يــا عيسى هنيءٌ مطاعمُهْ

وقـــال : تَعلَّـــمْ أَنّها أرحبِيَّـــةٌ وأَنَّ لك الليـلَ الذي أَنت جاشمُهْ[7]

فأَصْبَحتُ والمُلْقــى ورائــي وحَنبَلٌ وما صَدَرَتْ حتى علا النجمَ عاتمُهْ[8]

تَـــزاورَ في آل الحقيـــق كأنّهـــا ظليــمٌ تباري جُنــح ليـل نعائمُهْ

---

1 مشوفات الدنانير : الدنانير المجلوة اللامعة .

2 أرفث : أفحش .

3 ل : معتب .

4 أرحبية : نسبة إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة .

5 البهزيّ : لقب عيسى بن حصيلة ، الحُملان : الدواب تحمل عليها الهدايا .

6 ذو المكارم والعلا .

7 جاشمه : متكلّف السير فيه .

8 الملقى وحنبل مكانان . في الديوان 205/2 حتى تلا الليل .

رأت دون عينيهـا ثويَّـة فانجـلى لها الصبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مخاطمُهْ[1]

وقال : [من الطويل]

تداركني أسبابُ عيسى من الرّدى ومن يَـكُ مـولاه فليس بواجِدِ

نمتْـه النواصي مـن سُلَيْمٍ إلى العلا وأعـراقُ صـدق بـين نَصْرٍ وخالِدِ

سأُثنـي بمـا أُوليتَنـي وأرُبُّـه إذا القوم عـدُّوا فضْلَهم في المشاهِدِ

فلمّا بلغ زياداً شخوصُه أتْبَعَه عليَّ بن زهدمٍ الفقيميَّ : أحدَ بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق : [من الطويل]

فإنّـك لـو لاقيتَني يـا ابنَ زهدمٍ لأُبـت شعاعيّـاً على غير تمثـالِ[2]

[يلجأ إلى بكر بن وائل]

فأتى بكر بن وائل ، فجاورهم ، فأمن ، فقال : [من الطويل]

وقـد مَثَلَتْ أيـنَ المسيرُ فلم تجد لعَوذَتهـا كالحـيّ بكـر بن وائلِ[3]

وسارت إلى الأجفانِ خمساً فأصبحت مكـان الثريـا مـن يـد المتناولِ

وما ضرّهـا إذ جـاورت في بلادِها بني الحِصن ما كان اختلاف القَبائلِ

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[يأمن زياداً في حمى سعيد بن العاص]

وهرب الفرزدق من زياد ، فأتى سعيدَ بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أُميّة ، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، فأمنه سعيد ، فبلغ الفرزدق أنّ زياداً قال : لو أتاني أمّنتُه ، وأعطيتُه ، فقال في كلمة له : [من الطويل]

دعـاني زيـادٌ للعطاءِ ولَـم أكُـنْ لآتِيَـهُ مـا ساق ذو حسبٍ وَفْرا

وَعنـد زيـادٍ لـو أراد عطاءهم رجـالٌ كثيرٌ قـد يـرى بهمُ فقرا

قعودٌ لدى الأبوابِ طـلابُ حاجة عوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بكرا

فلمـا خشيتُ أن يكـون عطـاؤه أداهـمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمرا[4]

---

1 الشطر الأول في الديوان 205/2 : رأت بين عينيها رويّة فانجلى . وروية ماء . وثوية : مكان . الصعل : ما دق رأسه من النعام . أسيل : ناعم ، مخاطم : جمع مخطم ، وهو مقدم الأنف .

2 شعاعياً : نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق .

3 مثلت : زالت عن موضعها .

4 أداهم : جمع أدهم ، يريد القيد ، المحدرجة : السياط .

نميْـتُ إلى حَـرْف أضرَّ بَنيِّهـا سُرى الليل واستعراضُها البلد القفْرا[1]

فلمّا اطمأنّ عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال : [من الوافر]

ألا مَـنْ مبلـغٌ عنِّي زِياداً مُغلغلةً يخُـبُّ بهـا البَريدُ[2]
بأنِّي قـد فـررتُ إلى سعيدٍ وَلا يُسْطاعُ مـا يَحْمي سعيدُ
فررتُ إليه مـن ليثٍ هِزبْرٍ تفـادى عـن فريسته الأُسودُ
فإن شئتُ انتميْت إلى النصارى ونَاسَبَنـي وناسبَـتِ اليهـودُ
وإن شئـت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ونَاسَبَنـي وناسبـتِ القرودُ
وأَبغضُهم إليَّ بَنـو فُقَيـم ولَكـن سوف آتي مـا تُرِيدُ

فأقام الفرزدق بالمدينة ؛ فكان يدخل بها على القيان . فقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنَّاني من العاجِ قاصفٌ على معصم ريّـان لم يتخدَّدِ[3]
لبيضاءَ من أهلِ المدينـة لم تعِش ببؤس ولم تتبعْ حُمولـة مُجْحدِ[4]
وقامت تُخشِّيني زيـاداً وأجفلت حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ ومُجسَدِ[5]
فقلتُ : دعينـي من زيـاد فإنني أرى الموتَ وَقَّاعاً على كلِّ مَرْصَدِ

[بينه وبين مسكين الدارميّ]

فلمّا هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عديّ بن عدس بن عبد الله بن دارم ، فقال[6] : [من الوافر]

رأيتُ زيـادةَ الإسلامِ وَلَّتْ جهـاراً حـين فارقَهـا زِيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال : [من الطويل]

أمسكينُ أبكـى الله عينيك إنَّما جرى في ضلالٍ دَمعُهـا فتحدَّرا
أتبكي امرءاً من آل مَيسان كافراً ككِسرى على عِدَّانـه أو كقَيصرا

---

1 الحرف : الناقة . والنيّ : الشحم .
2 مغلغلة : أي رسالة مغلغلة : محمولة من بلد إلى بلد .
3 قاصف من العاج : مزهر أو نحوه من آلات الغناء التي تتخذ من العاج .
4 المجحد : القليل الخير .
5 مجسد : مطلي بالجساد وهو الزعفران أو العصفر ونحوهما ممّا تُطلى به الثياب .
6 تقدّمت هذه الأبيات في هذه الترجمة ص 241 .

أقول لــه لـمّـا أتـاني نَعِيُّـه : بِـه لا بظبـيٍ بالصّرِيمة أعفرا[1]

فقال مسكين : [من الطويل]

ألا أيّها المرءُ الذي لَسْتُ قائماً ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى لِيا

فجئني بعَـمٍّ مثل عَمِّي أو أبٍ كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا

بعَمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النَّدى سموتُ بــه حتى فَرعتُ الرّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ، وكان يقول : نجوتُ من أن يهجوني مسكين ، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري ، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدَّهرِ .

[تعوذ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة ، فقال : أخبرنا ابن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد المازنيّ ، قال : كان تميم بن زيد القضاعيّ ، ثُـمَّ أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش ، فجمّرهم[2] ؛ وفي جيشه رجل يقال له حُبَيْش ، فلمّا طالت غيبتُه على أُمّه اشتاقته ، فسألت عمَّن يكلّم لها تَميمَ بن زيد أن يُقْفلَ ابنها ، فقيل لها : عليك بالفرزدق ، فاستجيري بقبر أبيه ، فأتت قبر غالب بكاظمةَ ، حتى علِم الفرزدق مكانها .

ثمّ أتته ، وطلبت إليه حاجتها ، فكتب إلى تَميمٍ بن زيد هذه الأبيات : [من الطويل]

هَبْ لي حُبَيشاً واتّخذْ فيه مِنَّةً لغُصَّةِ أُمٍّ مــا يَسوغُ شرابُها

أتتني فعاذَت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفْرةِ السافي عليهــا تُرابُها

تَميمُ بن زَيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي بظَهرٍ فـلا يخفى عليَّ جَوابها

فلمّا أتاه كتابُه لم يدرِ ما اسمه حُبَيْشٌ أو حُنَيْشٌ ، فأخْرَجَ ديوانه ، وأقفل كلّ حبيْش وحُنَيْش في جَيْشِه ، وهم عدّة ، وأنفذهم إلى الفرزدق .

[مُكاتب يعوذ بقبر غالب]

قال أبو خليفة : قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أبو يحيى الضّبيّ ، قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقر بساطاً على قبرِ غالب أبي الفرزدق ؛ فقدِم النّاس على الفرزدق ، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه .

ثم قدِم عليه فقال : [من الطويل]

---

1 مثل : أشرنا إليه ص 241 .

2 جمّرهم : أطال مدّة غزوهم .

بقبر ابن لَيْلى غالب عُذْتُ بعدما ... خَشِيت الرَّدى أَو أَن أُرَدَّ على قَسْرِ
فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلى فقال لي : ... فِكاكُكَ أَن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرِ

فقال الفرزدق : صدق أبي ؛ أَنِخْ ؛ ثمَّ طاف له في النَّاس ؛ حتى جمع له مكاتبَته وفضلاً .

[عائذة أخرى بقبر غالب]

وكان نُفَيْعُ ذو الأَهدام : أَحد بني جعفر بن كلاب يتعصّب لجرير بمدحه قيساً ؛ فهجاه الفرزدق ، فاستجارت أُمّه بقبر غالب ؛ وعاذت من هجاء الفرزدق ؛ فقال : [من الطويل]

ونُبِّئتُ ذا الأَهدامِ يعوي ودونه ... مِنَ الشَّام زُرَّاعاتُها وَقُصُورُها
على حينَ لم أَترك على الأَرْض حيَّةً ... ولا نابحاً إلاّ استقرّ عقورُها
كلابٌ نَبَحن الحيّ من كلِّ جانبٍ ... فعاد عُواءٍ بعد نَبْحٍ هريرُها
عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالِبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أُضيرُها
لئن نافعٌ لم يرعَ أَرحامَ أُمِّهِ ... وَكانت كدَلْوٍ لا يزال يعِيرُها[1]
لبئس دمُ المولودِ بلَّ ثيابَها ... عشيَّةَ نادى بالغلامِ بشيرُها
وإنِّي على إشفاقها مِن مخافتي ... وإن عَقَّها بي نافعٌ لمجيرها
وَلَو أَنَّ أُمَّ النّاس حوّاءَ جاوَرت ... تميمَ بن مُرٍّ لم تجد مَن يجيرها

وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة .

[جرير يبزه]

أَخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا أَحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر ، عن الأصمعيّ ، قال : كان عبد الله بنُ عطيّةَ راوية الفرزدق وجرير ، قال : فدَعاني الفرزدق يوماً ، فقال : إنِّي قلت بيت شعر والنَّوّار طالق إن نقضَه ابن المراغة[2] ، قلت : ما هو ؟ قال : قلت : [من الطويل]

فإنِّي أَنا الموتُ الذي هو نازلٌ ... بنفسك فانظر كيف أَنتَ تُحاولهُ

ارحل إليه بالبيت ، قال : فرحلت إلى اليمامة ، قال : ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل ، فقلت : إنّ الفرزدق قال بيتاً ، وحلف بطلاق النَّوّار أنّك لا تنقضه ، قال : هيه ، أظَنَّ واللهِ ذلك ؟ ما هو ؟ ويلك ، فأنشدته إيّاه ، فجعل يتمرّغ في الرمل ، ويحثوه

---

1 عار : عاب أو أتلف .

2 المراغة : الأتان .

على رأسه وصدره ، حتى كادت الشمس تغرب ، ثم قال : أنا أبو حزرة ، طَلَقَت امرأةُ الفاسق ، وقال : [من الطويل]

أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدّهرُ خالدٌ فجئني بمثلِ الدَّهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسقِ ، قال : فقدمت على الفرزدق ، فأنشدته إيّاه ، وأعلمته بما قال ، فقال : أقسمت عليك لَما سترتَ هذا الحديث .

[هناك مَن هو أجفى منه]

أخبرني عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ وأبو عبيدة ، قال : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا فقال : يا أبا فِراس أتدري مِمَّ ضحكوا ؟ قال : لا ، قال : من جفائك ، قال : أصلح الله الأمير ، حججت ؛ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبيّ ، وعلى عاتقه الأيسر صبيّ ؛ وإذا امرأة آخذة بمئزرِه ؛ وهو يقول : [من الرجز]

أنتَ وهبتَ زائداً ومزْيَدا وكهلةً أُولجُ فيها الأجردا

والمرأة تقول من خلفه : إذا شئت ، فسألت : مِمّن هو ؟ فقيل : من الأشعريين ، أفأنا أجفى أم ذلك ؟ فقال بلال : لا حيّاك الله ، قد علمت أنّهم لن يفلتوا منك .

[تهزمه امرأة]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن حبيب ، قال : حدَّثنا موسى بن طلحة ، عن أبي زيد الأنصاريّ ، قال : ركب الفرزدق بغلته ، فمرّ بنسوة ؛ فلمّا حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرَطت ، فضحكن منه ، فالتفت إليهنّ ، فقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلاّ ضرطَت ، فقالت له إحداهنّ : ما حملتك أُنثى أكثر من أمّك ، فأُراها قاست منك ضُراطاً كثيراً ، فحرّك بغلته ، وهرب منهنّ ، وبهذا الإسناد قال :

[يهجو إبليس]

أتى الفرزدق الحسنَ البَصريّ فقال : إنّي قد هجوتُ إبليس ، فقال : كيف تهجوه وعن لسانه تنطق ؟

[يسأل سائله فيفحمه]

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق : يا أَبا فراس ، أسألك عن مسألة ، قال : سل عمّا أحببت ، قال : أيّما أحبُّ إليك ؟ أتسبق الخير أم يَسْبِقُك ؟ قال : إن سبقني فاتني ، وإن سبقتُه فتُّه ، ولكن نكونُ معاً ، لا يسبِقني ، ولا أسبقه ، ولكن أسألك عن مسألة . قال ابن بيض : سَل ، قال : أيما أَحبُّ إليك ؟ أن تنصرف إلى منزلك ، فتجدَ امرأتَك قابضة على أير

رجل ، أم تراه قابضاً على هَنِها ، قال : فتحيّر ، وكان قد نُهي عنه ، فلم يَقْبَل .

[لا صلح بينه وبين جرير]

أخبرني عبد الله قال : حدَّثني محمد بن عمران الضَّبيّ ، قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : اجتمع الفرزدقُ وجريرُ عند بشر بن مروانَ فرجا أن يُصْلِحَ بينهما حتى يتكافًّا ، فقال لهما : ويحكما ! قد بلغتما من السنّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالُكما ؛ فلو اصطلحتما ووهب كلٌّ واحد منكما لصاحبه ذنبَه ، فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنّه يظلمني ، ويتعدّى عليّ ، فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنّي وجدت آبائي يظلمون آباءه . فسلكتُ طريقَهم في ظلمه ، فقال بشرٌ : عليكما لعنة الله ، لا تصطلحان واللهِ أَبداً .

[يهزأ به وبهجائه]

وأَخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن عمران الضَّبيّ ، قال : حدَّثنا الأَصمعيّ : قال الفرزدق : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرّة قال لي : أَنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : أَفأَموت إن هجوتني ؟ قلت : لا ، قال : أَفتموت عَيْشُونةُ ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلي إلى عنقي في حرِ أُمِّكَ ، قال : قلتُ : ويلك ! لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع ؟

[يأمره مجنون فيطيع]

أَخبرني عبد الله ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن الأَصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدقُ بمأجل[1] فيه ماء ، فأَشْرَعَ بغلته فيه ، فقال له مجنون بالبصرة : يقال له حربيش : نخِّ بغلتك ، جذ الله رجليك ، قال : ولِمَ ؟ ويلك ، قال : لأَنّك كذوب الحنجرة ، زاني الكَمَرة ، فقال الفرزدق لبغلته : عَدَسْ ومضى ، وكره أن يسمع قولَه الناسُ .

[هو وغيره يؤثرون القصائد القصار]

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل للفرزدق : ما اختيارك في شعرك للقِصار ؟ قال : لأَنّي رأيتها أَثبتَ في الصدور ، وفي المحافلِ أَجْوَلَ ؛ قال : وقيل للحُطيئة : ما بالُ قِصارك أكثرَ من طوالك ؟ قال : لأَنّها في الآذان أَوْلَجُ . وفي أفواه النّاس أَعْلَقُ .

أَخبرني عبد الله بن حبيب ، عن سعدان بن المبارك ، قال : قيل لعقيل بن عُلَّفة : ما لكَ تُقصِّر في هجائك ؟ قال : حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة[2] .

---

1 المأجل : كلّ ماء في أصل جبل أو واد .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى للزمخشري 62/2 والأمثال لمجهول 57 .

[يتندّر باسمه فيلقمه حجراً]

أخبرني عبد الله ، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذيّ ، عن أحمد بن حاتم : أبي نصر ، قال : قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرْميّ للفرزدق : أمَا وجدتْ أمُّكَ اسماً لك إلاّ الفرزدق الذي تكسره النساءُ في سُويقِها[1] ؟ قال : والعربُ تسمِّي خبْزَ الفُتُوت الفرزدق فأقبل الفرزدقُ على قوم معه في المجلس ، فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسْمِه ، فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلّكم ، قال : الجهمُ بنُ سويد بنُ المنذر ، فقال الفرزدق : أحقُّ النّاس ألا يتكلّمَ في هذا أنت ؛ لأنّ اسمك اسمُ متاعِ المرأة ، واسم أبيك اسمُ الحمار واسمُ جدّك اسم الكلب .

[بيتان يثيرانه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن الزُّبير عن عمِّه عن بعض القرويين ، قال : قدِمَ علينا الفرزدق ، فقلنا له : قدِم علينا جرير ، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ، ومضى يريدهم ، فقال : أنشدونيها ، فأنشدناه قصيدة كثيِّر التي يقول فيها : [من الوافر]

وما زالت رُقاك تسُلُّ ضِغْني وتخرجُ من مكامنها ضِبابي[2]
ويَرقيني لك الحـاوون حتى أجابك حيّةٌ تحـت الحِجابِ

قال : فجعل وجهه يتغيّر ، وعندنا كانون ، ونحن في الشتاء ، فلمّا رأينا ما به قلنا : هوِّنْ عليك يا أبا فراس ، فإنّما هي لابن أبي جمعة[3] ، فانثنى سريعاً ليسجد ، فأصاب ناحية الكانون وجْهه فأدماه .

[مع الحسين بن عليّ]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : أخبرني القحذميّ ، قال : لقي الفرزدق الحسين بن عليّ عليهما السلام متوجّهاً إلى الكوفة خارجاً من مكّة في اليوم السادس من ذي الحجّة فقال له الحسين ، صلوات الله عليه وآله : ما وراءك ؟ قال : يا ابنَ رسول الله ، أنْفُس النّاسِ معك ، وأيديهم عليك ؛ قال : ويحك ، معي وِقْر بعير من كتبهم يدعونني ، ويناشدونني الله ، قال : فلمّا قتل الحسين ، صلوات الله عليه ، قال الفرزدق : انظروا فإن غضبت العرب لابن سيِّدها وخيْرها فاعلموا أنّه سيدوم عزُّها ، وتبقي هيبتها ، وإن صبرت عليه ، ولم تتغيّر لم يزدها الله إلاّ ذُلاًّ إلى آخر الدّهر ، وأنشد في

1 السويق : طعام يتّخذ من مدقوق الحنطة والشعير .
2 ضباب : جمع ضبّ ، والمقصود الحقد الكامن .
3 إشارة إلى كثيّر نفسه .

ذلك : [من الطويل]

فإن أنتُـم لم تثأروا لابـن خيركم فألقـوا السلاح واغزِلـوا بالمغازلِ

[حافظة الفرزدق]

أَخبرنا عبد الله بن مالك : قال : أَخبرني أَبو مسلم ؛ قال : حدَّثني الأَصمعيّ ، قال : أَنشد الرّاعي الفرزدق أربع قصائد ، فقال له الفرزدق : أعيدُها عليك ، لقد أتى عليَّ زمان ، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عنّي .

[يشرب الخمر ممزوجة باللبن]

أَخبرني عبد الله بن مالك قال حدَّثني أَبو مسلم الحرانيّ عن الأصمعيّ ، قال : تَغَدّى الفرزدق عند صديق له . ثم انصرف فمرّ ببني أسد ، فحدَّثهم ساعة ثم استسقى ماء ، فقال فتى منهم : أو لبناً ، فقال : لبناً ، فقام إلى عُسٍّ[1] ، فصبَّ فيه رطلاً من خمر ، ثم حلب عليه ، وناوله إيّاه ، فلمّا كرع فيه انتفخت أوداجه[2] ، واحمرّ وجهه ثم ردّ العُسَّ ، وقال : جزاك الله خيراً ، فإنّي ما علمتك تحبّ أن تُحْفي[3] صديقك ، وتُخفي معروفك ثم مضى .

[النَّوار تحتال عليه]

وأَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، وتهدّدها بالهجاء والفضيحة ، فاستغاثت بالنَّوار امرأته ، وقصَّت عليها القصّة ، فقالت لها : واعديه ليلة ، ثم أعلميني ، ففعلت ، وجاءت النَّوار ، فدخلت الحجلة مع المرأة ، فلمّا دخل الفرزدق البيت أَمرت الجارية ، فأطفأت السراج ، وغادرت المرأة الحجلة ، واتبعها الفرزدق ، فصار إلى الحجلة ، وقد انسلّت المرأةُ خلف الحجلة ، وبقيت النَّوار فيها ، فوقع بالنَّوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبته ، فلمّا فرغ قالت له : يا عدوّ الله ، يا فاسق ، فعرف نغمتها ، وأنّه خدع ، فقال لها : وأنتِ هي يا سبحان الله ! ما أطيبك حَراماً ، وأرداكِ حلالاً .

[يضنّ عليه ابن سبرة بجارية فيهجوه]

أَخبرني عبد الله بن مالك . قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثني القحذميّ قال : استعمل الحجّاج الخيارَ بن سبرة المجاشعيّ على عُمان ، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية

---

1 العسّ : القدح الكبير .
2 الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح .
3 تحفي : تحتفي .

فكتب إليه الخيار : [من الوافر]

كتبت إليّ تستهدي الجواري لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيدِ

فأجابه الفرزدق : [من الوافر]

ألا قال الخيارُ وكان جهلاً قد استهدى الفرزدقُ من بعيدِ
فلولا أنّ أُمّك كان عمّي أباها كنتَ أخرس بالنشيدِ
وأنّ أبي لَعَمُّ أبيك لحّا وأنّك حين أغضبُ من أُسودي[1]
إذاً لشددتُ شدّةَ أعوجيٍّ يدقّ شكيمَ مجدول الحديدِ[2]

[لا يستسيغ خطأ في القرآن]

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعيّ قال : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ : والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً من اللهِ واللهُ عفورٌ رحيمٌ فقال : لا ينبغي أن يكون هذا هكذا ، قال : فقيل له : إنّما هو ﴿عزيز حكيم﴾ قال : هكذا ينبغي أن يكون .

[يمدح أسماء بن خارجة]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أبو مسلم ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال : مرَّ أسماءُ بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق ، وهو يهنأ[3] بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء : يا فرزدق كسد شعرك ، واطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك ، فقد أمرت لك بمائة بعير ، فقال الفرزدق فيه يمدحه : [من البسيط]

إنَّ السّماحَ الذي في الناسِ كلّهمُ قد حازه اللهُ للمفضَال أسماءِ
يُعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدّره عفواً ويُتْبِع آلاءً بنعماءِ
ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ

[ضعف شعره عندما شاخ]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة ، قال : قال أبو عبيدة : دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها : [من الطويل]

1 لحا : من لحت القرابة إذا دنت ، والتصقت .
2 الأعوجي : الجواد المنسوب إلى أعوج ، وهو جواد أصيل ينسب إليه الخيول البعيدة .
3 يهنأ بعيرا : يطليه بالهناءة ، وهي القار .

فإنّ أبا موسى خليـــلُ محمدٍ وكفّاه يُمْنى للهدى وشِمالُها

فقال ابن أبي بردة : هلكت واللهِ يا أبا فراس ، فارتاع الشيخ ، وقال : كيف ذاك ؟ قال ذهب شعرك ، أين مثلُ شعرك في سعيد ، وفي العبّاس بن الوليد ، وسمّى قوماً فقال : جئني بحَسبٍ مثل أحسابِهم ، حتى أقول فيك كقولي فيهم ، فغضب بلال حتى دَرَّت أوداجه ودُعي له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده فيها ، حتى سكن ، فكلّمه فيه جلساؤه وقالوا : قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت ، فلم يَحُل عليه الحول حتى مات .

[قواد له من أصحابه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن سعيد بن همام اليماميّ ، قال : شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق ، فقال لصاحبٍ له : إنَّ الغُلمة قد آذتني فأكسِبني بَغِيّاً ، قال : من أين أُصيب لك هاهنا بغيا ؟ قال : فلا بدّ لك من أن تحتال ، قال : فمضى الرجل إلى القرية ، وترك الفرزدق ناحية ؛ فقال : هل من امرأة تُقبِّل[1] ، فإنّ معي امرأتي وقد أخذها الطّلق فبعثوا معه امرأة ، فأدخلها على الفرزدق ، وقد غَطّاه ، فلمّا دنت منه واثبها . ثمَّ ارتحل مبادراً ، وقال : كأنّي بابنِ الخبيثة يعني جريراً لو قد بلغه الخبر قد قال : [من الوافر]

وكنتَ إذا حَللتَ بدارِ قــومٍ رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا

قال : فبلغ جريراً الخبر ، فهجاه بهذا الشعر .

[يغتصب بيتاً]

وأخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، قال : قال أبو نهشل : حدَّثنا بعض أصحابنا : قال : وقف الفرزدق على الشمردل ، وهو ينشد قصيدة له ، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله : [من الطويل]

وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعة وبين جرير غير حـــزِّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق : يا شمردل ، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركنّ عرضك ؛ قال : خذه ، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم ، وهي التي أوّلها قوله : [من الطويل]

تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتــي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ[2]

---

1 تقبل : تشتغل قابلة .

2 زورا اليمامة في الديوان 307/2 : لزوراء المدينة . البوّ : جلد يحشى تبناً على هيئة الحوار لتدرّ اللبن حين تراه . رائم : عطوف .

[تستعيذ بقبر أبيه]

أخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن الأَصمعيّ ، قال : جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق ؛ فضربت عليه فسطاطاً . فأتاها فسألها عن أمرها . فقالت : إنّي عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي ، قال لها : وما هو ، قد ضَمِنت خلاصك منه ، قالت : إنّ ابناً لي أغزِي إلى السِّند مع تميم بن زيد ؛ وهو واحدي قال : انصرفي ، فعليّ انصرافُه إليك إن شاء الله ، قال : وكتب من وقته إلى تَمِيم بقوله : [من الطويل]

تَميمَ بنَ زيد لا تكوننّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليّ جَوابُها
وهب لي حُبيشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً ... لحِرْمة أمٍّ مـا يسوغُ شَرابُها
أتتني فعاذت يا تَمِيمُ بغالبٍ ... وبالحفْـرة السّافي عليها ترابُها

قال : فعرض تميم جميع مَن معه من الجند ، فلم يدع أَحداً اسمه حُبَيْش ، ولا حُنَيش إلاّ وصله ، وأذِن له في الانصراف إلى أهله .

[ما يشتهي]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : أَخبرنا محمد بن حبيب ، عن الأَصمعيّ ، قال : مرَّ الفرزدق بصديق له ، فقال له : ما تشتهي يا أبا فراس ؟ قال : أشتهي شواءً رَشْراشاً ، ونَبيذاً سعيراً[1] ، وغناءً يفتق السمع .

الرشراش : الرَّطْب ، والسعير : الكثير .

[يتبرم بمحبّي شعره]

أخبرنا عبد الله بن مالك . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب : قال : حدَّثني السعديّ ، عن أبي مالك الزيديّ . قال : أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئاً ؛ فجلسنا ببابه ننتظر ، إذ خرج علينا في مِلْحفة . فقال لنا : يا أعداء الله ، ما اجتماعُكم ببابي ؟ والله لو أردت أن أزني ما قدَرت .

[يعاني في صنع الشعر]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا أَبو مسلم ، قال حدَّثنا الأَصمعيّ عن هشام بن القاسم ، قال : قال الفرزدق : قد علِم النّاس أنـّي فحل الشعراء . وربّما أتت عليّ الساعة لَقَلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عَلَيّ من قولِ بيت شعر .

1 ل : سعبراً .

[يهجو راويته فلا يخالفه]

حدَّثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعيّ، قال: كان الفرزدق وأبو شَقْفَل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، وتوسّمت؛ فرأت هيئة أبي شَقْفَل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق: [من الطويل]

أبو شَقْفَل شيخ عن الحقّ جائرٌ ... بباب الهدى والرّشد غيرُ بصيرِ

فقالت المرأة: سبحان الله؟ أتقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

[سكينة بنت الحسين تنقده وتهبُه جاريتها]

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدَّثنا محمد بن موسى، قال: حدَّثنا المدائنيّ، قال: خرج الفرزدق حاجّاً، فمر بالمدينة، فأتى سُكَيْنَةَ بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق. مَنْ أشعَر النّاس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول: [من الوافر]

بنفسي مَن تجنُّبُه عزيزٌ ... عليَّ وَمَنْ زِيارتُه لِمامُ

ومَن أُمسي وأُصبح لا أُراه ... ويطرُقني إذا هجعَ النيامُ

فقال: والله لو أذِنتِ لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه. فأُخرِج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. مَن أشعر النّاس؟ قال: أنا. قالت: كذبت: أشعرُ منك الذي يقول: [من الكامل]

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... وَلَزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ

لا يلبث القُرناءُ أن يتفرّقوا ... ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ

كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِمَ الحديثُ وعَفّت الأَسرارُ

قال: أَفأُسْمِعكِ أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنّها ظبيةٌ، فاشتدّ عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، مَن أشعر النّاس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعَر منك الذي يقول: [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ ... قتَلْننا ثم لم يُحيين قَتْلانا

يَصرعْن ذا اللُّبّ حتى لا حَراكَ له ... وهُنَّ أَضعفُ خلق الله أركانا

ثم قالت: قُم فاخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقّاً. إذ كنتُ إنّما جئتُ مسلّماً عليك، فكان من تكذيبك إيّاي وصنيعك بي حين أردتُ أن أُسمعك شيئاً من

شعري ما ضاق به صدري . والمنايا تغدو وتروح ، ولا أدري ، لعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أموت . فإن مِتُّ فمُرِي مَن يدفِنني في حِرِ هذه الجارية التي على رأسك ، فضحكت سُكَيْنةُ ، حتى كادت تخرج من ثيابها ، وأمَرت له بالجارية ، وقالت : أحسِن صحبَتها ؛ فقد آثرتك بها على نفسي ، قال : فخرج وهو آخذ برَيْطتها[1] .

[يطالب معاوية بتراث عمّه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا المدائنيّ قال : وفد الحُتاتُ عمُّ الفرزدق على معاوية ، فخرجت جوائزهم ، فانصرفوا ، ومرض الحتاتُ ، فأقام عند معاوية حتى مات ، فأمر معاوية بماله ، فأُدخِلَ بيتَ المال ، فخرج الفرزدق إلى معاوية ، وهو غلام ، فلمّا أُذِنَ للنّاس دخل بين السماطين[2] ، ومَثَل بين يدَي معاوية ، فقال : [من الطويل]

أبوك وعمِّي يا معاويَ ورَّثا ... تراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه[3]

فما بال ميراثِ الحتات أكلتَهُ ... وميراثُ حرب جامدٌ لِيَ ذائبُه ؟[4]

فلو كان هذا الأمرُ في جاهليّةٍ ... علمتَ مَن المولى القليلُ حلائبُه[5]

ولو كان هذا الأمر في مِلك غيركم ... لأدّاه لي أو غَصَّ بالماءِ شاربُه[6]

فقال له معاوية : مَن أنت ؟ قال : أنا الفرزدق قال : ادفعوا إليه ميراث عمّه الحتات ، وكان ألف دينار ، فدفع إليه .

[امرأة تهجوه فتوجعه]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن أبي حمزة الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو زيد ، قال : قال أبو عبيدة .

انصرف الفرزدق من عند بعض الأُمراء في غداة باردة ، وأمر بجزور . فنُحِرت ثمَّ قُسِّمَت ، فأغفل امرأة من بني فُقيم ، نسيها ، فرجزت به ، فقالت : [من الرجز]

---

1 الريطة : الملاءة كلّها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب ليّن رقيق .

2 السماطين : الصفين .

3 يحتاز : يحوز .

4 في الديوان 45/1 : أتأكل ميراث الحتات ظلامةً .

5 الأمر في الديوان 45/1 : الدين . حلائب : جمع حلوب .

6 أدّاه لي في الديوان 45/1 : لأبديته .

فَيْشلةٌ هـدْلاءُ ذات شِقْشقِ مشرفةُ اليافـوخ والمحـوَّقِ[1]
مُدمجَةٌ ذاتُ حِفـافٍ أخلقِ نِيطت بحَقْـوَيْ قَطِمٍ عَشنَّقِ[2]
أُولجتهـا في سَبَّـة الفرزدقِ[3]

قال أبو عبيدة : فبلغني أنّه هرب منها ، فدخل في بيت حمّاد بن الهيثم ، ثم إنّ الفرزدق قال فيها بعد ذلك : [من الطويل]

قتلتُ قتيـلاً لم يَـرَ الناسُ مثلَه أُقلِّبُـه ذا تَوْمَتَـين مُسَوَّرا[4]
حملـتُ عليـه حملتـين بطعنةٍ فغادرتُـهُ فـوق الحشايا مكوّرا
ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا
وما هو يـوم الزحف بارزَ قِرنَه ولا هـو ولّى يـوم لاقى فأدبرا
بني دارم مـا تأمرون بشاعرٍ برود الثّنايا مـا يـزال مزعفرا
إذا مـا هو استلقى رأيت جهازه كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا[5]
وكيف أُهاجي شاعراً رمحُهُ استُه أعـدَّ ليـوم الرّوع دِرْعاً وَمَجْمرا

فقالت المرأة : ألا لا أرى الرجال يذكرون منّي هذا ، وعاهدت الله ألاّ تقول شعراً .

[كأنّه يريد أن يؤتى]

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم ، عن الأصمعيّ قال : مرّ الفرزدق يوماً في الأزد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه ، وأعانه على ذلك سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النُّهى منهم ، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء ، فقال لهم ابن أبي علقمة : ويلكم ! أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ؛ هذا شاعرُ مضَر ولسانها ، قد شتم أعراضَكم ، وهجا ساداتِكم ، والله لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : قاتله الله . إي والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأي .

[أنصاريّ يتحدّاه بشعر حسّان بن ثابت]

أخبرني عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، قال : قال الكلبيّ : قال

---

1 هدلاء : طويلة . مشرفة اليافوخ : طويل أعلاها . المحوق : من الحوق ، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها .
2 أخلق : صلب . الحقو : الخصر . قطم : مجيد للنكاح مشته له . عشنق : طويل .
3 السبّة : الإست .
4 التّومة : لؤلؤة تتحلّى بها المرأة . مسوّراً : لابساً أساور .
5 يريد بالجهاز بضع المرأة . والناب : الناقة المسنة .

إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص . وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ والأخفش جميعاً ، عن السكريّ ، عن ابن حبيب ، عن أبي عبيدة والكلبيّ : قال : وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان ، عن أبيه ، عن أبي عبيدة ، قالوا جميعاً : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبان بن عثمان ، فأتى الفرزدق وكثيِّر عزّة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما شخت[1] رقيق الأدمة ، في ثوبين ممصرين ، فقصد نحونا ، فلم يسلِّم ، وقال : أيّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق : مَن أنتَ لا أمَّ لك ، قال : رجل من الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنَّا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنّك تزعم أنّك أشعر العرب ، وتزعمه مضر ، وقد قال شاعرنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أعرضه عليك ، وأؤجّلكَ سنة ، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب ، كما قيل ، وإلاّ فأنت منتحِلٌ كذّاب ، ثم أنشده : [من الطويل]

ألم تسألِ الرَّبــعَ الجديـدَ التكلُّما

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأبقى لنا مَــرُّ الحروب ورزؤُها	سيوفاً وأدراعــاً وجمّاً عرمرما
متى مـا تُرِدْنا مــن مَعدٍّ عِصابةٌ	وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما
لنــا حاضر فعْــمٌ وبــادٍ كأنّه	شماريخُ رَضْوى عِـزّةً وتكرُّما[2]
أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا	وقائلُنـــا بالعُــرف إلاّ تَكلُّما
بكلِّ فتًى عــاري الأشاجع لاحَه	قِراعُ الكماةِ يرشح المِسكَ والدَّما[3]
ولدنا بنــي العنقــاء وابنَيْ محرِّقٍ	فأكرم بذا خالا وأكرم بذا ابْنما
يُسوِّدُ ذا المــالِ القليل إذا بدت	مروءتُــه فينــا وإن كان مُعدِما
وإنا لَنقْري الضيفَ إن جاءَ طارقاً	من الشحم ما أمسى صحيحاً مُسلَّما
لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضّحى	وأسيافُنا يقطرن مــن نجدةٍ دَما

فأنشده القصيدة ، وهي نَيِّف وثلاثون بيتاً ، وقال له : قد أجَّلتك في جوابها حولا ، فانصرف الفرزدق مغضباً ، يسحَب رداءه ، وما يدري أيّة طرقه حتى خرج من المسجد ،

1 الشخت : الضامر النحيف خلقة .
2 فعم : ممتلىء .
3 الأشاجع : أصول الأصابع ، أو عروق ظاهر الكف .

فأَقبل على كثيِّر ، فقال له : قاتل الله الأنصار ما أَفصحَ لهجتهم ، وأَوضحَ حُجّتهم ، وأَجودَ شعرهم ، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقيّة يومنا ، حتى إذا كان من الغدِ خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس ، فأتى كثيِّر ، فجلس معي ، وإنّا لنتذاكر الفرزدق ، ونقول : ليت شعري ما صنع ؟ إذ طلع علينا في حُلّة أفوافٍ[1] ، قد أرخى غديرته ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاريّ ؟ فنلنا منه ، وشتمناه ، فقال : قاتله الله : ما مُنيت بمثله ، ولا سمعتُ بمثل شعره ، فارقته ، وأَتيتُ منزلي ، فأقبلت أُصعِّدُ وأُصوِّب في كلّ فن من الشعر ، فكأنّي مفحَم لم أقل شعراً قطّ ، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحَلتُ ناقتي ، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريّانا ، وهو جبل بالمدينة ، ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم ، يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش المرجل ، فعقلت ناقتي وتوسّدت ذراعها ، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاريّ ، حتى إذا انتهى إلينا سلَّم علينا ، ثم قال : إنّي لم آتِك لأعجلَك عن الأجل الذي وقّتُه لك ، ولكنّي أحببتُ ألاّ أراك إلاّ سألتك : إيش صنعت ؟ فقال : اجلس ، وأنشده قوله : [من الطويل]

عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأَنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرفُ
ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنّما ... ترى الموتَ في البيتِ الذي كنت تألفُ

في رواية ابن حبيب : تَيْلُف حتى بلغ إلى قوله :

تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أَومأنا إلى النّاسِ وقّفوا

وأَنشدها الفرزدق ، حتى بلغ إلى آخرها ، فقام الأنصاريّ كئيباً ، فلمّا توارى طلع أَبوه أَبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار ، فسلَّموا عليه ، وقالوا : يا أبا فراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله ﷺ ، وقد بَلَغنا أنّ سفيهاً من سفهائنا ربّما تعرّض لك ، فنسألُك بحقِّ الله وحقّ رسوله لما حفِظت فينا وصيةَ رسول الله ﷺ ، ووهبتنا له ، ولم تفضحنا .

قال محمد بن إبراهيم : فأَقبلتُ عليه أكلّمه ، فلمّا أَكثرنا عليه ، قال : اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشيّ .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أَنشِدني أَجودَ شعر عملته ، فأَنشده : [من الطويل]

عزفتَ بأَعشاش وما كدت تعزفُ

1 أفواف : ثياب رقاق موشاة مخطّطة .

فقال : زِدني : فأَنشده : [من الوافر]

ثـلاثٌ واثنتانِ فتلك خمس ... وواحـدة تميل إلى الشِّمامِ[1]

فبِتْـنَ بجانبـيّ مصرَّعـاتٍ ... وبـتُّ أفضُّ أَغـلاق الخِتامِ[2]

فقال له سليمان : ما أراك إلاّ قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزّنى عندي ، وأنا إمام ، ولا تريد منّي إقامة الحدّ عليك ، فقال : إن أخذت فيّ بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل . قال : وما قال ؟ . قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿والشّعراء يتّبعُهم الغاوون ، أَلم ترَ أنّهم في كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ ، فضحك سليمان وقال : تلافيتها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازَه .

[يجتمع وهو وجرير بالشام]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيب ، عن الأصمعيّ ، قال : قدِم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفى ، فقال له جرير : ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق : إنّي طالما أخلفتُ ظنّ العاجز .

[الفرزدق لعنة وجرير شهاب]

أَخبرنا عبد الله بن مالك قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن طلحة : قال : قال أَبو مِخْنف : كان الفرزدق لُعَنَة ، أَي يتلعّن به كأنّه لُعَنَة على قوم ، وكان جرير شهاباً من شهب النار .

[يتندّر بمحمد بن وكيع]

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثنا الأزديّ : قال : حدَّثنا عمرو بن أَبي عمرو عن أَبيه ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء : مرّ الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سُود ، وهو على ناقة فقال له : غدِّني ، قال : ما يحضرني غَداء ، قال : فاسقني سَوِيقاً ، قال : ما هو عندي ، قال : فاسقني نبيذاً ، قال : أو صاحبَ نَبيذٍ عهدتَني ، قال : فما يُقعدك في الظلّ ؟ قال : فما أصنع ؟ قال أطْلِ وجهك بدِبْس[3] ، ثم تحوّل إلى الشمس ، واقعد فيها ، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه ، قال أبو عمرو : فما زال ولد محمد يُسبُّون بذلك من قول الفرزدق انتهى .

[هاشم بن القاسم يتجاهله]

أَخبرنا عبد الله بن مالك ، عن ابن حبيب ، عن موسى بن طلحة ، عن أَبي عبيدة ،

1 الشمام : القبل والترشف وما إليها .

2 فضّ الأغلاق : أي المضاجعة .

3 الدبس : الأسود من كل شيء .

عن أبي العلاء : قال : أخبرني هاشم بن القاسم العنزيّ أنّه قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أما تعرفني ؟ قلت : لا ، قال : فأنا أبو فراس ، قلت : ومَن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق ، قلت : ومَنِ الفرزدق ؟ قال : أوما تَعْرف الفرزدق ؟ قلت : أعرف الفرزدقَ أنّه شيء يتّخذه النساء عندنا ، يتَّسمّنَّ به وهو الفَتُوت ، فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم .

[الكلبيّون يعبثون به]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، عن النضر بن حديد ، قال : مرَّ الفرزدق بماء لبني كليب مجتازاً ، فأخذوه ، وكان جباناً ، فقالوا : والله لتلقيَنَّ منّا ما تكره ، أو لتنكحَنَّ هذه الأتان ، وأتوه بأتان ، فقال : ويلكم ! اتّقوا الله ، فإنّه شيء ما فعلتُه قطّ ، فقالوا : إنّه لا ينجيك والله إلاّ الفعل قال : أمّا إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية[1] ، فضحكوا ، وقالوا : اذهب لا صحبك الله .

[أسود يستخفّ به]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة ، وفي صدر مجلسهم فتى أسودُ ، وعلى رأسه إكليل ؛ فلم يحفَل بالفرزدق ولم يُخْفِ به تهاوناً ، فغضب الفرزدق من ذلك وقال : [من الطويل]

جلوسُك في صدر الفراش مَذَلَّةٌ ورأسك في الإكليل إحدى الكبائرِ
وما نَطَفَتْ كأسٌ ولا لَذَّ طعمُها ضربْتَ على حافاتها بالمشافرِ[2]

[يرثي وكيعاً]

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى ، عن العتبيّ قال : لمّا مات وكيعُ بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أُخرِج ، وعليه قميص أسود ، وقد شقّه إلى سرته وهو يقول : [من الطويل]

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من النّاس إلاّ قد أباءت على وترِ
وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله تناول صِدِّيق النبيّ أبا بكرِ

قال : فعَلق الناسُ الشعر ، فجعلوا ينشدونه ، حتى دُفِنَ ، وتركوا الاستغفار له .

1 عطية : والد جرير .
2 نطفت الكأس : قطرت .

[ميميّته المشهورة في علي بن الحسين]

أخبرنا عبد الله بن عليّ بن الحسن الهاشميّ ، عن حيان بن عليّ العنزيّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ قال : حجّ الفرزدق بعدما كبر ، وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشامُ بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام فرأى عليَّ بنَ الحسين في غمار النّاس في الطواف ، فقال : مَن هذا الشاب الذي تَبرُق أسرة وجهه كأنّه مرآة صينيّة تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهَها ؟ فقالوا : هذا عليّ بنُ الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق : [من البسيط]

هذا الذي تَعرِف البطحاءُ وطأتَه ... والبَيْتُ يَعْرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهِرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَه ... بجدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
وليس قولُك : مَن هذا بضائرِه ... العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها : ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يُغْضي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكَلَّمُ إلاّ حين يَبْتسِمُ
بكَفّه خيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أروعَ في عِرْنينه شممُ[1]
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته ... رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
اللهُ شرَّفه قِدْماً وعَظَّمه ... جَرى بذاك له في لوحِه القلمُ
أيُّ الخلائقِ ليست في رقابهم ... لأَوَّليَّة هذا أَوْلَهُ نِعَمُ
مَنْ يشكرِ اللهَ يشكرْ أَوَّليَّة ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأممُ
يَنْمي إلى ذِروة الدِّين التي قَصُرَت ... عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياءِ له ... وفَضْلُ أُمَّته دانت له الأممُ
مُشتقَّةٌ من رسول الله نَبعَتُه ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ[2]
ينشقُّ ثَوبُ الدّجى عن نُورِ غُرَّته ... كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ
مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ ، وبغضهمُ ... كُفْرٌ وقُربُهمُ مَنْجًى ومُعْتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعد ذكر الله ذِكرُهمُ ... في كلِّ بدْءٍ ومختومٌ به الكَلِمُ

1 العرنين : الأنف .
2 النبعة : شجرة صلبة الألياف تتّخذ منها القسيّ . الخيم : الأصل والشرف .

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتهم أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الأرض قيلَ: همُ
لا يستطيع جوادٌ كنه جودهمُ ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرموا[1]
يُستَدفَع الشرُّ والبلوى بحبِّهمُ ويستربُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ[2]

وقد حدَّثني بهذا الخبر أحمدُ بنُ الجعد ، قال : حدَّثنا أحمد بن القاسم البرتيّ ، قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد النخعيّ ، فذكر أنّ هشاماً حجَّ في حياة أبيه ، فرأى عليَّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ، يطوف بالبيت والنّاسُ يُفْرجون له . فقال : مَنْ هذا ؟ فقال الأبرش الكلبيّ : ما أعرفه ، فقال الفرزدق : ولكنّي أعرفه ، فقال : مَن هو ؟ فقال :

هـذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطأته

وذكر الأبيات . . . إلخ .

قال : فغضب هِشامٌ فحبَسه بين مكّة والمدينة فقال : [من الطويل]

أتَحبِسني بين المدينة والتي إليها قلوب النّاس يَهْوي مُنِيبُها
يقلِّبُ رأساً لم يكن رأس سيِّد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها

فبلغ شعرُه هِشاماً ، فوجّه ، فأطلقه .

[مع مالك بن المنذر]

أخبرنا عبد الله بن مالك ، عن محمد بن موسى ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : أخبرنا أبو روح الراسبيّ ، قال : لمّا وليَ خالدُ بن عبد الله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطَة البصرة ، فقال الفرزدق : [من الطويل]

يُبَغِّض فينا شرطةَ المصر أنّني رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ

قال ، فقال مالك : عَلَيَّ به ، فمضوا به إليه ، فقال : [من الطويل]

أقول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقها ألا ليت شعري ما لها عند مالِكِ ؟

قال : فسمع قولَه حائكٌ يطلع من طرازه ، فقال : [من الطويل]

لها عنده أن يَرجعَ اللهُ ريقها إليها وتنجُو من عظيم المهالكِ

فقال الفرزدق : هذا أشعرُ النّاس ، ولَيعودَنَّ مجنوناً ، يصيح الصبيان في أثره فقال : فرأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره .

---

1 كنه في الديوان 181/2 : بعد .
2 يستربّ : يستزاد وينمى .

أخبرنا عبدُ الله بنُ مالك قال : حدَّثنا محمد بن عليّ بن سعيد ، قال : حدَّثنا القَحْذميّ : قال : فلمّا أتَوْا مالك بن المنذر بالفرزدق قال : هيه عَقِب الكلب ، قال : ليس هذا هكذا قلت ، وإنّما قلت : [من الطويل]

أَلم تَرَني ناديتُ بالصوت مالكاً ليسمعَ لما غصَّ من ريقه الفمُ
أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذرٍ فهن لأيدي المستجيرين مَحرَمُ[1]

قال : قد عذتَ بمعاذ[2] ، وخلّى سبيلَه .

أخبرنا عبد الله قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : كتب خالدٌ القسريُّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ، ويذكر أنّه بلغه أنّه هجاه ، وهجا نهرَه المبارك ، وهو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره ، فاشتدّ مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومرُّوا به على بني مجاشع ، فقال : يا قوم ، اشهدوا أنّه لا خاتم بيدي ، وذلك أنّه أخذ عمرَ بنَ يزيدَ بن أسَيْد ، ثم أمَر به فلُوِيَتْ عنقُه ، ثم أخرجوه ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلّب ، والأعوان يقولون له : قوِّمْ رأسك ، فلمّا أتَوْا السجّانَ قال : لا أتسلّمه منكم ميتاً ، فأخذوا المفاتيح منه ، وأدخلوه الحبس ، وأصبح ميتاً ، فسمَّعوا أنّه مصّ خاتمه وكان فيه سمّ ، فمات ، وتكلّم النّاس في أمره ، فدخل لبطةُ بن الفرزدق على أبيه ، فقال : يا بنيّ ، هل كان من خبر ؟ قال : نعم ، عُمَرُ بنُ يزيدَ مصَّ خاتمه في الحبس ، وكان فيه سمّ ، فمات ، فقال الفرزدق : والله يا بنيّ لئن لم تلحق بواسط ليمصنّ أبوك خاتَمه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

أَلَم يَكُ قَتْلُ عبد الله ظُلماً أبا حفص من الحُرَم العظامِ
قتيلُ عداوة لم يجنِ ذنباً يُقَطَّعُ وهو يهتف للإمامِ

[جرير يشفع له]

قال : وكان عُمَرُ عارضَ خالداً وهو يصف لهشام طاعةَ أهل اليمن وحسنَ موالاتهم ونصيحتهم ، فصفّق عَمرُو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى ، حتى سمع له في الإيوان دَويٌّ ، ثم قال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، ما أطاعت اليمانيّة ، ولا نصحت ، أليس هم أعداؤك وأصحابُ يزيد بن المهلّب وابن الأشعث ؟ والله ما ينعَقُ ناعق إلاّ أسرعوا الوثبة إليه ، فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال : فتبيّن ذلك في وجه هشام ووثب رجل من

1 منذر : أبو مالك .
2 بمعاذ : بذي حرمة .

بني أُميّة ، فقال لعمرو بن يزيد : وصل الله رحمك وأحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أنفس قومك ، وانتهزْتَ الفرصة في وقتها ، ولكن أحسَبُ هذا الرجل سَلِي العراقَ ، وهو منكِرٌ حسود ، وليس يَخارُ لك[1] إن وَلِي ، فلم يرتدعْ عمر بقوله ، وظنّ أنّه لا يُقدم عليه ، فلمّا وَلِيَ لم تكن له همّة غيْرُه ، حتى قتله ، قال : ثم إنّ مالكاً وجَّهَ الفرزدق إلى خالد ، فلمّا قدِم به عليه وجده قد حجّ ، واستخلف أخاه أسدَ بنَ عبد الله على العراق ، فحبسه أسد ، ووافق عنده جريراً ، فوثب يشفع له ، وقال : إن رأى الأمير أن يَهَبه لي ، فقال أسد : أتشفع له يا جرير ؟ فقال : إنّ ذلك أذلُّ له ، أصلحك الله ، وكلّم أسداً ابنهُ المنذِرُ ، فخلّى سبيله ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لا فضلَ إلاّ فضلُ أمٍّ على ابنها ... كفضل أَبي الأَشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هُوَّةٍ دون قعرِها ... ثمانون باعاً للطُّوال العَشَنَّقِ[2]

وقال جرير يذكر شفاعته له : [من الطويل]

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ ... فتطلقَ عنه عضَّ مَسِّ الحدائدِ ؟[3]
يعودُ وكان الخبثُ منه سجيّةً ... وإن قال : إنّي مُنْتَهٍ غَيْرُ عائدِ

[يهجو بني فقيم]

أَخبرني عبيد الله ، عن محمد بن موسى ، عن القحذميّ ، قال : كان سببَ هرب الفرزدق من زياد ، وهو على العراق ، أنّه كان هجا بني فقيم ، فقال فيهم أبياتاً منها : [من الوافر]

وآب الوفدُ وفدُ بني فُقَيمٍ ... بأخبث ما تئوب به الوفودُ
أَتَوْنا بالقرود مُعاديليها ... فصار الجَدُّ للجدّ السعيدُ

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيْميّ والأشهب بن رميلة بأَبيات ، منها قوله : [من الطويل]

تمنّى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً ... لقد قال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا
غناءٌ قَلِيلٌ عن فُقَيمٍ ونهْشَلٍ ... مَقامُ هَجينٍ ساعةً ثم أَدْبرا[4]

يعني الأَشهبَ بنَ رُمَيْلة ، وكان الأَشهبُ خطب إلى بني فُقَيم ، فردّوه ، وقالوا له : اهْجُ الفرزدق حتى نزوّجَك ، فرجز به الأشهب ، فقال : [من الرجز]

---

1 يخار لك : يختار لك .

2 الطوال والعشنق : الطويل .

3 الحدائد : القيود .

4 الهجين : غير صريح النسب .

يا عجباً هل يركبُ القَيْنُ الفرس ... وَعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسْ[1] ؟
وإنّمـا سلاحُـه إذا جَلَـسْ ... الكَلْبتـان والعَـلاةُ والقَبَسْ[2]

[يهرب من زياد]

فلمّا بلغ الفرزدق قولُه هجاه ، فأرفث[3] له ، وألحّ الفرزدق على النهشليين بالهجاء ، فشكوه إلى زياد ، وكان يزيدُ بنُ مسعود ذا منزلة عند زياد ، فطلبه زياد ، فهرب ، فأتى بكرَ بن وائل ، فأجاروه ، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات : [من الطويل]

إنِّـي وإن كانت تميمٌ عِمارتي ... وكنتُ إلى القُرْمُوسِ منها القُماقِمِ[4]
لَمُثْنٍ على أبنـاء بكـرِ بن وائلٍ ... ثنـاءً يوافي ركبهـم في المواسمِ
همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا ... برأسٍ بـه تَدْمى رؤوسُ الصّلادمِ[5]

وهرب ، حتى أتى سعيد بن العاصي ، فأقام بالمدينة يشرب ، ويدخل إلى القيان ، وقال : [من الطويل]

إذا شئتُ غنَّاني من العاجِ قاصف ... على معصم ريّـانَ لم يتخـدَّدِ
لبيضاءَ مـن أهلِ المدينةِ لم تعِشْ ... ببؤس ولم تتبـعْ حمولـةَ مُجْحَدِ
وقامت تخشِّيني زيـاداً وأجفلت ... حـواليَّ في بُـرْدٍ يمانٍ ومَجْسَدِ
فقلـتُ : دعيني مـن زياد فإنّني ... أرى الموتَ وقّافاً على كلِّ مَرْصَدِ

[مروان ينفيه ثم يجيزه]

فبلغ شعرُه مروانَ ، فدَعاه ، وتوعّده ، وأجلّه ثلاثاً ، وقال : اخرج عنّي ، فأنشأ يقول الفرزدق : [من الوافر]

دعانـا ثـم أجلّنـا ثلاثـاً ... كما وُعِـدَتْ لَمَهْلَكِها ثمـودُ

قال مروان : قولوا له عنّي : إنّي أجبته ، فقلت : [من الكامل]

قـل للفرزدق والسّفاهةُ كاسْمِها ... إن كنت تاركَ ما أمرتُكَ فاجلِسِ

1 القين : الحداد .
2 الكلبتان : آلة من آلات الحداد ، والعلاة : السندان .
3 أرفث : أفحش .
4 العمارة : الحي دون القبيلة . القرموس : السيد الرئيس . القماقم : الجواد ذو الفضل الغزير .
5 الصلادم : جمع صلدم بمعنى الأسد أو الحجر الصلب .

ودعِ المدينـــةَ إنّهـــا محظـورةٌ والحَـقْ بمكّــةَ أَو ببيتِ المقدسِ

قال : وعزم على الشخوص إلى مكّة ، فكتب له مروان إلى بعض عمّاله ، ما بين مكّة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب بكتاب مروان ، فجاء به إليه وقال : [من الكامل]

مــروانُ إنّ مطيّتي معقولـةٌ ترجو الحباءَ وربُّهـا لم ييأَسِ
آتيتني بصحيفـــةٍ مختومــةٍ يُخشى عليَّ بها حِباءُ النّقرسِ[1]
ألقِ الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن نكراء مثـلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ

قال : ورمى بها إلى مروانَ ، فضحك ، وقال : ويحك ! إنّك أُمّيٌّ ، لا تقرأ ، فاذهب بها إلى مَن يقرؤها ، ثم ردَّها ، حتى أختمها ، فذهب بها ، فلمّا قُرئت إذا فيها جائزة ، قال : فردَّها إلى مروان ، فختمها ، وأمر له الحسينُ بنُ عليّ عليهما السلام بمائتي دينار ، قال : ولّما بلغ جريراً أنّه أخرج عن المدينة قال : [من الوافر]

إذا حـــلَّ المدينـةَ فارجُمُوهُ ولا تُدْنوهُ من جَدَث الرسولِ
فما يُحْمـى عليه شرابُ حدٍّ ولا وَرْهـــاءُ غائبـةُ الحليلِ[2]

فأَجابه الفرزدق ، فقال : [من الوافر]

نعتّ لنـــا مـــن الورْهاء نَعْتاً قعــدتُ بـــه لأمِّك بالسبيلِ
فلا تبْغي إذا ما غـــاب عنها عطيّــةُ غيرَ نَعْتِك من حَليلِ

[يموت بذات الجنب]

أُخبرنا عبد الله بن مالك ، قال : حدَّثني محمد بن موسى ، قال : حدَّثنا أبو عكرمة الضّبّيّ عن أبي حاتمٍ السجستانيّ ، عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال أبو عكرمة : وحُكِيَ لنا عن لَبطَة بنِ الفرزدق أنّ أباه أصابته ذات الجنب ، فكانت سببَ وفاته .

قال : ووُصِف له أن يشرب النِّفط الأَبيض ، فجعلناه له في قدح ، وسقيناه إيّاه ، فقال : يا بنيّ عجّلت لأبيك شراب أهل النّار ، فقلت له : يا أَبتِ ، قُل : لا إله إلاّ الله ، فجعلت أُكرِّرها عليه مراراً ، فنظر إليّ وجعل يقول : [من الطويل]

فظَلَّــتْ تَعــالى باليَفاعِ كأَنّها رماح نحاها وِجْهة الرِّيحِ راكزُ

فكان ذا هجِّيراه حتى مات .

1 النقرس : الهلاك أو الداهية ، أو وجع في مفاصل الكفين .
2 الورهاء : الحمقاء .

أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني شُعَيب بن صخر ، قال : دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه ، وهو يقول : [من الوافر]

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمر جلَّ عن الخطابِ

البيتين ، فقال بلال : إلى الله ، إلى اللهِ .

[يتمرّد في مرض موته]

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الأصمعيّ ، قال : كان الفرزدق قد دبَّر عبيداً له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ، وبدفع شيء من ماله إليهم ، فلمّا احتُضِر جمع سائرَ أهل بيته ، وأنشأ يقول : [من الوافر]

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى مَن تفزعون إذا حَثَوْتم بأيديكم عليَّ من التّرابِ

فقال له بعض عبيده ، الذين أمر بعتقهم : إلى الله ، فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيَّته فيه ، والله أعلَم .

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، عن بشر بن مروان ، عن الحميديّ ، عن سفيان ، عن لَبَطَة بن الفرزدق قال : لمّا احتُضِر أبو فراس قال ، أيْ لَبطةَ : أبغِني كتاباً أكتبْ فيه وصيَّتي ، فأتيته بكتاب فكتب وصيَّته :

أروني مَن يقومُ لكم مقامي

البيتين ، فقالت مولاة له ، قد كان أوصى لها بوصيّة : إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال : يا لبطة ، امحها من الوصيّة .

قال سفيان : نعم ما قالت وبئس ما قال أبو فراس .

[ينظم وصيّته شعراً]

وقال عَوانة : قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أَوصِ ، فقال : [من الطويل]

أُوصِّي تميماً إن قضاعةَ ساقها نَدى الغيث عن دارٍ بدومةَ أو جدْبِ
فإنّكم الأكفاءُ والغيث دُولةٌ يكون بشرق من بلاد ومن غرْبِ[1]
إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا لها الدارَ في سهل المَقامَة والرَّحبِ
فأعظمُ من أحلام عادٍ حُلومُهم وأكثرهم عند العديد من التُّرْبِ

1 دولة : متداولة ، لا تستقرّ على حال .

أشدُّ حبالٍ بعد حَبّيْن مِرَّةً حِبالٌ أُمِرَّتْ من تميم ومن كلبِ[1]

[غلام له يموت قبله]

قال : وتوفّي للفرزدق ابنٌ صغير قبل وفاته بأيّام ، وصلّى عليه ، ثم التفت إلى النّاس ، فقال : [من الطويل]

وما نَحْن إلاّ مِثْلُهم غير أنّنا أَقَمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا

[أنشد عند موته]

قال : فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتى مات : وقال المدائنيّ : قال لَبَطَة : أُغمي على أبي ، فبكينا ، ففتح عينيه ، وقال : أعليَّ تبكون ؟ قلنا : نعم ، أَفعلى ابن المراغة نبكي ؟ فقال : ويحكم ! أَهذا موضع ذكره ؟ وقال : [من الوافر]

إذا ما دبَّت الأَنقاءُ فوقي وصاح صدًى عليَّ مع الظلامِ[2]

فقد شَمِتتْ أعاديكم وقالت : أُدانيكم مِن أينَ لنا المحامي ؟

[وقع نعيه على جرير]

أَخبرني أَبو خليفة الفضلُ بنُ الحُباب إجازة ، قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثنا أبو الغرَّاف ، قال : نُعيَ الفرزدق لجرير ، وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد ما جرَّعتُهُ ليْتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا[3]

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أَتهجو ابن عمِّك بعد ما مات ! ولو رثيته كان أحسن بك . فقال : والله إنّي لأَعلمُ أنَّ بقائي بعده لقليلٌ ، وأنّ نجمي لموافق لنجمه ، أفلا أرثيه ؟ قال : أبعد ما قيل لك : ألو كنت بكيته ما نسيَتْك العربُ .

قال أَبو خليفة : قال ابن سلاّم : فأنشدني معاوية بن عمرو ، قال : أَنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها : [من الطويل]

فلا وَلَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بعل من نِفاسٍ تعَلّتِ[4]

1 المرة : إحكام الفتل .

2 النقا : الكثيب من الرمل . والصدى : رجع الصوت من الجبل أو نحوه ، أو هو طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل طالباً الثأر .

3 جرعته : سقيته المرّ ونحوه .

4 تعلت المرأة من نفاسها : انقضت عنها مدته .

هو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأى إذا النعلُ يوماً بالعشيرةِ زَلَّتِ[1]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة بخبر جرير لمّا بلغه وفاة الفرزدق ، وهو عند المهاجر ، فذكر نحواً ممّا ذكره ابن سلاّم ، وزاد فيه ، قال : ثم قام ، وبكى ، وندِم ، وقال : ما تقارب رجلان في أمرٍ قطّ ، فمات أحدهما إلاّ أوشك صاحبُه أن يتبعه .

[في أيّ سنة مات]

قال أبو زيد : مات الحسنُ وابنُ سيرينَ والفرزدق وجريرٌ في سنة عشرٍ ومائةٍ ، فقبْر الفرزدق بالبصرة ، وقَبرُ جرير وأيّوب السّختيانيّ ومالك بن دينار باليمامة في موضعٍ واحد .

وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبّة ، لأنّ الفرزدق مات بعد يوم كاظمة ، وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقد قال فيه الفرزدق شعراً ، وذكره في مواضع من قصائده ، ويُقوِّي ذلك ما أخبرنا به وكيع ، قال : حدَّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدَّثني ابن النطّاح ، عن المدائنيّ ، عن أبي اليقظان وأبي هَمّام المجاشعيّ : أنّ الفرزدق مات سنة أربعَ عشرةَ ومائةٍ .

[جرير ينعى نفسه ويرثيه]

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو أيّوب بن كسيب من آل الخطفى ، وأمّه ابنة جرير بن عطيّة ، قال : بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضَح الراكب[2] ؟ قال : من البصرة ، فسأل عن الخبر ، فأخبره بموت الفرزدق ، فقال : [من الكامل]

مات الفرزدق بعد ما جرّعته ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة ، فظنناه يقول شعراً ، فدمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق ! فقال : والله ما أبكي إلاّ على نفسي ، أما والله إنّ بقائي ؛ خلافَه[3] لقليل ، إنّه قلّ ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شرّ إلاّ كان أُمدُ ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فُجِعنا بحمَّالِ الدِّياتِ ابنِ غالبٍ وحامي تميم كلِّها والبَراجِمِ

1 الثأي : الفتق .
2 من أين أوضح الراكب ؟ : من أين طلع .
3 خلافه : بعده .

بكيناكَ حِدْثـانَ الفِـراق وإنّما   بكيناك شجْواً للأُمـورِ العظائمِ[1]
فلا حَمَلت بعـدَ ابنِ ليلى مَهيرَةٌ   ولا شُدَّ أنساعُ المطـيِّ الرَّواسمِ[2]

[يموت بالدبيلة]

وقال البلاذريّ : حدَّثنا أبو عدنان ، عن أبي اليقظان ، قال : أَسنَّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدُّبَيْلة[3] ، وهو بالبادية فقدِمَ إلى البصرة ، فأُتيَ برجل من بني قيس متطبّب ؛ فأشار بأن يُكوى ، ويشربَ النّفط الأبيض ، فقال : أتعجِّلون لي طعام أهل النّار في الدنيا ؟ وجعل يقول : [من الوافر]

أروني مَـنْ يقومُ لكم مقامي   إذا ما الأَمرُ جلَّ عن الخطابِ

[أبو ليلى المجاشعيّ يرثيه]

وقال أبو ليلى المجاشعيّ يرثي الفرزدق : [من الطويل]

لعمري لقد أَشجى تميماً وهَدَّها   على نكباتِ الدَّهرِ موتُ الفَرزدقِ
عشيَّـةَ قُدْنـا للفـرزدق نعشَه   إلى جَدَثٍ في هُوّة الأَرض مُعْمَقِ
لقد غيَّبوا في اللَّحدِ مَنْ كان ينتمي   إلى كلِّ بـدر في السماء مُحَلِّقِ
ثَوى حاملُ الأَثقالِ عن كلِّ مُثقَلٍ   ودفّـاعُ سلطانِ الغشومِ السَّمَلَّقِ[4]
لسانُ تميـمٍ كلِّهـا وعِمادُهـا   وناطقُها المعـروف عند المُخَنَّقِ[5]
فمن لتميمٍ بعد مـوت ابن غالبٍ   إذا حَلَّ يـومٌ مظلمٌ غَيرُ مُشرِقِ
لتبكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ   لجانٍ وعانٍ في السلاسلِ مُوثَقِ

[أعلام ماتوا سنة موته]

وقال ابن زكريّا الغلابيّ ، عن ابن عائشة ، قال : مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة ، ومات جرير بعده بستّة أشهر ، ومات في هذه السنة الحسنُ البصريّ وابنُ سيرين ، قال : فقالت امرأة من أهل البصرة : كيف يفلح بلدٌ مات فقيهاه وشاعراه في سنة ؟ ونسبت جريراً إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة ، وقبر جرير باليمامة ، وبها مات ، وقبر

1 حدثان الفراق : أوّل الفراق وابتداؤه .
2 المهيرة : من غولي في مهرها .
3 الدبيلة : داء من الأدواء التي تصيب الجوف .
4 السملّق : الشرس السيىء الطبع .
5 عند المخنّق : عندما يعيا المرء عن الكلام كأنّه مختنق .

الأعشى أيضاً باليمامة : أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم : وقال جرير لمّا بلغه موتُ الفرزدق : قلّما تصاول فحلان ، فماتَ أحدهما إلاّ أسرع لحاق الآخر به .

ورثاهما جماعة ، فمنهم أبو ليلى الأبيض ، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما : [من الطويل]

لعمري لئنْ قَرْما تَميمٍ تتابعا مُجيبَيْن للدّاعي الذي قد دَعاهُما
لرُبّ عَدُوٍّ فرّق الدَّهرُ بينه وبَيْنهما لم تُشْوِه ضَغْمتاهما[1]

[يتراءى في المنام]

أخبرني ابن عمّار ، عن يعقوب بن إسرائيل ، عن قعنب بن المحرز الباهليّ ، عن الأصمعيّ ، عن جرير يعني أبا حازم قال : رُئي الفرزدقُ وجرير في النّوم ، فرئي الفرزدق بخير ، وجرير مُعَلّق .

قال قعنب : وأخبرني الأصمعيُّ ، عن روح الطائيّ ، قال : رئي الفرزدق في النّوم ، فذكر أنّه غُفِر له بتكبيرة كبّرها في المقبرة عند قبر غالب .

قال قَعنَب : وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحويّ ، عن لَبَطَة بن الفرزدق ، قال : رأيت أبي فيما يرى النائم ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعَتْني الكلمةُ التي نازَعنيها الحسنُ على القبر .

[الحسن البصري في جنازة النّوار]

أخبرني وكيع ، عن محمد بن إسماعيلَ الحسانيّ ، عن عليّ بن عاصم ، عن سفيان بن الحسن ، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، والرواية قريب بعضها من بعض : أنَّ النَّوار لمّا حَضَرها الموت أوصت الفَرزدقَ ، وهو ابنُ عمّها ، أن يُصَلِّيَ عليها الحسنُ البصريّ ، فأخبره الفرزدقَ ، فقال : إذا فرغتم منها فأعلمني ، وأُخرِجت ، وجاءها الحسن ، وسبقهما النّاس ، فانتظروهما ، فأقبلا ، والنّاسُ ينتظرون ، فقال الحسن : ما للنّاس ؟ فقال : ينتظرون خيرَ النّاس وشرَّ النّاس ، فقال : إنِّي لستُ بخيرهم ، ولستَ بشرِّهم ، وقال له الحسن على قبرها : ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ سبعين سنة .

هذا لفظ محمد بن سَلاّم . وقال وكيع في خَبَره : فتشاغل الفرزدق بدفنها ، وجلس

1 أشوى الصائد الصيد : أخطأه . والضغمة : العض العنيف .

الحسنُ يعظ النّاس ، فلمّا فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن ، وقال : [من الطويل]

لقد خاب من أُولاد آدمَ مَنْ مَشى إلى النّـارِ مغلولَ القِـلادةِ أزرقا[1]

أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافنـي أشدَّ مـن القبرِ التهابـا وأضيقا

إذا جاءني يـومَ القيامـة قائدٌ عَنِيـفٌ وسَوَّاقٌ يَقُـود الفرزدقا

[رواية أخرى له مع الحسن]

أخبرنا أحمد : قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حيان بن هلال : قال : حدَّثنا خالد بن الحرّ : قال : رأيت الحسنَ في جنازة أبي رجاء العُطارِديّ ، فقال للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله منذ بضع وتسعين سنة ، قال إذاً تنجوَ إن صدقت . قـال : وقال الفرزدق : في هذه الجِنازة خيرُ النّاس وشرّ النّاس ، فقال الحسن : لستُ بخير النّاس ولستَ بشرِّهم .

[يذكر ذنوبه فينشج]

أخبرنا ابن عمّار ، عن أحمد بن إسرائيل ، عن عبيد الله بن محمد القرشيّ بطُوس ، قال : حدَّثني يزيدُ بنُ هاشم العبديّ : قال : حدَّثنا أبي : قال : حدَّثنا فُضَيلٌ الرّقاشيّ قال : خرجت في ليلة باردة ، فدخلتُ المسجدَ ، فسمعتُ نشيجاً وبكاءً كثيراً ، فلم أعلَم مَنْ صاحبُ ذلك ، إلى أن أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس ، تركت النَّوار ، وهي لَيِّنة الدّثار دَفئة الشِّعار ، قال : إنِّي والله ذكرت ذُنُوبي ، فأقلقَتني ، ففزعت إلى الله عزَّ وجلَّ .

[في المنام تنجيه شيبته من النار]

أخبرني وكيع ، عن أبي العبّاس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدريّ قال : حدّثني هلال بن يحيى الرازيّ : قال : حدّثني شيخ كان ينزل سكة قريش : قال : رأيت الفرزدق في النوم فقلتُ : يا أبا فراس ، ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن ، وقال : لولا شيبتك لعذّبتك بالنّار .

[رواية أخرى في لقائه مع الحسين]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دَماذ ، عن أبي عبيدة ، عـن لَبَطة بن الفرزدق ، عن أبيه : قـال : لقيت الحسين بن عليّ ، صلوات الله عليهما ، وأصحابَه بالصِّفاح ، وقد ركبوا الإبل ، وجَنَّبوا الخيـل ، متقلّدين السيوفَ ، متنكبين القِسيَّ ، عليهم يلامق[2] من الديباج ، فسلمت عليه ، وقلت : أين تريد ؟ قال : العراق ، فكيف تركت النّاس ؟ قال : تركتُ الناسَ قلوبُهم

1 مغلول القلادة : مطبق الطوق .

2 يلامق : جمع يلمق وهو القباء ، فارسي معرّب .

معك ، وسيوفُهم عليك ، والدُّنيا مطلوبة ، وهي في أيدي بني أُميّة ، والأمر إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، والقضاء ينزل من السماء بما شاء .

[أبو هريرة يعظه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، وأحمد بن عبد العزيز ، عن ابن شبّة قال : حدَّثني هارون بن عمر ، عن ضمرة بن شوذب قال : قيل لأبي هريرة : هذا الفرزدق ، قال : هذا الذي يقذف المحصناتِ ، ثم قال له : إنّي أرى عظمَك رَقيقاً وعِرْقَك دقيقاً ، ولا طاقةَ لك بالنّار ، فتُب ، فإنّ التّوبةَ مقبولةٌ من ابن آدمَ حتى يَطيرَ غُرابه[1] .

أخبرني هاشم بن محمد ، عن الرياشيّ ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة ، عن صالح المرّيّ ، عن حبيب بن أبي محمد ، قال : رأيت الفرزدق بالشام ، فقال : قال لي أبو هريرة : إنّه سيأتيك قوم يوئِسُونك من رحمة الله ، فلا تيأسْ .

[موازنة بينه وبين جرير والأخطل]

قال أبو الفرج : والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومَحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنبَّه عليه بقول ، أو يُدلَّ على مكانه بوصف ، لأنّ الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تَقدُّمَه بالخبر الشائع علماً يستَغْنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلَّم النّاس في هذا قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا ، واحتجّوا بما لا مزيد فيه ، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيُّهم أحقُّ بالتقدّم على سائرها ، فأمَّا قدماءُ أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل ؛ لأنـّه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه ، ولا تصرَّفَ كتصرّفهما في سائره ، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيـه ، حتى ألحقته بهما ، وهم في ذلك طبقتان ، أمّا مَن كان يميل إلى جزالة الشعر ، وفخامته ، وشدّة أسرِه ، فيُقدّم الفرزدق ، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين ، وإلى الكلام السَّمح السهل الغزِل فيُقدِّمُ جريراً .

أخبرنا أبو خليفة : قال حدَّثنا محمد بن سلاّم ، قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدت مشهداً قطّ ذكر فيه الفرزدق وجريرٌ ، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . قال ابن سلاّم : وكان يونس يقدّم الفرزدق تقدمة بغير إفراط ، وكان المفضل يقدّمه تقدمة شديدة .

قال ابن سلاّم : وقال ابن دأب ، وسئل عنهما ، فقال : الفرزدق أشعر خاصَّةً وجرير أشعرُ عامَّةً .

---

1 طيران الغرب : كناية عن الشيب .

أَخبرني الجوهريّ وحبيب المهلّبيّ عن ابن شبّة ، عن العَلاء بن الفضل : قال : قال لي أَبو البيداء : يا أبا الهُذَيل ، أيّهما أشعر ؟ أجرير أم الفرزدق ؟ قال : قلت : ذاك إليك ، ثم قال : ألَم تسمعهُ يقول : [من البسيط]

مـا حُمِّلت ناقـةٌ مـن معشرٍ رجلاً مثـلي إذا الرّيح ألْقَتْنـي على الكُورِ
إلاّ قـريشاً فـإنّ الله فضّلهـا مـع النبـوّة بـالإسلام والخِيرِ

ويقول جرير : [من البسيط]

لا تحسَبَنَّ مِراسَ الحرب إذ لَقِحَتْ شُرْبَ الكسِيس وأَكلَ الخبز بالصِّيرِ[1] ؟

سلح والله أَبو حزرة .

[ثلث اللغة من شعره]

أَخبرني هاشم الخزاعي ، عن أَبي حاتم السجستانيّ ، عن أَبي عبيدة ، قال : سمعت يونس يقول : لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

[يقرض الشعر في خلافة عثمان وعليّ]

أَخبرني هاشم الخزاعيّ ، عن أَبي غسّان ، عن أَبي عبيدة قال : قال يونس أَبو البيداء : قال الفرزدق : كنت أُهاجي شعراءَ قومي ، وأَنا غلام في خلافة عثمانَ بن عفّان ، فكان قومي يخشون مَعَرّة لساني منذ يومئذٍ ، ووفد بي أبي إلى عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عامَ الجمل ، فقال له : إنّ ابني هذا يقول الشعر ، فقال : علّمه القرآن ، فهو خير له .

[خمس وسبعون سنة في مباراة الشعراء]

قال أبو عبيدة : ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وقد نيّف على التسعين سنة ، كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ، ويهجو الأشراف فيغضّهم ، ما ثبت له أَحد منهم قطّ ، إلاّ جريراً .

[يرث الشعر عن خاله]

أَخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصّيرفيُّ : قال : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنزيّ ، قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ ، قال : حدَّثنا ابن الرازيّ ، عن خالد بن كلثوم قال : قيل للفرزدق : ما لك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعةُ شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قِبَل خالي ، قيل : أيُّ أخوالك ؟ قال : خالي العَلاءُ بن قرظة الذي يقول : [من الوافر]

1 الكسيس : شراب يتّخذ من الشعير والذرة . الصير : السمكات المملوحة .

إذا ما الدَّهر جرَّ على أُناسٍ بكلكلهِ أناخ بآخرينا[1]
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

[يؤنّبه أخواله فيمنّ عليهم]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية ، وأخبرني هاشم الخزاعيّ : قال : حدَّثنا دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : دخل قوم من بني ضَبَّة على الفرزدق فقالوا له : قبَّحك اللهُ من ابن أخت ! قد عرَضتنا لهذا الكلب السفيه ، يعنون جريراً ، حتى يشتم أعراضَنا ، ويذكر نساءنا ، فغضب الفرزدق ، وقال : بل قبَّحكم الله من أخوال ! فوالله لقد شرَّفكم من فخري أكثرُ ممّا غَضَّكم من هجاء جرير ، أفأنا ويلكم عَرَّضتكم لسُوَيد بن أبي كاهل حيث يقول : [من الطويل]

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابن مُكَعْبَرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ
ترى اللؤمَ فيهم لائحاً في وجوههم كما لاح في خيل الحلائب أبلقُ[2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العِجْليّ حيث يقول : [من الرجز]

لن تجدَ الضَّبِّيَّ إلاّ فَلاّ عبداً إذانا ولقومٍ ذَلاّ[3]
مثل قَفا المُديةِ أو أكَلاّ حتى يكون الألأمَ الأقلاّ

أو أنا عرَّضتكم له حيث يقول : [من الرجز]

إذا رأيتَ رجلاً من ضبَّهْ فنِكه عمداً في سَواءِ السَّبَّهْ[4]
إنّ اليَمانيَّ عِقاصُ الزّبَّهْ[5]

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول : [من الطويل]

ولو يُذبَح الضَّبِّيُّ بالسيف لم تجدْ من اللؤمِ للضَّبِّيّ لحماً ولا دما !

والله لَما ذكرتُ من شَرَفكم ، وأظهرتُ من أيّامكم أكثرُ ، ألستُ القائلَ : [من الكامل]

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإنَّني في آل ضبَّةَ للمُعِمُّ المُخْوِلُ

---

1 الكلاكل : عظام الصدر .
2 الحلائب : خيول السباق . والأبلق من الخيل ونحوها : ما اجتمع فيه سواد وبياض .
3 الفلّ : المنهزم .
4 السواء : الوسط ، السبّة : الدبر .
5 العقاص : خيط تربط به الضفيرة . الزبة : ربما جمع زُبّ .

فرعان قد بلغ السّماءَ ذُراهما وإليهما من كلِّ خوف يُعْقَلُ[1]

[بنو حرام يخشون لسانه]

أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلاّم ، عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا : كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه ، فأتينا به الفرزدق ، وقلنا : هو بين يديك ، فإن شئت فاضرب ، وإن شئت فاحلق ، لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلّى عنه وقال : [من الوافر]

فمن يــكُ خائفاً لأذاة قولي فقــد أمِنَ الهجــاءَ بنو حَرامِ
هــمُ قــادوا سفيهَهُمُ وخافوا قلائــدَ مثــلَ أطــواق الحمامِ

[عائذة بقبر غالب]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، قال : حدَّثني الحكم بن محمد ، قال : كان رجل من قضاعة ثم من بني القَين على السّند ، وفي حبسه رجل يقال له حُبَيْشٌ ، أو خُنَيْسٌ ، وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمُّه قبرَ غالب بكاظمة ، فأقامت عليه ، حتى عِلِم الفرزدق بمكانها ، ثم إنّها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها ، فكتب إلى تميم القضاعيّ : [من الطويل]

هَب لي خُنَيْساً واتّخذْ فيه منّةً لغُصَّة أمٍّ ما يَسوغ شرابُها
أتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفرة السَّافي عليــه ترابها
تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظهرٍ فــلا يخفى عليَّ جوابُها

فلمّا أتاه الكتابُ لم يدرِ : أخنيس أم حبيش ! فأطلقهما جميعاً .

[مُكاتبٌ يعوذُ بقبر غالب]

أخبرني أبو خليفة : قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم : قال : حدَّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال : ضرب مكاتب لبني مِنْقَر خيمةً على قبر غالب ، فقدِم النّاس على الفرزدق فأخبروه أنّهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ، ثم قدِم عليه ، وهو بالمِرْبد فقال : [من الطويل]

بقبرِ ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما خشيتُ الرَّدى أو أن أُردَّ على قسرِ
فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي : فَكاكُكَ أن تَلْقى الفرزدقَ بالمِصْرِ

فقال له الفرزدق : صدق أبي ، أنخْ أنخْ ، ثم طاف في الناس ، حتى جمع له كتابته وفضلا .

1 يُعقل : يُلجأ ويُفزع .

[يعتذر عن مناقضته نفسه]

أخبرني ابنُ خلف وكيع ، عن هارونَ بن الزيّات ، عن أحمد بن حمّاد بن الجميل ، قال : حدَّثنا القحذميّ ، عن ابن عيّاش : قال : لقيتُ الفرزدق فقلتُ له : يا أبا فراس ، أنت الذي تقول : [من الطويل]

فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ يُقطَّعْن إذ غيَّبْن تحت السقائِفِ

فقال : نعم ، أنا ، فقلتُ له : ثم قلتَ بعد ذلك له : [من الطويل]

لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعَتِّب لَقُوا دَوْلَةً كان العدوُّ يُدالُها[1]

لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلّةً وفي النّاسِ موتاهم كلوحاً سبالُها[2]

قال : فقال الفرزدق : نعم ، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فإذا تخلّى منه انقلبنا عليه .

[هل أجاز إيّاس شهاته ؟]

أخبرنا هاشم بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه ، عن بعض أشياخه قال : شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية ، فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس ، وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقيل له : أما والله ما أجاز شهادتك قال : بلى ، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا : أفما سمعتَه يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال : وما يمنعه ألا يقبلَ شهادتي ، وقد قذفتُ ألفَ محصنة !

[يستردّ هبته]

أخبرنا ابن دُرَيد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس : قال : كان عطيّة بنُ جُعال الغدانيّ صديقاً ونَديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أنّ رجلاً من بني غُدانةَ هجاه وعاون جريراً عليه ، وأنّه أراد أن يهجو بني غُدانة ، فأتاه عطيّة بن جُعال فسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهبَ له أعراضَهم ، ففعل ، ثم قال : [من الكامل]

أبني غُدانةَ إنّني حَرّرتكم فوهبتكم لعطيّةَ بنِ جُعالِ

لولا عطيّةُ لاجتَدَعْتُ أنوفكم من بين ألأم آنفٍ وسبالِ

فبلغ ذلك عطيّة ، فقال : ما أسرع ما أرتجع أخي هبَته ، قبّحها الله من هبة ممنونة مرتجعة .

---

1 يُدالها : تتاح للعدو .

2 السبال : جمع سبلة ، وهي طرف الشارب ، أو طرف اللحية .

[مجنون يعبث به]

أخبرني وكيع ، عن هارون بن محمد : قال : حدَّثني قبيصة بن معاوية المهلّبيُّ ، عن المدائنيّ ، عن محمد بن النضر : أنّ الفرزدق مرَّ بباب المفضَّل بنِ المهلَّب ، فأرسل إليه غِلمة ، فاحتملوه ، حتى أُدخِل إليه بواسط ، وقد خرجَ من تيّار ماء كان فيه ، فأمَر به ، فأُلقيَ فيه بثيابه ، وعنده ابنُ أبي علقمة اليَحمَديّ المجنونُ ، فسعى إلى الفرزدق ، فقال له المفضل : ما تريد ؟ قال : أريد أن أنيكه وأفضحه ، فوالله لا يهجو بعدها أحداً من الأزد ، فصاح الفرزدق : اللهَ اللهَ أيُّها الأمير فيّ ، أنا في جوارك وذمّتك ؛ فمنع عنه ابن أبي علقمة ، فلمّا خرج قال : قاتل الله مجنونَهم ؛ والله لو مسَّ ثوبُه ثوبي لقام بها جرير وقعد ؛ وفضحني في العرب فلم يبقَ لي فيهم باقية .

وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبيُّ ، عن ابن شبّة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الحميد ، عن أبيه ، عن جدِّه : قال أبو زيد : وأخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار ، قال : قال لي الفرزدق : ما مرَّ بي يوم قطّ أشدَّ عليّ من يوم دخلتُ فيه على أبي عيينة بن المهلّب ، وكان يوماً شديد الحرّ ، فما منّا أحد إلاّ جلس في أبزَن[1] . فقلنا له : إن أردتَ أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة ، فقال : لا تريدوه ؛ فإنّه يكدّر علينا مجلسنا ، فقلنا : لا بدّ منه ، فأرسل إليه ، فلمّا دخل فرآني ؛ قال الفرزدق واللهِ . ووثب إليّ ، وقد أنعظ أيره ، وجعل يصيح : والله لأنيكنّه ؛ فقلت لأبي عيينة : اللهَ اللهَ فيَّ ، أنا في جوارك ، فوالله لئن دنا إليّ لا تبقى لي باقية مع جرير ؛ فلم يتكلّم أبو عيينة ؛ ولم تكن لي همّة إلاّ أن عدَوْتُ حتى صعِدتُ إلى السطح ، فاقتحمت الحائط ، فقيل له : ولا يوم زياد كان مثل يومئذٍ ، فقال : ولا مثل يوم زياد .

[عمر بن عبد العزيز يجيره ، ثم ينفيه]

أخبرني عمّي ، عن ابن أبي سعد ، عن أحمد بن عمر ، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له : كوزا الراوية ؛ قال أحمد بن عمر : وأخبرني عثمان بن خالد العثمانيّ : أنّ الفرزدق قدم المدينة في سنة مُجْدِبة حصّاء[2] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيّها الأمير ، إنّ الفرزدق قدِم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامّة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فلو أنّ الأمير بعث إليه ، فأرضاه ، وتقدّم إليه ألاّ يَعرِض لأحد بمدح ولا هجاء ؛ فبعث إليه عمر : إنّك يا فرزدق قدِمت مدينتنا

1 الأبزن : حوض ماء يتّخذ من المعدن للاستحمام وهو معرّب .

2 الحصّاء : السنة الجرداء لا خير فيها .

هذه في هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ؛ فخذها ، ولا تعرِضْ لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ، ومرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، وعليه مُطْرَف[1] خزّ أحمر وجُبّةُ خزّ أحمر ، فوقف عليه ، وقال : [من الوافر]

أعبد الله أنت أحقّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكبارِ

نما الفاروقُ أُمَّك وابنُ أروى ... أبوكَ فأنت مُنصَدَعُ النّهارِ

هما قَمَرا السماء وأنتَ نجمٌ ... به في الليل يُدْلجُ كُلُّ سارِ

فخلع عليه الجبّة والعمامة والمِطْرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ، ورأى ما أعطاه إيّاه ، وسمع ما أمره عمر به من ألاّ يعرض لأحد ، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز ؛ فأخبره ، فبعث إليه عمر : ألَم أتقدّم إليك يا فرزدقُ ألا تعرضَ لأحد بمدح ولا هجاء ؟ أُخرج ، فقد أجلتك ثلاثاً ، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك ؛ فخرج وهو يقول : [من الوافر]

فأجّلني وواعدني ثلاثاً ... كما وُعِدَت لَمَهْلكِها ثَمُودُ

قال : وقال جرير فيه : [من المتقارب]

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ ... ومثلُك يُنفى من المسجدِ

وشَبَّهْتَ نفسَكَ أشقى ثَمُودَ ... فقالوا : ضَلَلتَ ولم تهْتَدِ

[يهجو من يستكثر عليه الجائزة]

أخبرني حبيب المهلَّبيّ ، عن ابن أبي سعد ، عن صباح ، عن النوفليّ بن خاقان ، عن يونس النحويّ قال : مدح الفرزدقُ عمرَ بن مسلم الباهليّ ، فأمر له بثلثمائة درهم ، وكان عمرو بن عَفراء الضّبّيّ صديقاً لعمر ، فلامه ، وقال : أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهمٍ ، وإنّما كان يكفيه عشرون درهماً ، فبلغه ذلك فقال : [من الطويل]

نهيتُ ابنَ عِفْرى أن يعفّر أمّهُ ... كعَفْر السّلا إذ جرّرَتْه ثعالبُهْ

وإنّ امرءاً يَغْتابني لم أطأ له ... حريماً فلا ينهاهُ عنّي أقاربُهْ

كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضْبةٍ ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُهْ

---

1 المطرف : رداء من خزّ مربع ذو أعلام .

أَلَمّا استَوى ناباي وابيضَّ مِسْحلي ... وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أُحاربُهْ ؟
فلو كانَ ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سرت ... على قدمي حيّاتُه وعقاربُهْ
ولكن دِيافِيٌّ أَبوه وأُمّه ... بحَورانَ يعصِرنَ السَّليطَ قرائبُهْ

صوت

[من الطويل]

ومقالها بالنَّعف نعف مُحَسِّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا[1] ؟
ذاك الذي أَعطى مواثقَ عَهدِهِ ... أَلاّ يخونَ وخِلتُ أَن لن يَنْقُضا
فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثلِه ... يوماً ليَعترفَنَّ ما قد أَقْرَضا[2]

الشعر لخالد القَسْريّ ، والنّاس ينسبونه إلى عمر بن أَبي ربيعة ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحبش . وقبل أن أذكر أخبارَه ونسبَه فإنّي أُذكر الرواية في أنّ هذا الشعرَ له .

[قصّة تتعلّق بأبيات هذا الصوت]

أَخبرنا محمد بن خلف وكيع : قال : أَخبرني عبد الواحد بن سعيد ، قال : حدَّثني أَبو بشر ، محمد بن خالد البجلّي : قال : حدَّثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن : قال : سمعت أَبي يحدّث : قال : حدَّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ ، قال : ركب خالد عبد الله ، وهو أمير العراق ، وهو يومئذٍ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكْرَخةُ ، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ ، وركبت معه في زورق ، فقال لي : نشدتك الله بابن جحوشٍ ، هل سمعت غريضَ مكّة يتغنّى : [من الطويل]

ومقالها بالنّعفِ نعفِ مُحَسِّرٍ ... لفتاتها : هل تعرفين المُعْرِضا

قال : قلت : نعم ، قال : الشعر والله لي ، والغناء لغريض مكّة ، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمرَ بنِ أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكّيّون ، وإنّما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ، ثم نرجع الآن إلى ذكره .

* * * *

1 النعف ومحسر : مكانان .
2 أقرض : أسلف .

الفهرس